العدد (٧٢٣) جمادى الأولى ١٤٤٧هـ/ نوفمبر ٢٠٢٥م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

إنَّ مِنَ البَيانِ لَسِحرًا

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

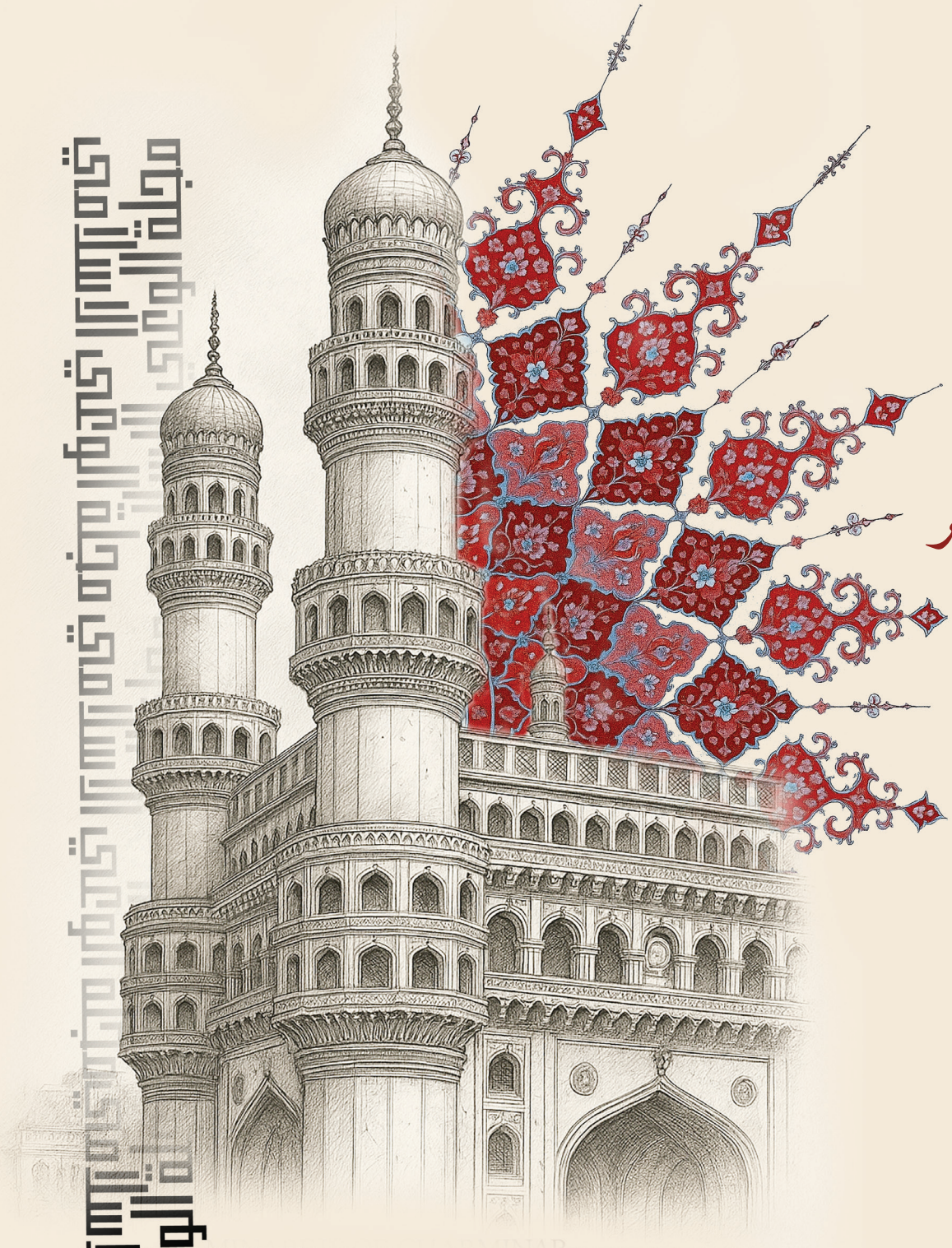

الشِّعرُ: تُرجمانُ المشاعِر

جديدنا ! !

براعم الإيمان بإطلالتها المتجددة..

أمان مصطفى أمان رئيس التحرير

إن من البيان لسحرا

إن للشعر تأثيرا بالغا في النفوس، فهو يبعث فيها نسيما أرقى من دموع الفرح، فمنه ما ينفذ إلى القلب بغير إذن، فيتلقاه القلب خافقا لأنه أصل ينبوعه الصافي.

لا ريب أن في الشعر قيودا لا انفكاك لها، ولكنها قيود محبوبة، يحس بضرورتها من كانت نفسه حية وقلبه نديا، فيشعر فيها بمعنى حرية الطهر والنقاء، فلا غرابة أن يشعر متذوقه بالحرية في قيده، لأن الشعر حين يقيده إنما يقيد صورا حية من الحياة الجائرة، ويمنعها من الوصول إليهم، أو يطهرهم منها لحظة، ويتيح لهم أن يتصلوا بعالم نقي هو عالم الشعر والفن.

إن الشعر هو موضوع الشعور الحي الذي لم يعجز عن مسايرة الزمن وأطواره، ولكنه ضعف حين ضعفت المشاعر النبيلة في النفوس، واشتد حين تلألأت في النفوس أنوار الشعور، فهذه الجملة من المشاعر النبيلة والأحاسيس الرقراقة هي أصل الشعر! ومن هنا كان الشعر محببا إلى النفوس لأنه منظم لمشاعرها، لا غرو! فكل ما فيه من وزن وقافية أساسه النظام والانضباط، فهو ترجمان القلوب، ولغة النفوس، ينتقل بناظمه ومتذوقه من عالم القيد إلى عالم الخيال الواسع.

أما الشاعر فيحمل بين جوانحه نفسا تشربت النظم فطرة، فشعره يظهر حينما تنتظم مشاعره، فهو لا يتقيد بسن ولا زمن، فمن الشعراء المفطورين من يتمادى به العمر قبل أن يقول الشعر مع أن ملكة الشعر موجودة فيه، ومنهم من تشع نفسه إشعاع الشعر وهي في أيام الصبا الندية.

فمن أعاجيب الشعر أن ينثر الشاعر المكفوف شعره نجوما وشموسا تبهر عيون المبصرين، ويعرض الصور الحسية الجافة الصامتة عرضا مذهلا، وكأنها تنطق فتشعر كأنك رأيتها ولمستها وخبرتها. نعم فهذا سحر الشعر وفنه يجعل من الأخيلة حقائق، فما أبدعه وما أروعه!

لقد ارتقى الشعر بمكانته الرفيعة حتى أصبح نبراسا يهتدى به إلى حضارة الشعوب وأخلاقها، فيعرف متذوقه ما شاع في كل عصر من الأخلاق، وما اضطرب فيه من العادات والتقاليد، وما كان يعتبر فيه مناط الفخر والمفاضلة، وهكذا نستطيع أن نلمح صور الزمان والحضارات في مرآة الشعر المنضبط.

وهكذا كان الشعر وليد العواطف إذا احتدمت، ومنظمها إذا اضطربت، ومرآة الحياة العامة والخاصة؛ تنطبع عليها خبايا النفوس؛ فكان رائعا وازدادت روعته مع بزوغ فجر الإسلام، فكان بابا من أبواب مرضاة الله تعالى، وأداة فاعلة من أدوات الدعوة الصادقة الخالصة بصدقها وعمقها ودفاعها عن مبادئ الشريعة السمحاء، ولاسيما في بدايات الدعوة، فـ«المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه» كما صح في الحديث عند الإمام أحمد.

وختاما: إننا نستطيع القول بأن شعر الكلمة الطيبة شعر طيب، وشعر الكلمة الخبيثة شعر خبيث، قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ (الشعراء:٢٤-٢٧).

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

- المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع
هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩
- مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣-فاكس:٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨
- قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر
هاتف:٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١-فاكس:٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩
- الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع
هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧
- سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع
هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠
- الأردن: وكالة التوزيع الأردنية
هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣
- مصر: مؤسسة أخبار اليوم
هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
- السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع
هاتف:٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢-فاكس:٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
- لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع
هاتف:٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨-فاكس:٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
- المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
هاتف:٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١-فاكس:٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
- تونس: الشركة التونسية للصحافة
هاتف:٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩-فاكس:٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
- فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر
هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
- لندن: Quik march ltd
هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
- كندا: Speed impex
هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

- **الكويت**: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات
- الإمارات: ٥ درهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد
- مصر: ٥ جنيه • السودان: ٥,٠ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة • المغرب: ١٠دراهم
- تونس: ٢دينار تونسي، • فلسطين: دينار أردني ،

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها). • باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

تصدرها وزارة الشئون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٧٢٣ / جمادى الأولى ١٤٤٧هـ
العام الثاني والستون
نوفمبر ٢٠٢٥م

رئيس التحرير
أمان مصطفى أمان

مدير التحرير
مشاعل فجر العتيبي

التحرير
د. تركي محمد النصر
رحمة العنزي
ريمية الشلاحي
سعاد القحطاني
في المطيري
محمود شاكر محمود
منيرة الفرتاج
مها العنزي

الإخراج والجرافيك
سيد محمد عبدالقادر
فاطمة جمال الجندي
وضحة عبدالرزاق العرادة

الإشراف الفني
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

المحتويات

٣	**الافتتاحية/** إن من البيان لسحرا	أمان مصطفى أمان
٦	**وعي إسلامي/** تدوين القرآن الكريم بين الرسول ﷺ والصحابة (١-٢)	د. أحمد عبدالرازق عبدالعزيز
٨	هداية الحديث الشريف	د. راوية نور الدين عتر
١٠	هندسة الأفكار.. المشاعر في دائرة الوعي والتحكم	د. جميلة خليف
١٢	الاستشهاد بالشعر عند الأصوليين (٢-٣)	د. محمود الكبش
١٦	**تحقيقات الوعي/** معرض الكويت الدولي للكتاب	ريمية شليويح الشلاحي
١٨	حيث تلتقي الأرواح بالكتب.. مكتبة البابطين	مريم الكندري
٢٠	**وعي دولي/** الشارقة.. منارة الثقافة في الخليج العربي	محمود شاكر محمود
٢٢	فلسطين.. قضية لا تغيب	حسن عباس
٢٤	**وعي بلادي/** صور من وقف الكتب في الكويت	محمد الحميدي
٢٨	**موضوع العدد/** الشعر فن يجسد نبض الأمة	د. إبراهيم نويري
٣١	الشعر والشعراء ودورهم في الاستقرار الاجتماعي من منظور إسلامي	د. صلاح فضل توقة
٣٤	جسر الحكمة وترجمان المشاعر	بلال المريسي
٣٦	أشاعر أم راوية؟!	أبو قيس محمد رشيد
٤٠	الشعر بين رسالة الفن وقيم الإسلام	حسن عباس
٤٢	حين همس الفن للظل	سعاد القحطاني
٤٤	متحف دار المدينة.. لوحة الفن الإسلامي في قلب طيبة	في المطيري
٤٦	كلمات ومشاعر	مريم الكندري
٤٨	بين صفحات الفن وبشار بن برد	مضاوي وليد الزايد
٥٠	بعد البعث عبث	منيرة الفرتاج
٥٢	حقيقة الحياة في رؤية أبي العتاهية	مها ناصر العنزي
٥٤	**حضارة إسلامية/** رحلة الإتقان والتفرد في خدمة السنة	رحمة العنزي
٥٨	**معالم وشخصيات كويتية/** مسجد الشيخ ناصر الصباح	سعاد القحطاني
٦٠	مريم عبدالملك الصالح ورسالة التعليم	محمود شاكر محمود
٦٢	**وعي أسري/** فن التغافل	د. أحمد محمد القزعل
٦٦	استوصوا بالنساء خيرا (٢-٣)	د. إيمان يوسف المرزوق
٦٨	استقامة الحياة الزوجية بالمودة والتفاهم والتراحم	د. حمدي إبراهيم عامر
٧٢	الشيزوفرينيا الوباء الصامت	د. خالد صالح حنفي
٧٥	أخطاؤنا في التربية	خالد حسن مال الله التميمي
٧٦	**وعي اقتصادي/** تكامل الطاقات يثمر النهوض الحضاري	د. محمود حسن محمد
٧٨	**دراسات/** الأمن الفكري	د. مرزوق العنزي
٨٢	دور الأخلاق الإسلامية في مواجهة تحديات العصر	د. محمود حلمي
٨٦	حكاية تجليد المصحف والكتاب في حضارة لم تكن تقرأ عبثا	سعدية مفرح
٩٠	**اللغة والأدب/** في حب اللغة العربية وأهمية غرسها في نفوس الأطفال	محمد السيد
٩٢	**مجالس الإفتاء/** حكم بطاقات التخفيض الصحية	د. عبدالفتاح همام
٩٤	**سلسلة الأعلام المتشابهة** (١٠٥)	د. رياض العيسى
٩٥	**كنوز مكتبة مجلة الوعي الإسلامي** (١١٦)	ياسين محمد كتاني
٩٦	**ينابيع المعرفة**	د. تركي محمد النصر
٩٨	**مسك الختام/** ما أشبه اليوم بالأمس	د. بديع السيد اللحام
٩٩	**الغلاف الداخلي**	فاطمة جمال الجندي

كلمة العدد

ديوان العرب

مما لا شك فيه أن كثيراً من الشعر العربي له اليد الطولى في المساهمة في تفسير كثير من ألفاظ الشريعة الواردة في القرآن والسنة، إذ بواسطة بعض الشواهد الشعرية والأدلة من الأدب العربي نستعين على فهم كتاب الله الكريم وسنة نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. ومما هو معروف لدى أرباب الفكر والثقافة أن الشعر له الأثر الطيب في إعانة العلماء وطلاب العلم على جمع ما تفرق ونظم ما تشتت من العلوم والفوائد بل وسائر الفنون، فإنه ما من فن من فنون القرآن والحديث وعلوم اللغة إلا وقد نظمت فيه القصائد والأشعار؛ فسهل حفظها على الصغار والكبار. قال العلامة أبو محمد ابن قتيبة الدينوري عن نخبة من الشعراء: «... يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله ﷺ».

فهؤلاء لهم قيمتهم ورتبهم العالية لأنهم حفظوا لسان العرب حتى قيل في بعضهم: «لولا فلان لضاع ثلث اللغة».

وختاماً: قد جاء في الأثر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «عليكم بديوان العرب فإن فيه تفسير كتابكم»، وجاء عنه رضي الله عنه أيضاً أنه قال عن الشعر: «إنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب».

التحرير

د. أحمد عبدالرازق عبدالعزيز | أكاديمي

تدوين القرآن الكريم بين الرسول ﷺ والصحابة (١-٢)

يعد جمع القرآن مسألة ذات أهمية وتنسب للرسول ﷺ وطيلة حياته كان يحرص على جمع القرآن والحفاظ عليه خوفا من التحريف، وكان من تولى الراية بعده في هذا الشأن الصحابة والمسلمين؛ برعاية الخلفاء الراشدين، وتوجت هذه المجهودات بعهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان بتوحيد المصاحف؛ فالقرآن الكريم هو مصدر التشريع للأمة الإسلامية، ومنه يستمد المسلمون أسلوب حياتهم ومعيشتهم وقوانينهم.

تعددت الآراء في الأصل الذي اشتقت منه لفظة القرآن، وقيل إنها وصف من القراءة بفتح القاف، وفتح الراء بمعنى المجمع، وقيل مشتقة من القرائن، وقيل قرنت الشيء بالشيء أي جمعت بعضه إلى بعض، وقيل إنها موضوعة من أول الأمر علما على كلام الله عز وجل، وقيل هي في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ولما جاء فيه من كلام رب العالمين؛ تصدق عليه كله كما تصدق على بعضه، ويقال للمصحف كله قرآن كما يقال للجزء منه قرآن[١].

القرآن الكريم هو وحي من الله تعالى منزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، وقد حافظ رسول الله على إبلاغه للمسلمين كما تنزل عليه، وأوصاهم في نفس الوقت أن يبلغوه عنه لمن استطاعوا فهو كتاب هداية للناس جميعا، وليس للمسلمين وحدهم، عموما حاول الكثيرون منذ نزول كتاب الله -ونشره بين الناس- العمل على زعزعة هذا الدين الجديد بواسطة التشكيك في مصدر هذا الكتاب وفي طريقة جمعه وكتابته، ثم البحث عن أي شبهة للخطأ فيه، أو التناقض بين آياته، وعندما يعجز البعض عن ذلك يلجأون إلى طبع مصاحف محرفة، أملا في إبعاد المسلمين عن قرآنهم الحقيقي، غير مدركين أنه محفوظ في قلوبهم وقبل ذلك حفظ الله تعالى لكتابه العزيز[٢] حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩). فقد خص الله عز وجل أمة رسول الله محمد ﷺ بحفظ القرآن الكريم، وهو دليل على مكانة رسولنا الحبيب.

التدوين في عهد الرسول

كان القرآن الكريم ينزل على النبي محمد ﷺ فيحفظه أولا ثم يدونه مستعينا ببعض الصحابة ممن يعرفون القراءة والكتابة؛ فيدلهم على مواضع الآيات وأماكنها في السور، وهذا ما أشارت إليه الرواية المذكورة عن زيد ابن ثابت في قوله: «كنا عند رسول الله نؤلف -نجمع- القرآن من الرقاع» وتأليف القرآن يعني ترتيب سوره وآياته كل بحسب مكانه، فقد كان النبي الكريم ﷺ يهتم بتدوين الآيات القرآنية كلما نزلت عليه مرتبا أماكنها بشكل توقيفي غير اختياري، وقد ثبت أنه ﷺ قد قرأ سورا متعددة بترتيب آياتها في الصلاة وفي خطب الجمعة بمشهد من الصحابة؛ فكان ذلك دليلا صريحا على أن الترتيب هو توقيفي غير اختياري، ولا اجتهادي، ويرى السيوطي أن تدوين القرآن في عهد الرسول ﷺ كان في زمن مبكر من الدعوة أي قبل الهجرة؛ فالكتابة كانت تسير مع القراءة عن طريق المشافهة في حفظ النص؛ فكلما نزل من القرآن شيء أمر الرسول ﷺ كتبة الوحي بتدوينه[٣] ومنذ نزل القرآن على محمد ﷺ بلسان عربي مبين؛ عني به المسلمون عناية فائقة لا مثيل لها، وقد ألفت الكتب المتعددة في علوم القرآن في عصور مبكرة، وهذا دليل على العناية به؛ فالقرآن الكريم جاء مصدقا للكتب السماوية السابقة ورقيبا يقر ما فيها من حق، وقد أحيط القرآن الكريم بسور من العناية الإلهية التي لم تتوافر لغيره.

وقد كان الصحابة يعرضون ما يحفظون من القرآن على الرسول ﷺ للتأكد من ضبط وسلامة حفظهم، كما كان يأمرهم أحيانا بالقراءة حتى يستمع لمخارج الألفاظ، وهكذا على الرغم من اهتمام النبي ﷺ بحفظ الصحابة القرآن ومداومتهم على قراءته في الصلاة وغيرها من المناسبات العبادية وعلى دراستهم، ومذاكرتهم آياته وسوره؛ فقد أولى عناية فائقة بكتابته وتدوينه، وإن ما رافق ذلك الاهتمام بالكتابة والتدوين كان الحفظ الصدري الذي لم يكن بأقل أهمية من التدوين والكتابة، إن إذ الكثير من الصحابة كانوا لا يعرفون الكتابة أو القراءة من المكتوب، ولذلك يلجأون إلى الحفظ الصدري لآيات القرآن وسوره؛ كما أن الحفظ الصدري كان من أداء بعض

العبادات التكليفية الواجبة كالصلاة[٤]، فهذا هو كتاب الله الذي أنزله دستورا للبشرية بكل زمان ومكان؛ فعجزوا عن الإتيان بمثله أو سورة واحدة، وهو الكتاب الذي أحكم آياته، وهو المشرف على الحوادث الكونية؛ المقرر لأحكامها في كل زمان ومكان؛ الضابط لأحوال الأمم الاجتماعية والعمرانية، والمحقق لسعادتها الدنيوية، والطريق للهداية.

المواد المستعملة في التدوين

لم يعرف الورق، ولم يستعمل في العالم الإسلامي إلا في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وكانت المواد المستعملة الرقاع (قطع من جلود الحيوانات)، والجلد (الجلود المدبوغة)، وألواح خشبية، والعسب (جريد النخل) واللخاف (قطعة من الحجارة) وعظام الكتف (عظم الجمل والشاة)، وكان كتبة الوحي يكتبون الآيات على هذه المواد فيطلق عليها الصحف، وكانت تكتب لرسول ﷺ وتوضع في داره، وكانت القراطيس، وهو نبات البردى من نوع الحلف، ويكثر في مصر بالفيوم، وهو من أفضل الأنواع ملاءمة لكتابة النصوص القرآنية وتدوينها، ويأتي امتياز القراطيس عن غيرها من المواد الأخرى لكونها أوراقا صالحة للكتابة بالحبر وخفيفة الوزن، تبقى أمدا طويلا؛ كما أنها يمكن أن يكتب عليها نصوص بالغة الطول وتحفظ على ترتيبها، ويكون عرض القرطاس ما بين ثلاث أقدام إلى ثماني عشرة قدما، أما الطول فيمكن أن يعمل إلى أكثر من مئة قدم، وقد ذكر السيوطي عن موطأ ابن وهب أن أبا بكر عندما أراد جمع القرآن كان بعضه مكتوبا في قراطيس مما يعني أن الرسول ﷺ استعمله في تدوين آيات القرآن وسوره[٥].

القرآن الكريم ومواد التدوين

نزل الوحي لثلاث وعشرين سنة تقريبا على الرسول ﷺ دون سابق إنذار أو وقت معين؛ لذا كان يسارع لحفظه أولا ثم تدوينه وعلى أي من المواد المتوافرة لديه وقتذاك؛ عسبا أو لخافا أو رقا أو غيرها، وبلا شك إن موضوع تدوين النص القرآني وحجم الاهتمام به له علاقة وثيقة بموضوع جمع القرآن والحرص على حفظه من الضياع؛ كما أن مواد الكتابة قد ذكرت كثيرا في القرآن الكريم؛ فقد وردت لفظة القلم في قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ (القلم:١)؛ ووردت لفظة الرق في قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣﴾ (الطور:١-٣)، ولفظة القرطاس في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ (الأنعام:٧)؛ فقد أدرك الرسول ﷺ أن التقصير بمسألة تدوين النص القرآني ممكن يؤدي إلى ضياعه أو تحريفه، وعليه كان الحرص منه شديدا، وهو حرص نابع من الحرص الإلهي على تدوين النص القرآني أولا بأول والتوثيق من حفظه[٦].

القرآن الكريم هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا اختار الرسول ليحمل هذه الرسالة إلى أهل مكة أولا ثم لكل العرب، وقد أنزل على العرب الذين من صفاتهم التمسك والمحافظة على لغتهم، وقد آمنوا بالقرآن إيمانا قاطعا، وحافظوا عليه لأنهم وجدوا فيه ما بهر عقولهم من الفصاحة والبلاغة، وكانوا أصحاب هذا المكان ورواده، وكذلك حافظ عليه من جاء بعدهم، ومن كان هذا حاله؛ فلا يعقل أن يقدم أو يؤخر أو يزيد أو ينقص في كتاب الله؛ فقد حافظ العرب بشكل كبير وبحذر على لفظ القرآن الكريم ونظمه؛ فهو قرآن عربي مبين، وهو موجه للجنس البشري قاطبة، وقد تأكد ذلك عمليا بانتشار الإسلام في العالم كله. ومع ذلك إن الإشارة القرآنية الخاصة أو اللصيقة بالعرب لا تنفي أنه عالمي النزعة أو ذو طبيعة عالمية؛ فالقرآن يخاطب البشر عامة وليس الإنسان العربي في الوسط الثقافي أو الحضاري العربي فحسب.

والقرآن الكريم كله دلائل على العناية والحرص على قضية التدوين والحفظ التحريري، وما تم ذكره قليل؛ فالقرآن حياة ومنهج علم البشرية، وأرشدهم إلى الطريق الصحيح؛ رغما عن أنه كتاب قانون ومنهج للحياة في كل نواحيها وأشكالها؛ وهذا الكتاب يخالف كل الكتب في كل الفنون لأنه ميسر، ولا تنقضي عجائبه أو تنفد غرائبه، وقد اجتهدت الأمة الإسلامية قاطبة بكل مؤسساتها بعد الله عز وجل؛ لحفظ كتاب الله العزيز.

الهوامش

١- أمين الدين أبو علي الفضل الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث، بيروت، ج١، ص:١٤؛ محمد عبدالله البدري، القرآن الكريم تأريخه وعلومه، دار القلم، دبي، ١٩٨٤م، ص:٩.

٢- حامد الطاهر، الفلسفة الإسلامية، هيئة قصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ج٢، ص:٣٠٩-٣١٠؛ السيد أحمد فرج، السلطة الإدارية والسياسة الشرعية، دار الوفاء، القاهرة، ١٩٩٣م، ص:٢١.

٣- محمد بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ، ج١، ص:٢٣٧؛ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧٣م، ج١، ص:٦٢،٩٩، ١٦٣، ١٦٤.

٤- مشتاق بشير الغزالي، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٨م، ص:١٢٠-١٢١.

٥- السيوطي، المصدر السابق، ج١، ص:٦٠؛ جورج سارتون، تأريخ العلم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م، ج٣، ص:٨١-٨٢.

٦- انظر مشتاق الغزالي، المرجع السابق، ص:١٢٣-١٣٠.

د. راوية نور الدين عتر | كاتبة وباحثة

هداية الحديث الشريف

في خضم المعارف والمعلومات المختلفة التي توصل إليها الإنسان على مختلف الأصعدة في العلوم الإنسانية والتجريبية، ورغم دقة الأدوات والوسائل المستخدمة، إلا أنه في كثير من الأحايين تحدث أمور وتستجد بحوث تنقض ما كان مسلما سابقا وتعود عليه بالإبطال؛ نتيجة لبحوث أدق أو تطوير في أدوات البحث ووسائله، أو تغيير عينات الإحصاء وما شابه، والأمثلة كثيرة في أبحاث العلوم الطبية وغيرها، وههنا يتساءل الإنسان: أين يجد اليقين الذي يفيض عليه الطمأنينة، والقطع الذي يفيد السكينة؟ ويبحث عنه وحق له ذلك؛ فهو يحتاج إلى علم ثابت راسخ يسكن إليه العقل ويرتاح به القلب. والواقع أنه لن يجد هذا إلا في وحي الخالق عز وجل، العليم بعباده وبأسباب سعادتهم، الخبير بما يصلح حالهم وبما يشقيهم كذلك؛ أي في القرآن الكريم وحي الله تعالى المتلو لفظا لفظا حرفا حرفا، وفي حديث نبيه المصطفى وحي الله بالمعنى لنبيه وهو الوحي غير المتلو.

وما سبب تعاسة الناس وشقاء البشرية في هذه الدنيا قبل الآخرة سوى بعدهم عن هداية رب العالمين الكائنة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ! وهذا أمر مشاهد بالواقع بل مطرد في كافة الأمور صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها.

ولربما يلتبس على بعض الناس أمر الاهتداء بالحديث الشريف والائتمار به واتباع السنة المطهرة، ولكن الأمر لمن قرأ كتاب الله تعالى بيسير تدبر واضح إن شاء الله، وهذا شيء وجيز من توضيحه:

إن الخالق جل جلاله لما خلق الخلق، أنزل الهداية القويمة والإرشاد السليم لهم بما يكفل السعادة في الدارين، بواسطة وحيه لرسله عليهم السلام، وكانت الرسالة الخالدة والخاتمة هي رسالة الإسلام المنزلة على سيدنا محمد ﷺ، فيها الخير كله والرشد كله، وأرشدنا البارئ جل جلاله إلى اتباع خاتم أنبيائه ورسله ﷺ والائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (الحشر:٧)، ومعنى هذه الآية شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وشامل كذلك لمجالات الحياة كلها: الاجتماعية والاقتصادية

والسياسية، بل للكيان الإنساني بأكمله: عقله وقلبه وجسده وروحه، فكل ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، ونص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله؛ ولذلك لما قال عبدالله بن مسعود: «لعن الله الواشمات والمستوشمات والواصلات والمستوصلات والمتنمصات للحسن المغيرات خلق الله» فبلغ كلامه امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: «لعنت كذا وكذا» فذكرته، فقال عبدالله: «وما لي لا ألعن من لعن رسول الله، وهو في كتاب الله»، فقالت المرأة: «لقد قرأت ما بين لوحي المصحف، فما وجدته»، فقال: «لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه»، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر:٧)»[١]، فكلام ابن مسعود يشير إلى أن القرآن هو جامع أصول الأحكام، وأنه الحجة على جميع المسلمين، وكذلك حديث رسول الله، لأن كليات القرآن وأوامره المفصلة ظاهرة الدلالة، وما أجمل فيه موجود في حديث رسول الله ﷺ، والقرآن يحيلنا إلى الحديث النبوي بموجب هذه الآية، فعاد الأمر للقرآن الكريم عند تنفيذ ما ورد في الحديث الشريف.

ومنها قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (النساء:٨٠)، والمعنى أن من أطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا إلى الخلق أحكام الله فهو في الحقيقة ما أطاع إلا الله، وذلك في الحقيقة لا يكون إلا بتوفيق الله، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا، فإن من أعماه الله عن الرشد وأضله عن الطريق، فإن أحدا من الخلق لا يقدر على إرشاده، وفي ختام الآية توجيه رباني لرسول الله ألا يحزن ولا يغتم بسبب تولي من لا يريد الهداية وإعراضه، فليست مهمته التي أمره الله بها حفظ الناس من المعاصي.

ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ (النور:٥٤)، والآية واضحة الدلالة في وجوب طاعة الله ورسوله والإذعان لحكمهما.

ومعنى ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾: أن الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله وكلفه من أداء الرسالة، فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه، ومعنى ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾: أن الناس عليهم فعل ما كلفوا به من التلقي بالقبول والإذعان، والطاعة والمتابعة. وإلا فقد عرضوا نفوسهم لسخط الله وعذابه، فالنفع والضرر عائدان إليهم.

وقال أحد العلماء في تفسير قوله: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾: «من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة لقول الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾»[٢].

ختام الكلام: إن الحديث الشريف مكمل للقرآن الكريم، بل لا يفهم القرآن الكريم إلا به، ولا يمكن إدراك مقاصده إلا بواسطته، بل يستحيل تطبيق القرآن الكريم دون العودة للحديث الشريف، وتوضيح هذا فيما ورد: «أن عمران بن حصين رضي الله عنه كان جالسا ومعه أصحابه، فقال رجل من القوم: لا تحدثونا إلا بالقرآن، قال: فقال له: «أدنه» فدنا، فقال: «أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعا، وصلاة العصر أربعا، والمغرب ثلاثا تقرأ في اثنتين؟! أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن: أكنت تجد الطواف بالبيت سبعا، والطواف بالصفا والمروة؟! ثم قال: «أي قوم، خذوا عنا، فإنكم والله إن لم تفعلوا لتضلن»[٣].

ولهذا قال بعض العلماء: «فإن السنة عند العلماء قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاض على السنة»، ووضحوا هذه المقولة بما لا مزيد عليه، من كون الحديث الشريف -أي السنة بالمفهوم العام- مخصص لعموم الكتاب، مقيد لمطلقه، مبين ومفسر لمجمله، مؤول لظاهره، أي كما قال الشاطبي في الموافقات: «فالجواب: إن قضاء السنة على الكتاب ليس بمعنى تقديمها عليه واطراح الكتاب، بل إن ذلك المعبر في السنة هو المراد في الكتاب؛ فكأن السنة بمنزلة التفسير والشرح لمعاني أحكام الكتاب، ودل على ذلك قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل:٤٤)»[٤].

وهذا معنى واضح بل بدهي عند أهل العلم، ولكنني وجدت من يشغب على الناس ويدعي أن هذه العبارة فيها تقليل من كتاب الله تعالى، فأحببت أن أجلو الأمر وأوضحه على منبر هذه المجلة الرائدة. وبالله التوفيق.

الهوامش

١- متفق عليه.
٢- انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٦/٥٧).
٣- أخرجه الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية (١/١٥).
٤- انظر: الموافقات للشاطبي (٤/٣٠٩).

د. جميلة خليف | كاتبة وباحثة

(مقالات في الوعي وصناعة الحياة من منظور قرآني)

هندسة الأفكار

المشاعر في دائرة الوعي والتحكم

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٠)

عجيب هو القرآن في (وصف) بشرية الإنسان، تلك التكوينة الأمشاج، وذاك المزيج بين الطين والروح..

عجيب هو في وصف مشاعره وسلوكه، تلك المنطقة الحرجة التي حيرت العلماء بحثا وتنقيبا..

عالم الانفعال وأثره، وكيفيات التعامل وأساليبها..

عجيب هو القرآن في تقديم صورة حية، تجعل المعنى في نقطة تماس مع كل قارئ للآيات، ليجد نفسه في تفاصيلها، ويراها قادرة على كشف أغوار نفسه أمامه ليحسن التعامل معها..

والقصص القرآني هو المعين الذي يتدفق بتلك المعاني، كما أن الأنبياء عليهم السلام هم أبطال هذا القصص الذين يقدمون النموذج الذي يجب أن يقتدى بهديه ويحتذي حذوه..

إنه موسى عليه السلام..

قادم من الميقات، من حيث الطهر..

كان قادما من حيث حمل الرسالة وأعطي الأمانة..

بعد أن ترك قومه على وعد بالعودة لإكمال المسير..

هؤلاء الذين شهدوا آيات الله ومعجزته في نجاتهم وإغراق عدوهم، وقد آن أن يستلموا أمانة العهد الإلهي لإقامة دين الله على الأرض، لكنهم لم يلزموا الأمر وخانوا العهد!

عبدوا العجل ظلما وعدوانا، وأسكتوا صوت هارون إفسادا وإجراما..

ثم وصل الخبر..

هناك في الوادي المقدس..

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ (طه: ٨٥).

خبر كالصاعقة على مسامع ذي القلب الصبور الحليم..

لكن بشريته سبقته!

﴿..غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾

هكذا يقولها القرآن صراحة..

ويتعبد بها إلى قيام الساعة..

غضبان..

صيغة (فعلان) من الغضب!

وفيها امتلاء وانفعال واشتعال..

اختلطت جميعا ليصبح.. أسفا..

عاتبهم بكلمات شديدة..

وكأنه حينها من شدة الغضب والأسف..

ألقى الألواح!

ألقاها، وما عساه يفعل بما فيها وقد انتكس القوم!

ألقاها، في لحظة الغضب والأسف..

ألقاها وقد أسقط في يده لما علمه من حالهم، وتكشف له من حقيقة إيمانهم، فكيف لمن لم يصبر على عودة بعد غياب أن يصبر على حمل ما جاء من أحكام في الكتاب!

والتفت إلى .. أخيه..

(أخيه) دون ذكر الاسم..

(أخيه) لأن العلاقة هنا أهم..

لأن المكانة هنا أوجب..

لأن العلاقة أقرب..

وإذ به حين كان غضبان أسفا يلقي الألواح؛ لكنه حين أمسك برأس أخيه ... جره (إليه)!

إليه..

عاتبه..

سأله..

وكانت الإجابة من جنس النداء .. ﴿ٱبۡنَ أُمَّ ..﴾

يقول البقاعي: « ولما كان هارون عليه السلام غير مقصر في نهيهم، أخذ في إعلام موسى عليه السلام بذلك مخصصا الأم وإن كان شقيقه - تذكيرا له بالرحم الموجبة للعطف والرقة ولا سيما وهي مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف، فاستأنف سبحانه الإخبار عن ذلك بقوله: (قال ابن أم) وحذف أداة النداء وياء الإضافة لما يقتضيه الحال من الإيجاز»

كانت الإجابة تذكيرا وتطبيبا..

لأن بعض العلاقات كفيلة بأن تذهب الغضب، وأن تغفر الخطأ، وأن ترحم الضعف، وأن تتجاوز عن التقصير، حتى لو كان الحال خروج عن الحق وعبادة لعجل!!

كانت الإجابة ﴿ٱبۡنَ أُمَّ ..﴾

وكان الاسترحام ﴿.. فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾، في تنبيه مهم إلى عيون المتربصين، وكأن لسان حال هارون عليه السلام يقول:

«ما دمنا معا افعل بي ما شئت! لكن حين يتربص بعلاقتنا عدو؛ فاكظم غضبك.. ولا تشمت الأعداء!»

أي حال وصل إليه هارون الأخ!

وأي نظرة كان يحمل حين كانت التفاتته الأولى لأخيه: فلا تشمت بي الأعداء!

أي قدرة على كبح جماح النفس من جهة، واحتواء غضب الآخر من جهة ثانية..

لتكون الالتفاتة إلى ما هو أهم، والخروج من دائرة الغضب إلى دائرة الحل..

ثم ماذا فعل موسى!

﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (الأعراف:١٥١).

بلا حوار ولا عتاب..

يبدو أنه ترك كل شيء وتوجه إلى محراب..

محراب روحه ربما،

محراب أرضي..

قبلة ما..

وقلبا ما يدعو هناك..

﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي﴾؛

كلانا.. أخطأ،

وكلانا محتاج إلى غفران..

لم يقل له سأستغفر لنفسي فاذهب لتستغفر لنفسك عل الله يغفر لك!

بل شمله بدعاء، وضمه إليه..

اغفر لنا.. أدخلنا في رحمتك..

أليس هو الأخ! أوليس للأخوة حق..

حق في تصديق العذر ﴿..ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي﴾،

وحق في تقدير الطلب ﴿..فَلَا تُشۡمِتۡ ..﴾،

وحق في المشاركة في المغفرة كما في المسؤولية..

﴿ٱغۡفِرۡ لِي .. وَلِأَخِي﴾،

لأننا بدأنا المشوار سويا،

وخطأ أحدنا يحمله كلانا،

وذنب أحدنا يستغفر منه -أيضا- كلانا!

وكان لابد للدخول في المحراب من أثر..

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدًى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ (الأعراف:١٥٤).

﴿.. سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾،

ارجع قليلا – أيها المؤمن- واقرأ الآيات من جديد..

حاول أن تنصت إلى صوت الغضب المدوي حول موسى، من لحظة الخروج من الميقات إلى لحظة الوصول لأخيه،

سكت الغضب..

بعد دعاء واستغفار واسترحام..

وكان أول فعل بعد سكوته..

﴿.. أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾،

لأن ثمة فعل يحتاج إلى إصلاح واستدراك سريع،

ألقى وأخذ..

ثمة خطأ في لحظة الانفعال يحتاج إلى تصحيح..

أخذ ليبدأ من جديد مهمته التي تحملها، ورسالته التي ضمنها في الألواح..

أخذ..

لأن الإلقاء كان طارئا، تحت سلطان البشرية والطين، والأخذ كان بعده لائقا، تحت سلطان الوعي والهدوء الرصين..

إنه الوصف الدقيق للمشاعر حين تشتعل فتذهب بقدرة العقل على التحكم بالفعل..

والتجاوز عن التدقيق على فعل الانفعال إلى ما بعده!

والتأكيد على أن ما بين الخطأ وتصحيحه (دعوة) وافتقار واسترحام..

وأن المهمة لابد أن تكتمل مهما كان الخطأ،

وأن للعلاقات حقوق،

وأن الإنسان في مدرسة الحياة يتعثر ليتعلم..

ولا بأس عليه إن -في لحظة الغضب- ألقى..

المهم أن يتبعه بـ (أخذ..) ويكمل المسير..

المصادر

- القرآن الكريم
- تفسير البقاعي
- تفسير السعدي

أ.د. محمود محمد الكبش
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى

الاستشهاد بالشعر عند الأصوليين (٣/٣)

كل من يطلع على كتب الأصوليين يلفت نظره كثرة استشهادهم بالشعر، واحتجاجهم به على مسائل أصول الفقه، وليس ذلك بغريب في الأصل؛ إذ إن هذا الفن -باتفاق من كتب فيه- مستمد من اللغة العربية، وقد علمت أن الشعر وعاؤها، وظرف معانيها.

وقد رأيت أنه لا يدعي أحد أن توظيف الشعر للاستشهاد به حكر على فنه الذي يتقنه، أو يقرأ فيه؛ بل كل يراه حاضرا في كثير جدا من العلوم الشرعية وغيرها؛ فالشعر -كما يقول الدكتور محمود محمد الطناحي (ت:١٩٩٩م)[١]- متعة الأديب، وذوق البلاغي، وحجة المفسر، وسند الأصولي، ودليل الفقيه، وشاهد النحوي، وميزان العروضي، ووثيقة المؤرخ، وخارطة الجغرافي.

سادسا: أغراض إيراد الشاهد الشعري عند الأصوليين:

يرد الغرض في اللغة بمعنى الهدف، والقصد، والحاجة.

ففي «لسان العرب»[٢]: «والغرض هو الهدف الذي ينصب فيرمى فيه، والجمع أغراض، وفي حديث الدجال: (أنه يدعو شابا ممتلئا شبابا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض)، الغرض ها هنا: الهدف؛ أراد أنه يكون بعد ما بين القطعتين بقدر رمية السهم إلى الهدف».

ويقال: غرضه كذا؛ أي: حاجته، وفهمت غرضك؛ أي: قصدك.

فالأغراض هنا؛ هي أهداف الأصوليين ومقاصدهم من إيراد الشواهد الشعرية في المسائل الأصولية.

وللوقوف على أغراضهم؛ فقد تتبعت جملة كبيرة من شواهد الأصوليين؛ بل أحصيت -دراسة- شواهد أكثر من كتاب؛ فتكونت لدي قناعة أنها لا تخرج في الغالب عن ثلاثة أغراض؛ هي:

❖ الغرض الأول: الاستشهاد اللغوي.

وهو أوسع الأغراض؛ لدخوله في كل باب من أبواب الأصول، بل قد تكون شواهد باب كامل -على حسب ما وقفت عليه- كلها من هذا القبيل؛ كما في المسائل المتعلقة بباب الأحكام الشرعية.

والاستشهاد اللغوي يدخل فيه كل ما سيق لبيان معاني الألفاظ، والمفردات اللغوية، أو بيان المعاني المشتركة بين الألفاظ العربية، أو بيان اشتقاق الألفاظ، والوقوف على أصلها اللغوي، وكل هذا مما ورد في كتب الأصول، وإليك بعضا منها للتمثيل على الغرض:

- فمنه: ما أورده الآمدي في «الإحكام»[٣] في تحقيق معنى المندوب؛ حيث يقول: «والمندوب في اللغة مأخوذ من الندب، وهو الدعاء إلى أمر مهم، ومنه قول الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا»[٤].

ويقال له: ندب، من إطلاق المصدر على اسم المفعول.

فغرض الآمدي هنا فقط الوقوف على معنى الندب لغة، وهو من باب بيان معاني المفردات.

- ومنه: ما أورده الزركشي في «البحر المحيط»[٥] من شاهد على جواز إطلاق لفظ الحرام على الوجوب؛ حيث قال: «الحرام؛ وهو لغة: المنع...، ويطلق بمعنى الوجوب؛ كقوله:

فإن حراما لا أرى الدهر باكيا
على شجوه إلا بكيت على عمرو[٦]

وعليه خرج قوله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (الأنبياء: ٩٥) أي: وواجب على قرية أردنا إهلاكها أنهم لا يرجعون عن الكفر إلى الإيمان».

فالزركشي هنا؛ إنما أورد هذا المثال بيانا للمعاني المشتركة بين الألفاظ العربية، ولا أثر لها أصوليا، لا سيما أن الفقهاء والأصوليين يرون أن بين الحرام والواجب تناقضا؛ فهما لا يجتمعان في شخص واحد على محل واحد.

❖ **الغرض الثاني: الاستدلال به على القاعدة.**

ويكون ذلك بجعل الشاهد الشعري نفسه دليلا على المسألة الأصولية، أو أحد أدلتها، فلم يسق فقط لبيان معنى لغوي؛ كما هو في الغرض الأول، ولم يسق أيضا للاستئناس؛ كما هو في الغرض الثالث، على ما سيأتي.

وضابطه: توقف القول وابتناؤه عليه صحة وضعفا عند المستشهد به؛ سواء اعترض عليه أم لم يعترض.

وغالبا ما يعبر عنه الأصوليون بلفظ الاحتجاج، أو الاستدلال، أو بكونه ثابتا في الشرع واللغة.

ومن النماذج في كتب الأصول الموضحة لهذا الغرض ما يلي:

– ما أورده البخاري في «كشف الأسرار»[٧] من شواهد الاعتراض على اعتبار الوقت سببا لوجوب الصلاة؛ حيث يقول: «ومجيء (اللام) للوقت كثير شائع في الشرع واللغة؛ قال عليه السلام: (المستحاضة تتوضأ لكل صلاة)؛ أي: لوقت كل صلاة. وقالت الخنساء:

يذكرني طلوع الشمس صخرا

وأذكره لكل مغيب شمس[٨]

أي: لوقت مغيبها».

وشيوع (اللام) في اللغة على الوقت دليل مرجح لمن قال به، وإن كان مما يعترض عليه؛ فقد قال البخاري بعد إيراد الشاهد المذكور: «ويمكن أن يجاب عنه: بأن ورود (اللام) للتعليل أكثر من ورودها بمعنى الوقت، وقد تأيد كونها للتعليل بتكرر الحكم عند تكرره، وإضافة الواجب إليه شرعا وعرفا؛ فحملت على التعليل».

وهذا الرد، وإن كان لا يعنينا هنا؛ فهو أيضا من نفس الباب الذي نستدل به، وهو الاستدلال باللغة.

– ما أورده القرافي في شرح تنقيح الفصول[٩] من شواهد مخاطبة الكفار بالفروع؛ حيث قال: «في خطاب الكفار بالفروع ثلاثة أقوال؛ ثالثها: الفرق بين النواهي والأوامر».

ثم قال: «ومنهم من آمن بظاهره وباطنه، وكفر بعدم الإذعان للفروع، كما يحكى عن أبي طالب أنه كان يقول إني لأعلم ما تقوله –يا ابن أخي– لحق، ولولا أني أخاف أن يعيرني نساء قريش على المغازل لاتبعتك، وفي شعره يقول:

لقد علموا أن ابننا لا مكذب

لدينا، ولا يعزى لقول الأباطل[١٠]

فهذا تصريح باللسان، واعتقاد بالجنان، غير أنه لم يذعن، وكذلك من يقول من الكفار: إني لأعلم أن دين الإسلام حق، ولكني أخاف من الإسلام فوات منصب».

والشاهد هنا: استدلال البخاري –رحمه الله تعالى– بالشعر على ترجيحه، مع أنه قد لا يكون دليلا مستقلا على المسألة ما لم يضف إليه الدليل المنقول.

والمقصود هنا: الاستشهاد بالشعر، وإن لم يكن على سنن ما سبق.

❖ **الغرض الثالث: الاستئناس.**

وهو أن يأتي الأصولي بالشواهد الشعرية للتمثل بها، والاسترشاد بأسلوبها؛ لارتباط هذه التراكيب والألفاظ باستعمالات خاصة ترد إلى الذهن، وإن لم تكن مرادة في السياق.

فقد يستحسن الأصولي شعر أحدهم لاشتراك موضوعه ببحثه، أو مناسبته لمعناه؛ ولا يكون لذلك أثر أصولي، ولا لغوي.

ومن النماذج في كتب الأصول لهذا الغرض:

– ما أورده البخاري في «كشف الأسرار»[١١] استطرادا عند كلامه صحة النوافل من الصبي لوجود الأهلية القاصرة؛ حيث يقول: «يقال: كيف يصح ضرب الصبي، والأمر به على الامتناع من أداء الصلاة؛ وهو عقوبة؟!! وقد ذكرت أن ما هو عقوبة ساقط عنه؛ فقال: هذا؛ أي: (الضرب المذكور في الحديث) ضرب تأديب، وتعزير؛ ليتخلق بأخلاق المسلمين، ويعتاد أداء الصلاة في المستقبل، لا عقوبة على ترك الصلاة في الماضي، والضرب للتأديب من أنفع المنافع في حق الصبي؛ كما قيل:

أدب بنيك إذا ما استوجبوا أدبا

فالضرب أنفع أحيانا من الضرب»[١٢].

فأنت ترى كيف أنه استشهد بهذا البيت، ولا علاقة له في إثبات أمر أصولي، ولا لغوي.

– وما أورده ابن حزم في «الإحكام»[١٣] من شاهد استئناسا على ما ذكره في معرض رده على من أعمل القياس من الفقهاء؛ حيث يقول: «وما نعلم في الأرض بدع السفسطائية أشد إبطالا لأحكام العقول من أصحاب القياس!!؛ فإنهم يدعون على العقل ما لا يعرفه العقل من أن الشيء إذا حرم في الشريعة وجب أن يحرم من أجله شيء آخر، ليس من نوعه، ولا نص الله تعالى، ولا رسوله ﷺ على تحريمه، وهذا ما لا يعرفه العقل، ولا أوجب العقل قط تحريم شيء، ولا إيجابه إلا بعد ورود النص، ولا خلاف في شيء من العقول أنه لا فرق بين الكبش والخنزير.

ولولا أن الله حرم هذا، وأحل هذا، فهم يبطلون حجج العقول جهارا، ويضادون حكم العقل صراحا، ثم لا يستحبون أن يصفوا بذلك خصومهم؛ فهم كما قال الشاعر:

ويأخذ عيب الناس من عيب نفسه

مراد لعمري ما أراد قريب[١٤].

فليس في الشاهد ما يستدل به على عين المسألة، كما أنه لا يستشهد به على معنى لغوي فيها، وإنما هو كالشواهد التي يتمثل بها المصنفون على المعاني المذكورة في كتبهم.

سابعا: أثر الاستشهاد بالشعر على المسائل الأصولية

الفرق بين هذا المبحث والذي قبله: أن الغرض هو قصد الأصولي من إيراد الشاهد الشعري؛ وهو -كما مر معنا- إما للاستشهاد، أو الاستدلال، أو الاستئناس.

أما هنا؛ فهو بيان تأثير هذا الاستشهاد في المعنى الأصولي، أو بيان تأثير الاستدلال بالشعر في الترجيح بين الأقوال المختلفة في المسألة الأصولية.

أما الاستئناس؛ فلا مدخل له هنا؛ كونه واردا على غير معنى مؤثر.

وسينتظم الكلام هنا في أثرين:

❖الأول: أثر الاستشهاد بالشعر في تقرير القواعد الأصولية

ويدخل فيه إثبات المعنى اللغوي المؤثر في القاعدة الأصولية بالشاهد الشعري، أو إثبات القاعدة الأصولية نفسها به؛ وها أنا الآن أوضحه لك بما يلي:

- فمنه: ما أورده الآمدي في «الإحكام»[١٥] في باب الحروف عند بيان معنى الحرف، واستعمالاته؛ حيث قال: «القسم الثاني: ما يكون حرفا واسما؛ كـ: (على)، و(عن)، و(الكاف)، و(مذ)، و(منذ):

فأما (على)؛ فهي للاستعلاء، وهي: إما حرف؛ كقولك: على زيد دين، وإما اسم؛ كقول الشاعر:

غدت من عليه بعدما تم ظمؤها

تصل، وعن قيض بزيزاء مجهل[١٦]

وأما الكاف؛ فقد تكون حرفا للتشبيه؛ كقولك: زيد كعمرو، وقد تكون اسما؛ كقول الشاعر:

. . . . . .

يضحكن عن كالبرد المنهم»[١٧].

وقال: «وقد ترد (الفاء) مورد (الواو)[١٨]؛ كقول الشاعر:

. . . . . .

بسقط اللوى بين الدخول فحومل».

فها هو الإمام الآمدي هنا يستشهد بالشعر في إيضاح معنى الحروف، ويقرر قاعدة أصولية بناء على ما استدل به، وقد أسس أقسام الحروف ومعانيها أيضا بناء على ما أثبته اللغة من خلال الشواهد الشعرية.

وهكذا فعل في باقي الحروف على نحو ما سبق.

- ومنه: ما أورده المرداوي في «التحبير»[١٩] في أنواع المجاز؛ حيث قال في النوع السابع: «إطلاق الأثر على المؤثر؛ كتسمية ملك الموت موتا، وكقول الشاعر يصف ظبية:

. . . . . .

فإنما هي أقبال وإدبار[٢٠]

لأن الإقبال والإدبار من فعلها».

فقد أراد المرداوي أن يثبت المعنى الأصولي هنا في لغة العرب، والقرآن نزل بلغتهم؛ فاستدل بالشعر على ذلك، فظهر أن هذا النوع مما يحتمله اللسان العربي؛ فلا مجال لرده، وهو تأثير في المحل بالغ.

❖الثاني: أثر الاستشهاد بالشعر في الترجيح بين أقوال الأصوليين.

الترجيح في اللغة: مصدر رجح، يقال رجح الشيء يرجح إذا ثقل وزاد وزنه، وأرجح الميزان إذا ثقل ومال، ومنه ترجحت به الأرجوحة إذا مالت به، وترجح الرأي عنده غلب على غيره.[٢١]

وأما في الاصطلاح: فقد اتفق جمهور علماء الأصول على تعريف الترجيح بأنه من فعل المجتهد؛ فقالوا هو: «تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل»[٢٢].

في حين ذهب البعض إلى كون الترجيح صفة للأدلة؛ فقالوا في تعريف الترجيح: «هو اقتران الأمارة بما يقوى به على معارضها»[٢٣].

أما الحنفية فيعرفون الترجيح بقولهم: «إظهار قوة لأحد الدليلين المتعارضين لو انفردت عنه لا تكون حجة معارضة»، جامعين بين كون الترجيح من فعل المجتهد، وبين كونه صفة للأدلة[٢٤].

والمقصود هنا: أنه متى ما أورد الأصولي أقوال العلماء في مسألة ما، وذكر خلافهم، وأدلتهم، ثم رجح بينها؛ فإن كان يميل إلى ما يستدل به بالشعر؛ أورده تقوية القول الذي يقدمه.

ومن الأمثلة على ذلك:

- ما قرره السبكي في «الإبهاج»[٢٥] عند قول البيضاوي في حقيقة مجيء (في) في كلام الشارع: «ولم يثبت مجيئها للسببية»؛ حيث قال: «اعلم أن الإمام نقل عن بعض الفقهاء أنها للسببية؛ لقوله عليه السلام: (في النفس المؤمنة مائة من الإبل)، وضعفه بأن أحدا من أهل اللغة ما ذكر ذلك، مع أن المرجع في هذه المباحث إليهم، وهذا الذي ذكره الإمام ضعيف من وجهين:

أحدهما: أنه شهادة نفي، وقد رد هو على ابن جني في مسألة (الباء) بذلك، فكيف يرد به هنا؟!

والثاني: أن ذلك شائع ذائع في لسان العرب، وفي القرآن، والسنة، وشعر العرب».

فاستدل بالقرآن، والسنة، ثم قال:

وأما العرب؛ فقال الشاعر:

بكرت بالوم تلحانا
في بعير ضل، أو حانا[٢٦]

... وهذا هو الذي اختاره ابن مالك. والإنصاف في لفظة (في) أنها حقيقة في الظرفية مجاز في السببية».

فقد احتج هنا بأهل اللغة، واستدل على ذلك بشيوعه، وذيوعه عندهم، وبما ورد من شعرهم، وعلل اختياره كذلك باختيار ابن مالك له.

- وما ذكره ابن قدامة عند استدلاله في مسألة «دلالة الأمر المجرد على الوجوب»[٢٧]؛ حيث قال: الرابع[٢٨]: أن أهل اللغة عقلوا من إطلاق الأمر الوجوب؛ لأن السيد لو أمر عبده؛ فخالفه حسن عندهم لومه وتوبيخه، وحسن العذر في عقوبته بمخالفة الأمر، والواجب: ما يعاقب بتركه، أو يذم بتركه.

فإن قيل: إنما لزمت العقوبة؛ لأن الشريعة أوجبت ذلك.

قلنا: إنما أوجبت طاعته إذا أتى السيد بما يقتضي الإيجاب، ولو أذن له في الفعل، أو حرمه عليه = لم يجب عليه. ولأن مخالفته الأمر معصية؛ قال الله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ (التحريم: ٦)، وقال: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ (طه: ٩٣). ويقال: أمرتك؛ فعصيتني.

وقال الشاعر:

أمرتك أمرا جازما فعصيتني
. . . . . [٢٩] .

فإيراد ابن قدامة للشاهد الشعري هنا إنما كان استدلالا لمن ذهب إلى القول بالوجوب؛ ولذا أتى في معرض الرد على المخالف.

وقد أورد هذا البيت الشعري أكثر الأصوليين في هذه المسألة.

والنماذج من كتب الأصول -على ما ذكر- أكثر من أن تحصر، وفيما سبق من أمثلة كفاية، والاقتصار على ما يوضح القاعدة أولى من الاسترسال بذكر الشواهد والتطويل؛ لأن القصد هنا التمثيل على ما كان من تأصيل.

فإذا فهم الأمر، واستقر المعنى في الأذهان كان إثباته -لمن أراد التوسع- يسيرا، وما عليه إلا الرجوع إلى كتب الأصول، والنظر في مواضع الاستشهاد، وتصنيفها وفق التأسيس السابق.

والله أعلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الهوامش

(١) محقق «كتاب الشعر» لأبي علي الفارسي؛ في المقدمة ص١٤.
(٢) (١٩٣/٧).
(٣) (١٦٣/١).
(٤) البيت للشاعر قريط بن أنيف العنبري، وهو شاعر إسلامي. هذا ما نقله البغدادي في «الخزانة» (٤٤٦/٧). وشكك صاحب «شرح الشواهد الشعرية» (٢٠٤/٣) أن يكون الشاعر إسلاميا.
(٥) (٢٠٤/١).
(٦) من قول عبدالرحمن بن جمانة المحاربي؛ جاهلي؛ كما في «لسان العرب» (١١٩/١٢) (حرم).
(٧) (٥٠٣/٢).
(٨) ديوان الخنساء (ص٦٧).
(٩) (ص١٦٣).
(١٠) البيت من قصيدة أبي طالب عم النبي ﷺ. ينظر: «ديوانه» (ص٦٦)، والخزانة (٥٩/٢).
(١١) (٣٥٨/٤).
(١٢) لم أقف على قائله فيما رجعت إليه من كتب.
(١٣) (٤٧٥ /٧).
(١٤) لم أجده فيما رجعت إليه من كتب.
(١٥) (٩٥/١).
(١٦) البيت لمزاحم بن الحارث العقيلي. ينظر: «شرح المفصل» لابن يعيش (٤٩٨/٤)
(١٧) الرجز للعجاج في «ملحق ديوانه» (٣٢٨/٢)؛ وخزانة الأدب (١٦٦/١٠).
(١٨) (١٠٢/١).
(١٩) (١٠٢/١)
(٢٠) البيت للخنساء في ديوانها (ص٣٨٣)؛ وخزانة الأدب (٤٣١/١)، (٣٤/٢).
(٢١) ينظر: مادة (رجح) في «القاموس المحيط» (٧٥٤/١)، «لسان العرب» (٤٤٥/٢).
(٢٢) ينظر: «المنهاج للبيضاوي» (٧٨٧/٢)، «البحر المحيط للزركشي» (١٣٠/٦)، «نهاية السول» للإسنوي (١٥٦/٣).
(٢٣) ينظر شرح كوكب المنير(٦١٦/٤)، الإحكام للآمدي (٢٤٥/٤).
(٢٤) ينظر: كشف الأسرار للبخاري (١٣٤/٤، ١٣٣).
(٢٥) (٣٤٨/١).
(٦٢) أورده ناظر الجيش في «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد» (٢٩٥٥/٦) بدون نسبة، وفي معناه انظر «اللسان»: مادة «حان، ولحى» وحان -هنا-: هلك.
(٢٧) «روضة الناظر» (٥٥٧/١).
(٢٨) أي: من الأدلة على ذلك؛ فقد قال قبل: «ولنا: ظواهر الكتاب، والسنة، والإجماع، وقول أهل اللسان».
(٢٩) شطره الأول للحصين بن المنذر الرقاشي، ينظر: «شرح المفصل» لابن يعيش (٤١٤/١).

ريمية شليويح الشلاحي | كاتبة وباحثة

هوية ثقافية ومساحة للحوار معرض الكويت الدولي للكتاب

يعد الشعر العربي مرآة لتاريخ الأمة وثقافتها، وقد مر بتحولات منذ أن خط الإنسان أولى كلماته على الورق، ظل الكتاب رمزا للمعرفة ووعاء للهوية الإنسانية، وفي عالمنا اليوم، حيث إن التكنولوجيا سائدة في العالم يبقى الكتاب شاهدا حيا على أن المعرفة العميقة لا تنقرض. ومن هنا تأتي أهمية المعارض الدولية للكتاب.

وفي هذا السياق، يعد معرض الكويت الدولي للكتاب من أبرز الفعاليات الثقافية في المنطقة العربية، وأحد أقدم المعارض الخليجية التي حافظت على حضورها المتجدد والمتميز منذ انطلاقته الأولى عام ١٩٧٥. ولم يكن هذا الاستمرار محض صدفة بل هو انعكاس لأهمية الجانب الثقافي في الكويت باعتباره وعاء للمعرفة ووسيلة للتواصل الحضاري.

مشاركة معرض الكويت الدولي للكتاب

يعد معرض الكويت الدولي للكتاب من أحد أهم الملتقيات الثقافية في المنطقة. وتتميز مشاركته بحضور واسع من دور النشر العربية والعالمية، ففي إحدى الدورات شارك فيه مئات الدور من أكثر من ثلاثين دولة، وذلك يعكس المكانة التي يحتلها المعرض على خريطة الثقافة العربية. وتنوعت المشاركات بين دور نشر كبرى معروفة وأخرى ناشئة تسعى لإبراز أعمالها. كما حرصت إدارة المعرض على استضافة دول عربية كضيوف شرف في كل دورة، لإبراز التبادل الثقافي.

الكتاب بين الذاكرة والحداثة

يأتي المعرض في زمن تتسارع فيه التكنولوجيا، حيث تحاصر الشاشات والوسائط الحديثة عادة القراءة في زمن طغت فيه التكنولوجيا وأصبحت الشاشات والأجهزة ترافقنا في أغلب أوقاتنا حتى ما قبل النوم، ومع ذلك يثبت هذا الحدث السنوي أن الورق لا يزال حيا في قلوب القراء وأن الكتاب الورقي لم يفقد بريقه بل على العكس، لا يزال يحظى بقدرة الجمع بين الأجيال المختلفة، ويؤكد أن العلاقة مع النص المطبوع تحمل عمقا لا تستطيع الوسائل الرقمية منافسته؛ فنرى الطفل يتصفح قصته الملونة، والطالب يبحث عن مراجع تفيده في دراسته، والباحث يفتش عن إصدار نادر، وحتى القارئ العادي الذي يشتري رواية ليمضي معها أمسياته.

هوية خاصة تميز معرض الكويت الدولي للكتاب

يتميز المعرض عن غيره من المعارض الإقليمية بتوازنه بين الأصالة والتجديد. فإلى جانب ضخامته وعدد العناوين المعروضة فيه يعرف المعرض بتنظيمه الدقيق وتنوع فعالياته. فهو لا يقتصر على عرض الكتب فقط، بل يقدم سلسلة من الندوات والمحاضرات وورش العمل التي تجمع الكتاب والمفكرين والقراء في حوار مباشر.

ومن أبرز مميزاته أنه يهتم بالسن الناشئة، إذ يضم قسما خاصا بالأدب الموجه للصغار، مع وجود أنشطة تفاعلية تشجعهم على حب القراءة منذ سن مبكرة. ومن المميزات أيضا وجود شاشات ذكية تسهل للزائر البحث عن العناوين التي يريدها عبر الشاشة مما جعل هذه التجربة أكثر سلاسة ومتعة للزوار.

فضاء للثقافة والحوار

لا يقتصر دور المعرض على كونه مكانا للكتب، بل يتحول كل عام إلى ملتقى فكري يلتقي فيه الأدباء

والمفكرون والناشرون والقراء عبر الندوات والمحاضرات وورش العمل، يفتح المجال للنقاش حول قضايا معاصرة تتجاوز حدود الأدب إلى ميادين الفكر والفن والتقنية، بهذا يصبح المعرض ساحة حوار حضاري تعكس مكانة الكويت كجسر ثقافي في الخليج والمنطقة.

بعد اجتماعي وتربوي

يحمل المعرض رسالة اجتماعية أيضا، إذ يشجع الأسر على اصطحاب أبنائها، ويتيح للأطفال تجربة القراءة في أجواء محفزة، هذه الثقافة الأسرية للكتاب تزرع حب المعرفة منذ الصغر، وتعيد للقراءة مكانتها كعادة يومية، لا كخيار ثانوي، وفي ذلك استثمار طويل الأمد في بناء جيل قارئ وواع.

الدور العربي والإقليمي

من خلال استضافة مئات دور النشر العربية والدولية، يقدم المعرض منصة لتبادل الإنتاج الفكري بين دول المنطقة والعالم. وهو بذلك يساهم في تعزيز التواصل الثقافي العربي والعالمي، الأمر الذي يمنحه قيمة أبعد من كونه حدثا محليا ليغدو جزءا من خارطة المعارض الدولية المؤثرة.

الإحصاءات وعدد الزوار والمشاركون

شهد المعرض في دوراته الأخيرة إقبالا واسعا من الجمهور، حيث تجاوز عدد الزوار مئات الآلاف على مدى أيامه، وشارك فيه أكثر من خمسمئة دار نشر تمثل أكثر من ثلاثين دولة حول العالم.

ولم يقتصر الحضور على القراء الأفراد فقط، بل شاركت المدارس والجامعات والمؤسسات الثقافية، مما يعكس اهتمام المجتمع الكويتي بالثقافة والمعرفة.

في نهاية هذا المقال يمكن القول إن معرض الكويت الدولي للكتاب ليس مجرد حدث ثقافي عابر، بل هو رابط متين يربط الماضي بالحاضر، فهو يذكرنا بأن الكتاب رغم التطور التكنولوجي ما زال نبض الثقافة ومصدر الإلهام الأول للإنسان.

المصادر

- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- الموقع الرسمي لدار الحكمة.
- وكالة الأنباء الكويتية.
- Arab Time Online.
- Aljazeera – القسم الثقافي.

مريم الكندري | آداب لغة عربية

حيث تلتقي الأرواح بالكتب.. مكتبة البابطين

«الشعر نبض القلوب والأحاسيس وصورة الحياة وصوت العالم ورسالة الإنسانية وأملها في حل أزماتها»، هذا ما ذكره المغفور له عبدالعزيز البابطين، شبه الشعر بطوق النجاة الذي ينقذ الجميع من الغرق، وقد امتلأ قلب عبدالعزيز وعقله بحب الشعر منذ المهد حتى توفاه الله.

حياته

ولد عبدالعزيز سعود البابطين في دولة الكويت عام ١٩٣٦م، ومنذ الصغر كان لديه شغف بالأدب والشعر العربي، وقد تأثر ببيئته وأسرته التي كانت مهتمة بالثقافة. كان لوالده وأخيه الأكبر دور أساسي في زرع هذا الشغف داخله، وكان يعمل في بداياته في وظيفة حكومية هي «أمين مكتبة ثانوية الشويخ»، وذلك بسبب حبه للقراءة، قبل أن ينتقل إلى العمل الخاص ورجال الأعمال.

المسيرة المهنية والثقافية

وإلى جانب كونه رجل أعمال، كان البابطين شاعرا وأديبا، أسس مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية عام ١٩٨٩م تحت اسم «جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري». ومن مؤسساته أيضا مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي في الكويت، والتي افتتحت لتكون منارة للثقافة والشعر، وكان له دور مهم في دعم حركة الترجمة، وتحقيق المخطوطات الشعرية، وعقد الدورات التدريبية للشعر والنقد، ومحاور الحوار بين الثقافات.

إسهامات ومبادرات عبدالعزيز البابطين

قد أشار إلى أن الشعر العربي «ديوان العرب»، ويجب أن يُعطى ما يستحقه من الحفظ والتوثيق، وأسس معاهد ومدارس عربية في عدد من الدول لتعلم اللغة العربية والثقافة، وقدم منحا دراسية لطلاب من دول مختلفة، وكان له أيضا اهتمام بحوار الحضارات، وفتح جسور تواصل ثقافي مع الغرب والشرق من خلال دوراته وندواته في مدن مثل قرطبة وطهران وغيرها.

دواوينه الشعرية

- «بوح البوادي» – والذي يعد أول ديوان له، نشر عام ١٩٩٥م، الذي يُعبّر فيه عن ارتباطه بالبيئة الكويتية وبساطة الحياة البدوية، ممزوجة بحس وطني عميق.
- «مسافر في القفار» – صدر عام ٢٠٠٤م، وهو ديوان غني بالرموز والمعاني الإنسانية، وأيضًا يعكس رحلة الشاعر الداخلية بحثًا عن الجمال والحقيقة بلغة شاعرية رصينة.
- «أغنيات الفيافي» – صدر عام ٢٠١٧م، تتهادى القصيدة على رمال الزمن، وتحمل في طياتها نفس البادية ودفء الإنسان، وتغني للحب، وللأرض، وللكلمة التي تبقى ما بقي الحنين.

وغيرها من الدواوين الرائعة التي عُرفت بجمال لغتها وعمق معانيها، وتمحورت حول الوطن، والهوية، والإنسان، والعاطفة الصادقة.

وفاته

توفي عبدالعزيز سعود البابطين في ١٥ ديسمبر ٢٠٢٣م عن عمر ناهز ٨٧

عامًا، وقد تم تكريمه بعد وفاته وتقدير دوره الكبير في الثقافة العربية.

تعد هذه نبذة بسيطة عن حياة المغفور له، ونقطة من عطائه في عمق البحر الذي ورثه لنا الأستاذ عبدالعزيز البابطين. ومن أهم ما ورثه لنا ويعد كنزًا عظيمًا يجب علينا الاحتفاظ به، هو ذلك الصرح الكبير الذي توجد بين أرففه كتبًا ثمينة، لا يمكننا الاستغناء عنها وعما فيها.

مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي، هي الصرح الكبير الذي يوجد به كتبًا أدبية وشعرية عربية، وتعد أول مكتبة متخصصة في مجال الشعر العربي عالميًا، جعلها مؤسسها ملمحًا من ملامح الحضارة والمعرفة، والتي تم افتتاحها رسميا في ١٤ مارس عام ٢٠٠٦م في مدينة الكويت، وقد افتتحت برعاية وحضور سمو أمير دولة الكويت الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح رحمه الله.

تصميم المكتبة

صممت المكتبة على شكل كتاب مفتوح من الواجهة الأمامية والخلفية، وذلك دلالة على حبه للكتب، وأنه يرى الكتب كنزًا يجب الحفاظ عليه. وتضم المكتبة ثلاثة طوابق، لكل طابق نوع معين من الكتب، وتضم أيضًا مسرحًا كبيرًا.

أقسام المكتبة

الطابق الأرضي:

يعد الواجهة الرئيسة للمكتبة ويضم الخدمات الأساسية للزائرين:

- القاعة الرئيسة للمكتبة: مدخل الاستقبال ومكاتب الإرشاد وتوجيه الباحثين.
- قسم الفهارس الإلكترونية: أجهزة حاسوب حديثة تمكن الزائر من البحث في جميع محتويات المكتبة.
- قاعة الإنترنت: تتيح للزائرين والباحثين تصفح المصادر الرقمية والمواقع الأكاديمية.
- ركن الصحف والمجلات: يحتوي على الدوريات الأدبية والثقافية الصادرة في الوطن العربي.
- ركن إصدارات مكتبة البابطين: يضم إنتاج المكتبة من الكتب والسلاسل الأدبية الخاصة بها.
- مركز خدمات الباحثين: لتقديم المساعدة في إعداد الدراسات والبحوث.

الدور الأول:

يعد القلب العلمي للمكتبة، حيث يضم بين أرففه أكبر مجموعة من الكتب والدواوين الشعرية وأقيمها:

- قسم الشعر العربي: يحتوي على آلاف الدواوين الشعرية منذ العصر الجاهلي وحتى المعاصر.
- قسم الدراسات الأدبية والنقدية: كتب ودراسات تتناول الشعر وتحليله ونقده.
- قسم اللغة العربية وعلومها: مراجع لغوية وصرفية ونحوية تخدم الباحث في دراسة النصوص الشعرية.
- قسم المراجع والمعاجم: معاجم لغوية، تراجم، كتب أعلام، موسوعات أدبية.
- يضم هذا الدور أكثر من ١٠٠ ألف كتاب ودراسة شعرية وأدبية.

الدور الثاني:

الذي عُرف باسم مكتبة عبدالكريم سعود البابطين، وهو من أبرز الأقسام المتخصصة في النوادر.

- قسم الكتب والمخطوطات النادرة: يحتوي على نسخ قديمة وأصول طبعات أولى من دواوين الشعراء.
- قسم الدوريات القديمة: مجلات وصحف أدبية وثقافية من بدايات القرن العشرين.
- قاعة القراءة المتقدمة: للباحثين في الدراسات العليا والمختصين.

الدور الثالث:

- يضم إدارة المكتبة والأقسام الفنية والإدارية (قسم التصنيف والفهرسة، قسم التزويد، قسم الصيانة والترميم).
- يشرف أيضًا على الخدمات التقنية، بما في ذلك أنظمة الفهرسة الإلكترونية والموقع الإلكتروني للمكتبة.

المسرح

- يتسع لحوالي ٤٠٠ شخص.
- مزود بأحدث أنظمة الصوت والإضاءة والترجمة الفورية.
- تُقام فيه الأمسيات الشعرية، المؤتمرات، الندوات، والاحتفالات الثقافية.

هكذا صمم الأستاذ عبدالعزيز المكتبة التي ظهرت لنا بأجمل الصور، وهي الجسر الذي يربط الماضي بالحاضر، والكتاب بالإنسان، والفكر بالحضارة. ولكل ركن قصة تحكي لنا شغف المعرفة واحتفاءها بالثقافة العربية.

وبالرغم من هذا كله، جعل الأستاذ عبدالعزيز البابطين المكتبة مواكبة لعصرنا هذا، حيث تميزت بالفهارس الإلكترونية المتاحة عبر موقع المكتبة، وقاعدة بيانات خاصة بالشعر العربي متصلة بشبكات المكتبات العالمية. وبالإضافة إلى ذلك، نظام المبنى الذكي الذي يتيح التحكم بالإنارة والتهوية وأنظمة الأمن والسلامة.

وفي نهاية المطاف، تبقى مكتبة البابطين أكثر من مجرد رفوف للكتب؛ إنها روح الثقافة العربية النابضة، وذاكرة الأمة التي تحفظ تراثها وتبث الحياة في حروفها. من بين جدرانها يولد الإلهام، وتُروى عطاشى المعرفة من نبع لا ينضب، وأن الكتاب هو أساس النهضة، والكلمة هي جسر الحضارات.

وأخيرًا نشكر الأستاذ عبدالعزيز البابطين رحمه الله على إصراره على بناء هذا الصرح العظيم الذي يحمل بين أسفاره شعرا أدبيا عربيا لا يُنسى، وجعل للأدب مبنى عربيا كبيرا يرجع إليه محبو الشعر والأدب.

المراجع

- موقع المكتبة الرسمي www.albabtainlibrary.org

محمود شاكر محمود | اختصاصي إعلامي

الشارقة..

منارة الثقافة في الخليج العربي

عندما نذكر الثقافة والأدب والفنون في دول الخليج العربي، لا بد من التوقف عند إمارة الشارقة، التي بزغ اسمها عالياً في الريادة والاهتمام بالمجالات الثقافية والأدبية والفنية، والتي تختص أكثر بالدين الإسلامي واللغة العربية.

تعد إمارة الشارقة إحدى الإمارات السبع في دولة الإمارات العربية المتحدة، وقد أظهرت تميزا منذ عقود عن بقية الإمارات بوجه ثقافي وإنساني أصيل، جعلها تتبوأ مكانة رفيعة بين المدن العربية وحتى العالمية. فقد اختارت الشارقة أن تكون منارة للثقافة والمعرفة والفنون، وأن تبني نهضتها على أسس الفكر والتعليم. فهذا التوجه الثقافي لم يأتِ من فراغ، بل هو ثمرة رؤية حاكم الشارقة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، الذي آمن بأن الثقافة تبني الإنسان قبل أن تبني العمران، وأن الوعي هو أساس الحضارة الحقيقية.

مهرجان الفنون الإسلامية نموذجاً

بالرغم من أن الشارقة تركت بصمتها في استضافة وتنظيم معرض الكتاب، الذي يعد حدثاً كبيراً كونه يحتفي بالكتاب والثقافة والأدب بجميع أشكاله، فإنها لم تترك الجوانب الفنية الأخرى التي تلامس روح الإنسان وتهذبه.

منذ فترة ليست ببعيدة عُرفت إمارة الشارقة بأنها مدينة المتاحف والمعارض، إذ تضم أكثر من عشرين متحفا متنوعا يعكس مختلف جوانب الحياة الإنسانية والعربية والإسلامية. ومن أبرزها متحف الشارقة للحضارة الإسلامية، الذي يعرض كنوزا فنية ومخطوطات نادرة تجسد عظمة التراث الإسلامي، ومتحف الشارقة للفنون الذي يحتضن أعمالاً لفنانين عرب وعالميين، ويعد أحد أهم المراكز الفنية في المنطقة.

كما أن مؤسسة الشارقة للفنون تلعب دورا محوريا في دعم الفن المعاصر من خلال تنظيم بينالي الشارقة، وهو حدث فني عالمي يجمع فنانين من مختلف الدول لتبادل التجارب والتعبير عن قضايا الإنسان والمجتمع. وقد أسهم هذا الحدث في جعل الشارقة منصةً للفن الحديث في الشرق الأوسط.

وبالحديث عن مهرجان الفنون الإسلامية، لا بد من القول إن هذا المهرجان ترك بصمة في الوطن العربي والعالم، إذ

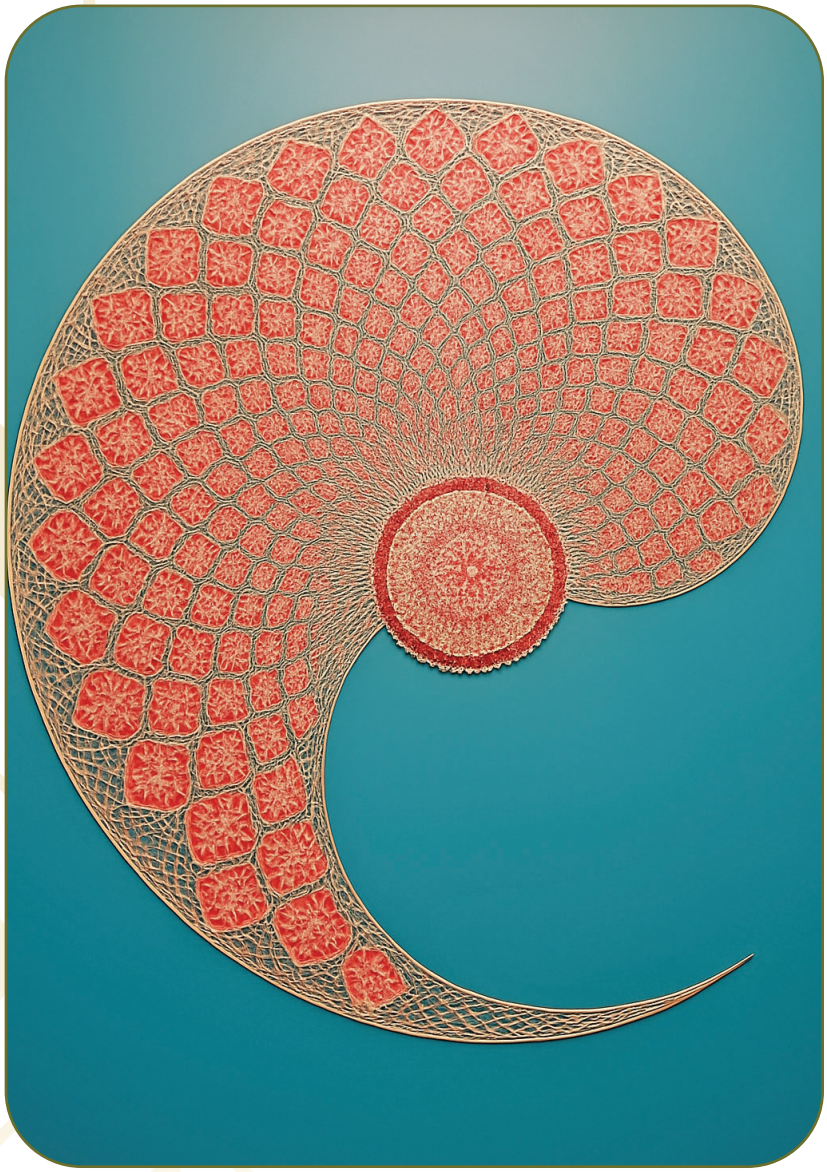

إنه منذ انطلاقته في العام ١٩٩٨، كان هدف المهرجان عرض الفن الإسلامي في بعديه الحضاري والجمالي، جامعاً كل عام أنماطاً فنية ثرية ومتنوعة. ويترجم ذلك رؤية الإمارة في تأصيل الفنون الإسلامية وتجديدها وترسيخ حضورها على الساحة العالمية المعاصرة للإبداع البصري، كون الحضارة الإسلامية كان لها السبق الأول في الفنون والأدب والطب والعلوم بشكل شامل، وعليه لا بد من استكمال هذا الطريق.

وفي كل عام يحتضن المهرجان مشاركات لفنانين عالميين من مختلف أقطار الأرض، يقدمون تجارب فنية دولية ضمن معارض فردية وجماعية، غالباً ما تحكي عن الفنون الإسلامية وتعرضها من منظور متطور يفتح آفاق التفكير للأجيال الجديدة وجمهور المهرجان.

ويتم سنويا اختيار ثيمة معينة للمهرجان، يستلهم منها الفنانون أعمالهم الفنية، سواء كانت لوحات أو أعمالاً تركيبية أو إضاءات رمزية تعبّر عن هوية المهرجان.

هذا العام تطلق إمارة الشارقة مهرجان الفنون الإسلامية بدورته الـ٢٦ في شهر نوفمبر ٢٠٢٥م بقيمة جديدة تحمل عنوان «سراج»، لما تحمله الكلمة من دلالة تتناسب مع طبيعة الحدث الفني؛ فالسراج يحيل إلى الضياء، وينادي الأفكار، ومثلما يستدعي الصور من دون حدود، فإنه ينجز صناعة الضوء بتمهّل.

ويذكر أن المهرجان يقام في مناطق مختلفة من الشارقة، مثل متحف الشارقة للفنون، وبيت الحكمة، وخورفكان، وواجهة المجاز المائية، وساحة الخط الشرقية والوسطى، وبيوت الخطاطين وغيرها من المناطق. ويستمر المهرجان بتقديم الأوجه الفنية والأدبية لمعنى كلمة «سراج» مع التركيز على دلالاتها التي ذُكرت في القرآن الكريم، والأبعاد البلاغية التي تقف خلف الكلمة، بأفكار ومواد سمعية وبصرية متنوعة. كما يتزامن مع انطلاق المهرجان تنظيم العديد من ورش النقوش الإسلامية والخط العربي والندوات التي تحاكي الفن الإسلامي وتطوّره.

لقد استطاعت الشارقة أن تثبت أن الثقافة ليست ترفا، بل هي قوة ناعمة قادرة على بناء الإنسان وتطوير المجتمعات. ومن خلال مشاريعها الفكرية والتعليمية والفنية، أصبحت الإمارة نموذجا يحتذى به في العالم العربي في كيفية الاستثمار في العقل والمعرفة. واليوم، ينظر إلى الشارقة على أنها قلب الثقافة الخليجية والعربية، وجسر يربط الماضي بالحاضر، وواحة للإبداع والحوار والتنوير. إنها مدينة تؤمن بأن الحضارة لا تقاس بما تشيّد من أبراج، بل بما تنتج من فكر، وما تُقدّمه من علم، وما تحافظ عليه من قيم.

المصادر

https://www.aletihad.ae/news/
https://www.elqarar.com/تجليات-الشارقة-في-مهرجان-الفنون
https://www.emaratalyoum.com/life/four-sides/٠٣-٠٦-٢٠٢٥/١,١٩٢٦٠٨٨
https://sharjahevents.ae/ar/

حسن عباس | محرر صحفي

«بين رمزية التضامن وغياب العدالة»

فلسطين.. قضية لا تغيب

منذ أن أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في التاسع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٧٧م اليوم الدولي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، صار هذا التاريخ محطة سنوية يتوقف عندها الضمير العالمي، ليعيد النظر في واحدة من أعدل القضايا وأكثرها رسوخا في الوجدان الإنساني والإسلامي: (قضية فلسطين).

وقد جاء اختيار هذا اليوم بالذات ليتزامن مع ذكرى صدور قرار التقسيم رقم (١٨١) عام ١٩٤٧م، الذي مثل البداية العملية لفصول طويلة من المعاناة الفلسطينية. ومن هنا، فإن استحضار هذه الذكرى ليس مجرد استعادة لماض أليم، بل هو تجديد للالتزام المجتمع الدولي تجاه حقوق شعب ما زال يبحث عن حريته وكرامته.

من ذكرى رمزية إلى واجب إنساني

قد ينظر البعض إلى اليوم الدولي للتضامن باعتباره مجرد مناسبة رمزية أو فعالية سياسية روتينية، غير أن جوهره أعمق من ذلك بكثير. فهو في حقيقته دعوة للإنسانية كلها كي تعيد التأكيد على أن حق الشعوب في تقرير مصيرها حق أصيل غير قابل للتصرف.

إن تضامن العالم مع فلسطين ليس منة تقدم، بل هو التزام قانوني وأخلاقي واجب على كل من يؤمن بالعدالة وحقوق الإنسان؛ التزام بحماية الأبرياء من الاحتلال، ورفض سياسات القمع والتهجير القسري والاستيطان، والوقوف ضد كل أشكال الانتهاك لحقوقهم الإنسانية، والحفاظ على كرامة الشعب الفلسطيني في مواجهة محاولات طمس هويته وتشريد أهله.

مسؤولية دينية

لا يقف الإسلام موقف المتفرج من المظلومين، بل يجعل نصرتهم واجبا دينيا وركيزة أساسية من ركائز الإيمان.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ (النساء: ٧٥)، في توجيه صريح بأن الدفاع عن المستضعفين واجب على الأمة. والتضامن مع فلسطين يدخل في صميم هذا الواجب، إذ يجمع بين نصرة المظلومين، وحماية المقدسات، وصون الهوية، والحفاظ على كرامة شعب سلبت حقوقه. وقد بين الرسول ﷺ قيمة التضامن بين المؤمنين بقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه

عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم).

وفلسطين اليوم هي العضو الجريح الذي يئن، والأمة كلها مدعوة لأن تشعر بألمه، وتتحرك لنصرة أهله، ليس بالكلمات فقط، بل بالوعي، والعمل، والدعاء، والتضامن المادي والمعنوي، ليظل الحق حاضرا، ولتظل فلسطين رمزا للعدالة والحرية في قلب كل مؤمن.

فلسطين.. جرح الأمة

منذ أكثر من سبعة عقود، ما زالت فلسطين جرحا مفتوحا في جسد الأمة الإسلامية، ينبض بألم وتشريد ملايين الأبرياء، ويشهد على تحديات تاريخية ما زالت مستمرة حتى اليوم. وهي ليست مجرد قضية سياسية أو خلاف حدودي، بل هي ميدان اختبار لوحدة الأمة وصدقها، ومقياس مدى التزام المسلمين بالعدل والقيم الإنسانية. إن فلسطين ليست قضية الفلسطينيين وحدهم، بل هي قضية كل مسلم وإنسان حر يرفض الظلم والاستبداد، لأنها تختزل معاني الكرامة والحرية والعدل، وترمز إلى مقاومة الاستعمار والاحتلال، وصرخة شعب يبحث عن أرضه وحقه المسلوب منذ عقود طويلة.

الكويت نموذجا

وسط هذا المشهد، تبرز الكويت كدولة جعلت من التضامن مع فلسطين سياسة ثابتة لا تتغير بتغير الظروف. فمنذ بدايات القضية الفلسطينية، كان الموقف الكويتي واضحا في دعم حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، سواء في المحافل الدولية أو عبر الدبلوماسية النشطة.

ولم تقتصر الكويت على الجانب السياسي فحسب، بل امتدت أياديها البيضاء إلى الدعم الإنساني والإغاثي، عبر «الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية» و«الصندوق الكويتي للتنمية» و«الهلال الأحمر الكويتي» وغيرهما من المؤسسات التي قدمت المساعدات التعليمية والطبية والإغاثية للشعب الفلسطيني.

كما أن الموقف الشعبي الكويتي لا يقل رسوخا عن الموقف الرسمي؛ فقد بقيت فلسطين حاضرة في وجدان الشعب الكويتي، وفي إعلامه وخطابه الثقافي والدعوي، وفي الفعاليات التي تعكس وعيا راسخا بأن هذه القضية ليست بعيدة عنه، بل هي جزء من هويته.

التحديات المعاصرة

على الرغم من مرور عقود طويلة على القضية الفلسطينية، ما زال الشعب الفلسطيني يواجه تحديات مستمرة ومعقدة، تتراوح بين الاحتلال المباشر والتضييق على الحريات، إلى الحصار الاقتصادي والاجتماعي الذي يهدد حياة ملايين المدنيين. ومع تصاعد الحملات الإعلامية المغرضة ومحاولات تشويه الحقائق، يصبح الحفاظ على وعي الأمة بقضية فلسطين أمرا أكثر إلحاحا. هذه التحديات المعاصرة تستدعي من الأمة الإسلامية والمجتمع الدولي اتخاذ موقف فعال ومستمر، لا يقتصر على البيانات والتصريحات، بل يشمل دعما عمليا ملموسا عبر المساعدات الإنسانية، والمبادرات الثقافية، والأنشطة الإعلامية التي تكشف الحقيقة وتدعم صمود الفلسطينيين، فالتضامن اليوم لم يعد رفاهية أخلاقية، بل ضرورة ملحة لمواجهة محاولات النسيان والتهميش، ولتأكيد أن القضية الفلسطينية ستظل حية في وجدان كل مسلم وعاقل حول العالم.

من التضامن إلى الفعل

إن أخطر ما يمكن أن يهدد قضية عادلة مثل فلسطين هو أن تتحول إلى مجرد شعارات جوفاء أو مناسبات روتينية بلا أثر حقيقي، فالتضامن الحقيقي لا يقاس بالكلمات وحدها، بل بالأفعال التي تدعم الحق وتنصر المظلوم، سواء عبر تقديم المساعدات الإنسانية، أو المبادرات الثقافية والفنية، أو الحملات الإعلامية التي تكشف الحقيقة وتفضح الاحتلال. إنه التزام يومي وموقف عملي يظهر صدق الأمة في نصرة فلسطين، ويحول التعاطف من شعور مؤقت إلى تأثير ملموس يرفع من صمود الشعب الفلسطيني ويعزز وجوده وهويته.

وبهذا المعنى يصبح التضامن مع فلسطين فعلا حضاريا شاملا، لا يقتصر على البعد السياسي، بل يمتد ليشمل التربية والثقافة والاقتصاد والعمل الإنساني.

خاتمة

إن اليوم الدولي للتضامن مع الشعب الفلسطيني ليس مجرد ذكرى نحييها كل عام، بل هو فرصة لتجديد العهد مع فلسطين وأهلها، ومع أنفسنا وقيمنا، يوم نعيد فيه التأكيد على أن فلسطين ستظل البوصلة، وأن الدفاع عنها هو دفاع عن الحق والعدل والكرامة الإنسانية. ومن هنا، فإن مسؤولية الأمة الإسلامية أن تظل وفية لهذه القضية، حتى تتحقق العدالة ويرفع الاحتلال ويعود الحق إلى أصحابه. ففلسطين ليست مجرد أرض محتلة، بل هي عنوان كرامة الأمة، ورمز صمودها.

المصادر

١- اليونسكو – اليوم الدولي للتضامن مع الشعب الفلسطيني.

٢- وكالة الأنباء الكويتية (كونا) – الكويت والقضية الفلسطينية.

٣- مؤسسة الدراسات الفلسطينية – الفلسطينيون والكويتيون: الصراع والفرص الضائعة.

محمد الحميدي | كاتب وباحث

صور من وقف الكتب في الكويت

الحمد لله الذي شرع الوقف وجعل فيه خيرا للمسلمين، والصلاة والسلام على رسول الله الذي بين سنن الوقف في شتى المجالات.

يعتبر الوقف من أهم المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها الحضارة الإسلامية، حيث لم تقتصر آثاره الإيجابية على الجوانب الدينية أو الاجتماعية فقط، بل امتدت لتشمل الجانب التعليمي والعلمي بصورة كبيرة، ولعب الوقف دورا رئيسيا في دعم الحراك العلمي والثقافي في عالمنا الإسلامي.

الوقف لغة: الحبس؛ ومنه: وقفت الدار وقفا أي حبستها في سبيل الله، وموقوف أي محبوس والجمع أوقاف ووقف الرجل عن الشيء وقفا أي منعته عنه[1].

الوقف اصطلاحا: تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة. وقيل: هو: حبس العين عن التمليك مع التصرف بمنفعتها فتكون العين زائلة إلى ملك الله تعالى[2].

مشروعية الوقف

أتت مشروعية الوقف العلمي من مشروعية الوقف بشكل عام، ودلت على مشروعيته آيات كثيرة والعديد من الأحاديث، ومن هذه الأدلة عموم الآيات التي تأمر بالإنفاق في أوجه الخير ومنها قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران:٩٢)، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ﴾ (المزمل:٢٠). ووجه الاستدلال من جميع هذه الآيات: «أن فيها دعوة للإنفاق في أوجه الخير والبر وتحذيرا من شح النفس الأمارة بالسوء ... ومن أعظم أبواب الخير والبر: الوقف على جهات

الخير»[٣].

الوقف في المجتمع الإسلامي

سن رسول الله ﷺ لنا سنة حسنة عندما بنى أول وقف في الإسلام وهو مسجد قباء الذي بناه رسول الله ﷺ حين قدومه مهاجرا إلى المدينة المنورة قبل دخولها. وقيل أول وقف أوقفه رسول الله ﷺ للحوائط السبعة[٤] بالمدينة والتي كانت لرجل اسمه مخيريق وقاتل مع المسلمين يوم أحد وأوصى إن أصبت فأموالي لمحمد يضعها حيث أراه الله تعالى وقد قتل يوم أحد فقال النبي ﷺ: «مخيريق خير اليهود»، وقبض النبي ﷺ تلك الحوائط السبعة فتصدق بها[٥] أي وقفها.

وحرص أهل الكويت على الوقف ومن أقدمها بناء أهل الكويت مسجد ابن بحر الذي يرجع تاريخ إنشائه إلى ١٦٩٥م، وبرزت أسماء قضاة الكويت في توثيق الأوقاف، منهم الشيخ محمد بن عبدالله العدساني، وتنوعت أغراض الوقف وتنوعت الأعيان الموقوفة فشملت المنازل والدكاكين وآبار المياه ومزارع النخيل والحظائر البحرية.

واستمر الوقف يدار بصورة أهلية حتى عام ١٩٢١م عندما تم إنشاء دائرة الأوقاف وقصد منه في بدايته تنظيم الأوقاف على المساجد وترتيب رواتب الأئمة والمؤذنين والخطباء[٦]. وتوسعت الدائرة وشارك الأهالي إدارة الأوقاف من خلال إنشاء مجلس الأوقاف وترأسه الشيخ عبدالله الجابر، رحمه الله، وتم تشكيل المجلس الأول ١٩٤٩م وأعيد تشكيله في ١٩٥١ و١٩٥٦، و١٩٥٧م[٧].

الوقف في الكويت

تنوعت وتعددت غايات وأشكال الوقف في الكويت فمن هذه الأوقاف:

أ - الوقف على المساجد، ويكون على الإمام أو المؤذن لدفع راتبه وتعمير مسكنه وما يحتاجه، وعلى المسجد لتعميره وصيانته وما يحتاج إليه من أدوات، وربما كان الوقف على بناء مسجد خارج الكويت[٨].

ب - الوقف على المدارس العلمية والكتاتيب المدرسية لتحفيظ القرآن وتدريس العلم، فلم يهمل أهل الكويت العلم والقرآن، فقد عينوا وقفا لينفق ريعه على المدرسة الموقوفة على المسجد.

مثاله: وقف المدرسة الواقعة قريبا من مسجد الحداد على طلبة العلم[٩].

المبحث الأول

وقف الكتب على عامة الطلبة

وقف الكتب لعامة الطلبة يعكس قيمة الوقف الإسلامي في تقديم العلم دون تمييز بين الطلاب. وقد اهتم الفقهاء بوقف الكتب على عامة الطلبة لنشر المعرفة وتيسير الحصول على المصادر، إذ «قلما نجد مدينة تخلو من كتب موقوفة[١٠]». والكويت شهدت تاريخا طويلا من الأوقاف التي ساهمت بشكل مباشر في دعم العملية التعليمية.

أولا - الوقف على طلبة العلم الموصفين بوصف معين

توجه بعض الواقفين إلى تخصيص الوقف لفئات معينة من الطلاب، سواء من المتخصصين في علوم محددة أو من الذين أظهروا مستوى عاليا من التحصيل، رغبة في دعم طلبة العلم المتفوقين.

مكتبة الدحيان

«ومنذ البدء كان الفرد هو صاحب الفضل في ترسيخ بنية المكتبة، هو الذي يبحث ويجمع ويكون مكتبة، ثم يوقفها لتكون نافذة ثقافة للجميع[11]». ظهر الكثير من الأوقاف العلمية في الكويت، وكان من أبرز الأوقاف العلمية وقف مكتبة علامة الكويت الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان رحمه الله الحنبلي[12].

كان الشيخ الدحيان، رحمه الله، مولعا بجمع المخطوطات، يحرص على الحصول عليها والمغالاة في أثمانها، فكان له في نجد أربعة وكلاء يجمعونها له وبلغت مكتبته نحو ٤٠٠ - ٥٠٠ مخطوط[13].

وقفه الكتب على طلبة العلم

أوقف العلامة الدحيان مكتبته على ابن اخته الشيخ أحمد بن خميس الجيران، وبعد وفاته نقلها الورثة إلى وزارة الأوقاف لتصبح نواة مخطوطات الوزارة.

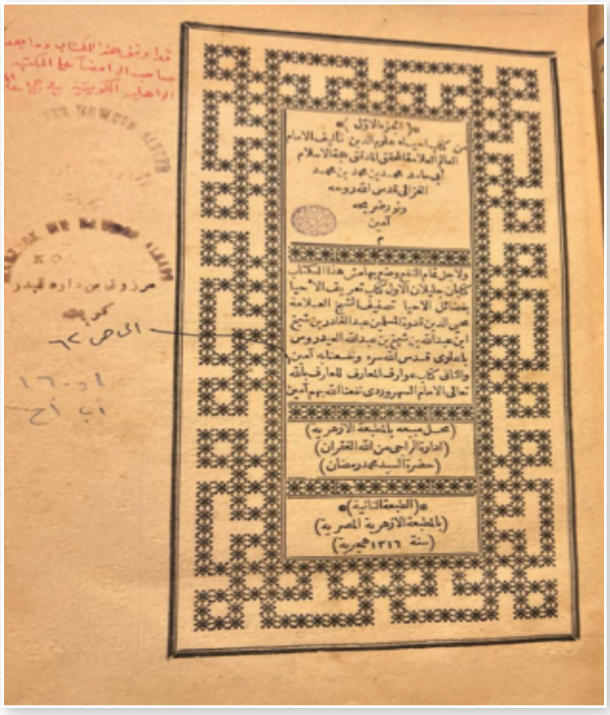

ولحرص الشيخ على وقف كتبه كثرت عباراته في وقف كتبه نذكر منها:

● كتاب: البلغة في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لفخر الدين ابن تيمية (ت:٦٢٢هـ)، ونص الوقف: «الحمد لله وقفه مالكه المذكور ضوعفت له الأجور على أهل العلم وطلابه من الحنابلة، وشرط تقديم أقاربه في الانتفاع وشرط ذلك لنفسه مدة حياته وقفا صحيحا شرعيا لا يباع ولا يوهب ولا يورث وحسبنا الله وكفى ١٥ شوال ١٣٢٤هـ».

ثانيا - الوقف على طلبة العلم من غير وصف

وأتت الأوقاف العلمية في الكويت أحيانا من غير اشتراط الانتساب المذهبي، حيث يسمح للمسلمين كافة بالانتفاع بالكتب دون الحاجة إلى استيفاء أي شرط، من ذلك:

وقف الشيخ يوسف بن حمود، رحمه الله، العديد من الكتب التي آلت إلى المكتبة العامة في الكويت منها:

أ - كتاب: المختصر الشافي على متن الكافي للدمنهوري.

ب - مختصر الدر الثمين والمورد المعين للفاسي الشهير بميارة الطبعة الأولى في المطبعة العلمية سنة ١٣١٧هـ.

● اشتهرت بعض الأسر في الكويت بكثرة أوقافها الخيرية الداعمة للثقافة كما هو الحال في أسرة الخالد التي تعتبر من أكثر الأسر الكويتية التي أوقفت أوقافا خيرية، فقد أوقفت هذه الأسرة على المدرسة المباركية بيتا وساهموا في تأسيس المدرسة المباركية والأحمدية والمكتبة الأهلية وبناء مسجد اليعقوب ١٩٢٣م[14]. كما أوقف الوجيه سعود الخضير الخالد، رحمه الله، حاشية للعلامة علي بن سليمان المغربي الدمنتي البجمعوي المالكي الشاذي (ت:١٣٠٦هـ) المعنونة بـ«وشي الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج»، المطبوعة في المطبعة الوهبية، شهر رمضان سنة ١٢٩٨هـ في مجلد واحد ودون الوقف الشيخ الدحيان[15].

المبحث الثاني

وقف الكتب على المؤسسات

تمثلت المؤسسات الثقافية في الإسلام بالجوامع والمساجد والمدارس الشرعية، لذا حظيت هذه المؤسسات الثقافية بالاهتمام الكبير في تاريخنا الإسلامي[١٦].

الوقف على المكتبة الأهلية

تجربة المكتبة الأهلية تعد من الأمثلة الرائدة على كيفية توجيه الوقف لدعم التعليم والثقافة، مما أتاح المجال لطلاب العلم للاطلاع على أمهات الكتب والمخطوطات، ومن هذه الأوقاف:

● وقف مرزوق داود البدر كتابا على المكتبة الأهلية في الكويت.

فقد أوقف العديد من الكتب في تاريخ ١٠ جمادى الأولى ١٣٤١هـ من هذه الكتب:

أ - كتاب إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الغزالي وبهامشه تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعيدروس، وعوارف المعارف للسهروردي مطبعة الأزهرية الطبعة الثانية ١٣١٦هـ.

ب - كتاب منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني وبهامشه كتاب التبيان في آداب

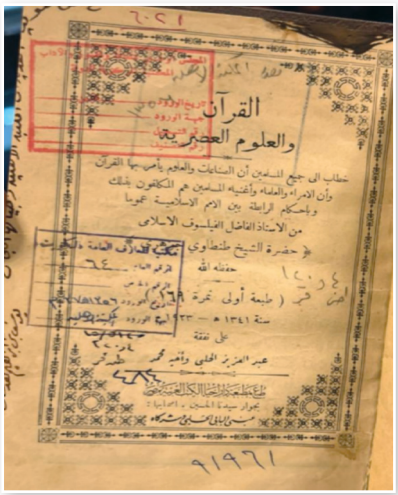

حملة القرآن للنووي، طبع المطبعة الميمنية.

● وقف يوسف بن إبراهيم العدساني على المكتبة الأهلية كتاب: كتاب القرآن والعلوم العصرية للشيخ طنطاوي جواهري طبعة أولى ١٣٤١هـ في مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

في الختام، لا شك أن الوقف العلمي كان ولا يزال جزءا لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية، وقد أظهر هذا البحث الدور الحيوي الذي لعبه الوقف في دعم التعليم والثقافة في الكويت. ومن خلال الأمثلة التي تم استعراضها، تتضح مشاركات أهل الكويت في وقف الأوقاف التي تعزز العلم والمعرفة.

وهذا جانب بسيط من أمثلة الوقف في الكويت، وإلا فإن كثيرا من العوائل والشخصيات الكويتية قد أوقفت دورا ومزارع ومكتبات لا يتسع المقال لذكرها واكتفينا بهذه الأمثلة.

وما زالت الكويت رائدة في مجال الوقف الحكومي والأهلي، ولعل الأمانة العامة للأوقاف تقف شاهدة على هذه المساهمات الوقفية الرائدة.

الهوامش

١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، ط١١، القاهرة، ١٣٢٤هـ، ٣٠٧/٢.

٢- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن نجم المصري (ت:٩٧٠هـ)، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، د.ت، ٢٠٦/٥، المغني، موفق الدين ابن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ، ٣/٦.

٣- الوقف وأثره على الناحيتين الاجتماعية والثقافية، مصطفى العرجاوي، بحث مقدم لندوة إحياء دور الوقف في الدول الإسلامية، د.ت، ص:١٤١١.

٤- الحوائط السبعة هي: المثيب والصائفة والدلال وحسنى وبرقة وال أعراف ومشربة أم إبراهيم. المغازي، محمد بن عمر الواقدي، ط٣، بيروت، دار الأعلمي، ١٩٨٩م، ٣٧٨/١.

٥- مخيريق النضري أحد أحبار اليهود وأغنيائهم، واختلف في إسلامه، شهد أحدا مع المسلمين فقاتل حتى قتل، ينظر: الواقدي، المغازي، ٢٦٢/١.

٦- دائرة الأوقاف، مجلة البعثة، ع٩، السنة الثالثة، ١٩٤٩م، ص:٢٧١.

٧- دور الوقف في التنمية والتكافل الاجتماعي، هنادي المباركي، ١٩٩٩م، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ط١، ص:٢٣.

٨- من ذلك وقف براك الخميس لدكانه وثلثا خيريا على أعمال الخير وبناء مسجد بالإحساء، ينظر: سجل العطاء الوقفي، ص:٦٩.

٩- سجل العطاء الوقفي، ص:٣٦٢.

١٠- التربية والتعليم في الإسلام، سعيد الديوه جي، الموصل، مطابع جامعة الموصل، ١٤٠٢هـ، ص:٧٣.

١١- الوقف وبنية المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافي، ص:٢٣.

١٢- المولود في (١٨٧٥/٩/٢٢م) بدأ طلب العلم مبكرا وعمره ١٨ عاما، ودرس على الشيخ محمد بن عبدالله الفارس الحنبلي (ت:١٩٠٨م)، أخذ عليه مبادئ الفقه والعربية، وأجازه الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى القضاعي النجدي الحنبلي (ت:١٣٤٣هـ)، وأجازه الشيخ محمد بن عبدالكريم الشبل النجدي الحنبلي (ت:١٣٤٣هـ)، توفي الشيخ بمرض ذات الجنب في الخامس والعشرين من رمضان بعد صلاة الفجر من يوم الجمعة سنة ١٣٤٩هـ عن عمر لا يتجاوز ٥٧ سنة، ينظر: الإجازة العلمية في نجد: دراسة نظرية استقرائية، د. هشام السعيد، دارة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية، ١٤٠/١، علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله عبدالرحمن البسام (ت:١٤٢٣هـ)، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٢٣/٦-١٢٨.

١٣- الحركة العلمية بين نجد والزبير خلال ثلاثة قرون، محمد سعود الربيعة، ص:١٦٦، نوادر مخطوطات علامة الكويت الشيخ عبدالله الخلف الدحيان، محمد بن ناصر العجمي، الكويت، ط١، ١٩٩٥م، ص:٧.

١٤- الجمعية الخيرية، بدر المطيري، ص:٥٩.

١٥- الشيخ أحمد الخميس الخلف قاضي الكويت ومعلمها وخطيبها، إعداد: بدر عبدالله حمد الزوير، ص:٣٦٤.

١٦- الوقف وبنية المكتبة العربية، ص:٦٤.

د. إبراهيم نويري | باحث أكاديمي

الشعر
فن يجسد نبض الأمة

الشعر فن واللغة علم والأدب فكر، وهذه التركيبة لا تخلو منها مرجعية أي أمة من الأمم، وما ينتج بواسطة هذه التركيبة، يطلق عليه في بعض جوانبه: مصطلح التراث أو الميراث المعنوي للأمم والحضارات والثقافات، ولا ريب أن اللغة هي الوعاء الفذ الذي تتجلى في مراياه عطاءات وإلهامات ما يستوحى من تلك التركيبة. وهو ما يسمى خلاصة تجارب الأمم في المجال الثقافي والفني والوعي الجماعي.

وبالنسبة للعرب فإن الشعر كان يحظى عندهم بمنزلة لا يمكن لأي قضية أخرى أن تنازل شأوه ومنزلته الأثيرة لديهم، ناهيك عن أن تحل محله، ومرد ذلك واضح، فإن الشاعر كان يمثل لدى القبيلة العربية لسانها الناطق وصوتها المؤثر في السلم والحرب، كما أنه المنافح الفذ عن أمجادها ومآثرها، وهو أيضا مؤرخها الصادق الذي تعول عليه القبيلة في التأريخ لأيامها وانتصاراتها. ولذلك فإن القبيلة العربية لم تحتف بفرد منها كما احتفت بشعرائها ونوابغها المميزين.

وفي ذلك يقول الناقد العربي القديم ابن رشيق القيرواني رحمه الله تعالى: «كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمعت النساء يلعبن بالمظاهر، كما يصنعن في الأعراس، لأنه (الشاعر) حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنأون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم..»[1].

وقد تأمل الشاعر العباسي أبو تمام مكانة الشعر لدى العرب عبر عصورهم المختلفة، فهداه إلهامه إلى أن الشعر كان يمثل وسيلة تمثل وإدراك للفضائل والمكارم أو معالي الأمور، وأن أصحاب الهمم من بناة المعالي يحتاجون باستمرار إلى الخلال التي تضمنها الشعر، فقال:

ولو لا خلال سنها الشعر ما درى
بناة العلا من أين تؤتى المكارم

ونحن حين نتأمل الكثير من الأحداث والوقائع التاريخية نجد فيها مصداقا وظهيرا قويا يعضد الاستنتاج الذي صاغه أبو تمام في بيته الشعري المشار إليه آنفا، ومثال ذلك ما أثر عن الخليفة المسلم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فقد كان يقول ناصحا: اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم، فإن فيه مآثر أسلافكم ومواضع إرشادكم، فلقد رأيتني يوم الهرير (اليوم الأخير من واقعة صفين الأليمة) وقد عزمت على الفرار، فما ردني إلا قول عمرو ابن الإطنابة الأنصاري:

أبت لي عفتي وأبى بلائي
وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإجشامي على المكروه نفسي
وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات
وأحمي بعد عن عرض صريح

إن العرب القدماء سواء كانوا غساسنة أو مناذرة، في

العصر الجاهلي، أو في صدر الإسلام والرسالة، أو في العصر الأموي أو العباسي، أو العصر الوسيط والحديث، قد أجمعوا على أهمية الشعر بوصفه فنا له رمزية خاصة، وقدرة مميزة على تصوير الأحاسيس والأفكار التي تختلج في النفس أو تضطرب في الفؤاد، ولذلك رفعه شاعر العربية الكبير المتنبي إلى شأو سامق ومنزلة رفيعة، في قوله:

وما الدهر إلا من رواة قلائدي
إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا
وغنى به من لا يغني مغردا

ولم يخفت هذا الإحساس أو يتراجع، ولم تفت في عضده وتياره الهادر الموصول حركة التطور وتعدد الأجناس الأدبية، وتنوع أنساق التعبير، خاصة إذا تولى ترجمة هذا الإحساس بقيمة الشعر في النفس العربية شاعر مطبوع، ملهم، له قدرات لغوية استثنائية، ولعل ما صاغه الشاعر اللبناني بشارة الخوري «الأخطل الصغير»(*) مثال على ما ذهبنا إليه، فهو على الرغم من إشفاقه على مستقبل هذا الفن الجميل، يرى بأنه من حيث الأصل هبة من الله تعالى، رفدت جماليات اللغة العربية، وفجرت ينابيع صورها البيانية العجيبة المذهلة، وأنه منذ العصر الجاهلي أيام المناذرة والغساسنة يمثل جوهر العروبة، وأن وحي الله الخاتم القرآن الكريم، أفسح له المجال ولم يحرمه، حيث يقول في إحدى قصائده البديعة:

حفظ الله مهجة الشعر في الشرق
ووقاه عاديات الزمان
هبة من مواهب الله للضاد
ونعمى حلت على لبنانه
كان ريحانة المناذرة الغر
وراح الأرواح في غسانه
حل في ذروة العروبة حتى
حضنته الآيات في قرآنه

الشعر في معيار الإسلام

كان من الطبيعي جدا أن يتعرض القرآن الكريم للشعر والشعراء، فقد نزل في بيئة تترنم بالشعر وتهفو إلى البيان، وتقدس الكلمة المؤثرة البليغة، التي تترك أثرا في الأرواح والنفوس، بطريقة وأسلوب قد يكون في حالات كثيرة فوق ما تدركه العقول؛ وقد ذكر القرآن الكريم الشعر والشعراء في ستة مواضع كريمة منه، لا في سياق المدح ولا في سياق الذم، وإنما في سياق التعريف بنفسه وإعانة المواهب النفسية والعقلية والإدراكية على التسليم بمصدريته الإلهية.

فلم يتحدث القرآن في آياته الكريمة عن الشعر من حيث هو فن من القول يجوز للمسلم أن يتعاطاه أو يحرم ذلك عليه، وإنما أورد لفظة «الشعر» و«الشعراء» في سياق التعريف بنفسه والتفريق بينه وبين الشعر، وأيضا في سياق نفي الشعر عن صاحب الرسالة العظمى محمد بن عبدالله ﷺ(٢).

إن من يراجع هذه المسألة في مظانها ومصادرها الأصلية سوف يقف على حقيقة موقف الإسلام من الشعر، وقد وردت أحاديث نبوية ومواقف كثيرة ومناسبات متباينة، تؤكد في مجملها احتفاء رسول الله ﷺ بالشعر النظيف الطاهر البريء من الشرك ومن الدعوة إلى معاقرة الخمر والفجور والمعاصي. وقد صح أنه ﷺ قال: «إن من الشعر لحكمة»(٣). وفي رواية أخرى: «إن من الشعر لحكمة، فإذا ألبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه عربي»(٤).

كما أورد ابن هشام في سيرته أن كعبا بن مالك رضي الله عنه، أنشد النبي ﷺ، بعض ما في شعره، ومن ذلك قوله:

جاءت سكينة كي تغالب ربها
فليغلبن مغالب الغلاب

فاستحسن منه ذلك، وقال له: «لقد شكرك الله

ياكعب على قولك هذا»[٥].

ولما هجا المشركون رسول الله ﷺ، استأذنه شاعر الدعوة حسان بن ثابت رضي الله عنه، في هجاء المشركين والرد عليهم وإلحاق الأذى بهم، فقال: «وكيف بنسبي» فقال حسان: «لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين» فقال: «اهجهم وجبريل معك»[٦].

أما ما نزل في سورة الشعراء من قوله جل شأنه: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ (الشعراء:٢٢٤-٢٢٦)

فقد ذكر عدد كبير من المفسرين في معرض حديثهم عن أسباب النزول بأن هذه الآيات المكية الكريمة نزلت في لفيف من الشعراء المشركين المناهضين لرسول الله ﷺ ودعوته ورسالته، أمثال: مسافع بن عبد مناف، وهبيرة بن أبي وهب، وأبي عزة الأجمحي، وغيرهم من الشعراء المشركين.

كما ورد أيضا أن الآيات المذكورة من سورة الشعراء، عندما نزلت، توجه حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة، رضي الله عنهم جميعا، إلى رسول الله ﷺ، وهم يبكون، فقالوا: يارسول الله: علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء. فتلا النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال: أنتم. ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ قال: أنتم. ﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ قال: أنتم.[٧].

فكل هذه الأدلة والوقائع تثبت بما لا يدع مجالا للشك والارتياب منزلة الشعر في الإسلام، بل إن دوره في نصرة الإسلام والدعوة ورسول الإسلام ﷺ، أمر مسلم به لا ينكره أحد من المثقفين المسلمين، وكل ما يطلبه الإسلام في شتى المجالات، في الأدب والفن والترويح، أو غير ذلك من المجالات، هو الضوابط الأخلاقية، والالتزام بالرؤية الإسلامية والتصور الإسلامي الراشد المشبع بمقاصد الشرع الحنيف. وبالنسبة للأدب الإسلامي فهو بكل تأكيد أدب الطهر والنزاهة والعفة، بينما الأدب غير الإسلامي فهو حر كحرية الشيطان، فهو يلغو ويمرح دون أي حدود أو ضوابط، أما الأدب الإسلامي فهو «يلتزم بالأخلاقية التي فرض الإسلام التزامها في الحياة، والإسلام ليس منهجا محدودا ضيقا للحياة، فليس أدبه محدودا وضيقا، وليس الإسلام تزمتا وانكماشا في الحياة، فليس أدبه أدب التزمت والانكماش، وليس محصورا في ناحية أو في نواحي محدودة من الحياة، بل هو متسع كاتساع الحياة، ولكن كتعدد جوانب الحياة الملتزمة بالأخلاقية الإسلامية»[٨].

إن الإسلام يرحب ويحتفي بلغة الإبداع التي توظف مفرداتها ومختلف صيغ التعبير، في سبيل خدمة الحقيقة، وتعزيز منظومة القيم، وكل ما يعلي شأن رسالة استخلاف الإنسان في الوجود والإعمار، ولا شك أن الشعر يقتعد المقام الأعلى في لغة الإبداع وصيغ التعبير الفني، فهو وعاء أصيل للمعرفة والأحاسيس الإنسانية الصادقة، ومن ثمة فإن اليقظة الإسلامية المعاصرة والوعي الإسلامي الراشد، بحاجة مؤكدة إلى فن الشعر الملتزم بالرؤية الإسلامية المنيرة في معركة التحديات التي تحيط بالمرجعية الإسلامية في الحياة، بمختلف شؤونها وجوانبها.

الهوامش

١- ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج١، الدار العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٦٥.

❖ بشارة الخوري شاعر لبناني معاصر من الطائفة المسيحية، اشتهر برصانته وجزالته الشعرية، حتى لقب بالأخطل الصغير، ولد سنة ١٨٨٥م وتوفي سنة ١٩٦٨م.

٢- سامي مكي العاني، الإسلام والشعر، عالم المعرفة، العدد ٦٦، الكويت، أغسطس ١٩٩٦م، ص ٣٥.

٣- صحيح البخاري رقم ٦١٤٥.

٤- السنن الكبرى للإمام البيهقي، رقم ٧٩٩٢.

٥- سيرة ابن هشام، ج٢، ص ٢١٦.

٦- صحيح مسلم رقم ٢٤٨٣.

٧- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٣٥٢.

٨- واضح رشيد الحسني الندوي، أدب الصحوة الإسلامية، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، ص ٥-٦.

د. صلاح فضل توقة | باحث أكاديمي

الشعر والشعراء ودورهم في الاستقرار الاجتماعي من منظور إسلامي

لا ريب أن العرب هم أمة الكلمة، فقد أبدعوا فيها وأتوا بفنون عجزت الأمم عن أن تجاريها، فأقاموا لها معرضا ليتبارى فيها أبناؤهم فيما بينهم، يتنافسون بما أوتوا من بلاغة اللسان وما أنتجته هذه البلاغة من بيان أشعار وقصائد ومعلقات، كما كان الحال في سوق عكاظ، حيث تضرب القباب على المحكمين الذين يحكمون قصائد الشعراء ليعلنوا عن القصيدة الفائزة، والتي تكون لسان حال العرب في البوادي والحضر، يتناقلونها بألسنتهم وتحفظها ذاكرتهم، وإني أتناول الحديث في هذا المقال عبر عدة نقاط أساسية.

أولا: الإسلام والشعر

بعد أن أرسل الله محمدا ﷺ رسولا أصبح كل مسلم خاضعا لسلطان الشريعة في كل أموره وشؤون حياته، ومنها الشعر الذي كان لا بد للإسلام معه من وقفة يتحول بها الشعر ليكون بابا من أبواب مرضاة الله ورسوله ﷺ وأداة تستخدم في خدمة الإسلام دعوة إليه، ودفاعا عنه، ولا سيما في بدايات الإسلام حيث كان الشعر من أسلحة الكفار للطعن في رسول الله ﷺ والتشكيك في عقيدة المسلمين. فقد جاء في الحديث عن كعب بن مالك أنه قال للنبي ﷺ: إن الله عز وجل قد أنزل في الشعر ما أنزل، فقال: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل». (أحمد)

ثانيا: خضوع الشعر والشعراء لسلطان الشريعة

أصل الشعر هو كلام مكتوب أو منطوق، وبذلك فهو يخضع للأحكام الشرعية التي تضبط الكلام، فالإسلام اهتم واعتنى بالكلمة لدورها الكبير والخطير في التأثير على الفرد والجماعة والمجتمع، وهي لا تخرج عن نوعي الكلمة التي أجملها القرآن في كلمة طيبة وكلمة خبيثة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ (إبراهيم:٢٤-٢٦).

وفي السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب». (متفق عليه)

وعنه عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم» (البخاري).

وعن أبي عبدالرحمن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه»(مالك في «الموطأ» والترمذي).

فالشاعر هو ناظم كلمات الشعر وهو مسؤول عما يكتب مسؤولية شرعية حتى لا يأتي في أشعاره بما يخالف تعاليم الشرع متكأ على حجة الإبداع والتي يتخذها بعضهم مبررا لشطحات خياله، معتقدا أنها لا تخضع لأحكام الشريعة.

ومن هنا نستطيع القول بأن شعر الكلمة الطيبة شعر طيب حسن حلال شرعا، وشعر الكلمة الخبيثة شعر خبيث مذموم محرم شرعا، قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ (الشعراء ٢٢٤-٢٢٧). فالنبي ﷺ بين للصحابة عند نزول هذه الآيات الفارق بين نوعي الشعر والشعراء، فقد نقل بن كثير في تفسيره لهذه الآيات: عن أبي الحسن سالم البراد -مولى تميم الداري- قال: لما نزلت: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾، جاء حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ، وهم يبكون فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء. فتلا النبي ﷺ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال: «أنتم»، ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ قال: «أنتم»، ﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ قال: «أنتم».

وفي إطار موقف السنة النبوية المطهرة من الشعر والشعراء، وردت أحاديث عدة في هذا الصدد وقد كفانا الأمام البخاري -رحمه الله- مؤنة البحث والتصنيف واستنباط الأحكام الفقهية المتعلقة بالشعر والشعراء فقد ذكر أهل العلم أن آراء الإمام البخاري الفقهية ضمنها في صياغته لعناوين أبواب على أحاديث صحيحه فقسم -رحمه الله- الشعر في عنوان الباب إلى:

(١): باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه. ومن هذه الأحاديث:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشعر حكمة».

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ على بعض نسائه ومعهن أم سليم، فقال: «ويحك يا أنجشة، رويدك سوقا بالقوارير» قال أبو قلابة: فتكلم النبي ﷺ بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه، قوله: «سوقك بالقوارير»(متفق عليه).

(٢): باب هجاء المشركين: وجاء فيه حديث: عن أبي هريرة أن عمر مر بحسان رضي الله عنهم وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظ إليه، فقال: قد كنت أنشد، وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة، فقال: أنشدك الله، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أجب عني، اللهم أيده بروح القدس»؟ قال: اللهم نعم.

(٣): باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا» (متفق عليه)، وهنا حذر النبي ﷺ من الإكثار من الشعر، إذا بلغ لحد الغفلة عن ذكر الله تعالى؛ لأن النبي ﷺ سمع مئة بيت في مجلس واحد، كما رواه مسلم، عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ يوما، فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟» قلت: نعم، قال: «هيه» فأنشدته بيتا، فقال: «هيه» ثم أنشدته بيتا، فقال: «هيه» حتى أنشدته مائة بيت.(مسلم) ولم يعتبر هذا إكثارا مذموما شرعا، وجعل عليه الصلاة والسلام امتلاء بطن الإنسان بالصديد الذي يتأذى به كل إنسان أفضل من امتلائه بالشعر المحفوظ.

قال الحافظ ابن حجر: «... والذي يتحصل من كلام العلماء في حد الشعر الجائز أنه إذا لم يكثر منه في المسجد، وخلا عن هجو وعن الإغراق في المدح والكذب المحض والتغزل بمعين لا يحل، وقد نقل ابن عبدالبر الإجماع على جوازه».

وعلى هذا فإن موقف الإسلام من الشعر والشعراء يتدرج ما بين الجائز والمحظور والمذموم والمستحب وهو:

١- الشعر منه الجائز المباح، ومنه المكروه المذموم.

٢- الشعر منه المستحب ولا سيما في الدفاع عن الدين ورد عادية شعراء السوء عن الإسلام.

٣- الاشتغال بالشعر المباح يكون مذموما مكروها إن غلب في القلب وطغى واشتغل به المرء عن القرآن والعلم النافع.

٤- الشعر المحظور الحرام الذي ينكر المعلوم من الدين بالضرورة أو يشكك وطعن في ثوابت الدين أو يدعو إلى الفواحش.

ثالثا: دور الشعر والشعراء في الاستقرار الاجتماعي

الشعراء جزء من المجتمع لا ينفصل عنه في سلمه وحربه، فرحه وحزنه، وهكذا في كل أحواله له مكانته منذ القدم، يؤثر ويتأثر بما يقع ويدور في مجتمعه من وقائع وأحداث فشعراء العصر الحديث والعصر الحاضر ساروا على نفس دروب أسلافهم الفحول من كونهم اللسان المتحدث باسم دولهم ومجتمعهم والمعبر عنهم في كل أحوالهم. والمسؤولية أكبر على الشاعر المسلم كونه ينطلق في شعره من عقيدة التوحيد، تنضبط بها قصائده، فهو مسلم ينتمي إلى دينه يصد بشعره كل متطاول على الإسلام ويرد ترهات وأكاذيب المشككين فيه، وينتمي إلى أمته الإسلامية يعبر عنها وعن قضاياها عن أمجادها وأحلامها، يربط الماضي بالحاضر ويستشرف مستقبلا تتبوأ فيه أمته قيادة الأمم كما كانت، ينتمي إلى وطنه الذي يعيش فيه يعبر عن قضاياه، تاريخه وأمجاده، ماضيه وحاضره ومستقبله.

وختاما: فإن الأمة العربية زاخرة بالكثير من المواهب الشعرية التي تحتاج إلى عين خبير تلتقطها، وتعتني بها وتصقلها وتنمي موهبة الشعر فيها؛ لتشب هذه المواهب لسانا صادقا معبرا عن قضايا دينه وأمته ووطنه، ويدعم القيم النبيلة وتغرسها في النفوس، وتحارب القيم والسلوكيات والأفكار المنحرفة والهدامة.

بلال المريسي | كاتب وباحث

جسر الحكمة وترجمان المشاعر

كان الشعر ولم يزل مرآة الوجدان، وصدى الروح، وبوح النفس، وظل العاطفة، وانعكاس الأحاسيس، حتى غدا جسرا معلقا يصل ضفاف الحكمة بعمق المشاعر، فيخلد فيه الشاعر ذكريات الماضي وتجاربه، ويستشرف المستقبل من نافذة خياله وتطلعاته، فيجعل القارئ يسافر عبر القارات، ويغوص إلى عمق الحضارات، وكأنه يعيش في عواصم الخلافة؛ دمشق وبغداد، وتتجلى له قصور الحمراء وغرناطة في ذلكم الفردوس المفقود، وتلك الحضارة التي أمدت الإنسانية قرونا من الزمان في بلاد الأندلس.

ومع تزاحم الكلمات، وتعالي الأصوات، وتسارع الخطى؛ يظل الشعر هو المترجم عن صمت المشاعر، المتنفس من رئة الوجدان، المنبعث من غور العاطفة والحرمان، فهو لا يكتفي بوصف الآلام والأحزان فحسب، بل يمنحها معنى وعنوانا، ويقدمها بحكمة خالدة تبقى ما بقي الزمان.

ولما كان المرء بطبعه يميل إلى الاختصار، وينجذب إلى الكلمة الموحية، والهمسة الساحرة، والحكمة الباهرة؛ كان «خير الكلام ما قل ودل»، وعن سيد الأنام ﷺ: «إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة» (أخرجه البيهقي في دلائل النبوة).

قال أبو بكر بن دريد: «كل كلمة وعظتك وزجرتك، أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح، فهي حكمة»، وكل حكمة لك من أخيك، خير لك من مال يعطيك؛ لأن المال يطغيك، والحكمة تهديك وترضيك.

من هنا كانت الحكمة عصارة التجربة، وثروة التدبر، يعبر عنها بقول بليغ موجز، صادر عن فكر منير، وقلب مستنير، يتضمن رأيا صائبا، وعلما نافعا، وتجربة وخبرة، وعظة وعبرة، فهي ثمرة قلب سليم، وذوق كريم، تزيد الشريف شرفا، والحسيب حسبا، والعاقل عقلا وفضلا.

بل قيل: إن الحكمة خلاصة عقل يتأمل، وقلب يتألم؛ لذا تأتي دائما متأخرة عن المعرفة.

ولقد ارتبط الشعر بالحكمة ارتباطا وثيقا، فكان اللسان المعبر عنها، والمجلي لرونقها، وكانت هي المخلدة له، فالشعر والحكمة كجناحي طائر، لا يطير إلا بهما.

ويعد «شعر الحكمة» أرقى ألوان الشعر العربي، إذ جمع بين عمق التفكير وجمال التعبير، وصدق العبارة وتجسيد التجربة بأبهى صورة، فهو البوصلة التي من خلالها تهذب النفوس، وتضيء العقول، وتسمو بالأخلاق، وترشد إلى الفضائل، وتحذر من الرذائل؛ فبيت واحد من الشعر يأوي بداخله حكمة تكون حديث الركبان، وتتداول على ألسنة العجائز والصبيان.

وبيت آخر يحمل فلسفة حياة، وومضة أمل، وتجربة تلامس الروح، أو قصة حب خلدها الزمان، أو يحوي بداخله لألئ البديع والبيان، فما أضاء زيت الحكمة بأبهى من بيت شعر نسجه قائله في خياله، وسقاه بروح مشاعره وأحاسيسه، وخلد فيه تجربة مريرة، وحكمة باهرة، ولله در شوقي حيث قال: «لا يزال الشعر عاطلا حتى تزينه الحكمة، ولا تزال الحكمة شاردة، حتى يؤويها بيت من الشعر» (ينظر: أسواق الذهب، لشوقي).

ولا عجب أن يكون الشعر ديوان العرب، وعنوان الأدب، والفن الذي جمع بين المتعة والحقيقة، والتقت على ضفافه المشاعر النبيلة بالغاية الإنسانية السامية.

فهلموا بنا معشر القراء الكرام نلقي نظرة سريعة على الحكمة عند الشعراء الذين أضاءوا دروب الحياة بأبياتهم، وبنوا جسور الحكمة بقصائدهم، ونسجوا أنفس ما لديهم من قداح قريحتهم.

لقد تجلت الحكمة عند شعراء الجاهلية، ومن جاء بعدهم في العصرين الأموي والعباسي، ولا تزال الحكمة سمة لكل شاعر نبيل في كل زمن ومكان.

انبرى الشعراء يسطرون بأبياتهم تجارب الحياة التي مرت بهم، والمغامرات التي خاضوا غمارها، ومن أبرز شعراء الحكمة في العصر الجاهلي:

● زهير بن أبي سلمى حيث يقول في معلقته:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه
وإن يرق أسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف في غير أهله
يكن حمده ذما عليه ويندم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

● وورث كعب بن زهير الحكمة عن أبيه، فجاء في شعره الرائع:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني
سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
والمرء ما عاش ممدود له أمل
لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

● ويطل علينا السموأل الأزدي الذي ضرب به المثل في الوفاء، ومن شعره:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

● أما طرفة بن العبد فرغم قصر عمره، وحداثة سنه، فقد برع في قول الحكمة، وكأنه اختزل تجارب الحياة وهو في نعومة أظفاره، ومن أشهر ما قاله:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

● ومن أروع ما قيل في الحكمة، قول عنترة بن شداد:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب
ولا ينال العلا من طبعه الغضب
إن الأفاعي وإن لانت ملامسها
عند التقلب في أنيابها العطب

● وفي العصر العباسي يبرز بشار بن برد الضرير، ومن روائعه:

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت، وأي الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

● أما المتنبي فما عساي أن أقول عنه، فقد كان ألمع شعراء زمانه، وهاكم بعض درره:

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير
كطعم الموت في أمر عظيم

● ثم يأتي من بعده أبو العلاء المعري، حيث تأثر به تأثرا عظيما، وكان معجبا بجزالة ألفاظه وقوة لغته، وقد تجلى في شعر المعري العقل والزهد والتأمل الذي يفيض بالحكمة، ومن روائعه:

وإني وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

● أما الشعراء المعاصرون فحملوا شعلة الحكمة أيضا، فهذا إيليا أبو ماضي يدعو للتفاؤل فيقول:

والذي نفسه بغير جمال
لا يرى في الوجود شيئا جميلا
أيهذا الشاكي وما بك داء
كن جميلا ترى الوجود جميلا

● وهذا أمير الشعراء شوقي يدعو للعمل والجد، ونبذ الاتكال فيقول:

وما نيل المطالب بالتمني
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

ويؤكد على أن الأخلاق هي أساس الصلاح للفرد والمجتمع فيقول:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

● وهذا شاعر النيل حافظ إبراهيم يتغنى باللغة العربية فيقول بلسانها:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؟

ويخبرك إبراهيم بفلسفة الرزق فيقول:

فإذا رزقت خليقة محمودة
فقد اصطفاك مقسم الأرزاق
فالناس هذا حظه مال وذا
علم وذاك مكارم الأخلاق

وخلاصة القول؛ فإن الشعر هو جسر الحكمة، وترجمان المشاعر، وصفاء الروح، ونور الفكرة، فهو ليس كلاما موزونا فحسب، بل روح تسري، وفكر متأمل، ونبض يتخلل الكلمات، ورفيق وفي للعاطفة، وتجربة موشاة بالحكمة، وذاكرة تحفظ تاريخ الأمم.

فالإنسان بحر هائج من المشاعر المختلجة، يأتي الشعر كوسيلة للبوح بها حين تعجز الكلمات، فيجعل من الانفعال فكرة، ومن الوجدان حكمة، ومن المعاناة صورة، ومن الحب قصيدة.

ففي كل بيت من الشعر حياة تستعاد، وعبرة تستفاد، وذكرى تروى، وجراح تشفى.

المصادر

١- شرح المعلقات التسع، للشيباني.
٢- ديوان كعب بن زهير.
٣- ديوان ابن دريد الأزدي.
٤- ديوان طرفة بن العبد.
٥- ديوان عنترة بن شداد.
٦- ديوان بشار بن برد.
٧- ديوان المتنبي.
٨- ديوان أبي العلاء المعري.
٩- ديوان أحمد شوقي.
١٠- ديوان حافظ إبراهيم.

أبو قيس محمد رشيد | كاتب

أشاعر أم راوية؟!

كثر كلامنا المألوف الدارج عما نعبر عنه بقولنا (أهمية اللغة العربية!) وهي عبارة لا يرضاها ذوق السامع الواعي بحقيقة القضية! فإن حديثنا بمثل هذه العبارة لا يختلف في رتبته البيانية والتقديرية عن حديثنا بالعبارة (أهمية علوم الرياضيات) أو (أهمية علوم الفيزياء) في حياتنا! إنها حيثية أسلوبية لا تؤدي وظيفتها البيانية والتقديرية في قضية اللسان عند العرب؛ فما أسخف أن نقول (اللغة العربية مهمة!) وليس أنجع في تصوير هذه القضية من أن ترى حال العرب في تعاملهم مع قضايا البيان واللسان!

هل كنت حاضرا في بهو الرشيد، الخليفة العباسي المعروف، وإلى جواره وزيره الفضل بن يحيى البرمكي، إذ دخل عليهما الأصمعي عبدالملك بن قريب، فقال كلمات فيها التأدب والخفض للرشيد، فأثنى عليه الفضل بن يحيى للرشيد، فقال الرشيد للأصمعي: ادن، فدنا، فقال له: أشاعر أم راوية؟ [1]

إن هذه العبارة التي جاءت في صورة السؤال الارتجالي المعهود بين الطرفين، لتكشف لنا عن تلك الثقافة والصناعة التي كانت سائدة في المجتمع في هذه الحقبة! فهذا الخليفة يدخل عليه واحد من أهل العلم والأدب جملة، فإذا بالخليفة يقول له (أشاعر أم راوية؟!) فالناس في مراس الأدب في ذلك العصر هم بين شاعر ينشئ الأشعار كبشار بن برد، والسيد الحميري، وأبي نواس، وصريع الغواني مسلم ابن الوليد، وبين راوية للشعر كالأصمعي، وأستاذه أبي عمرو ابن العلاء، والمفضل الضبي، وأبي عمرو الشيباني، وقد بلغت ثقافة المجتمع حد أن الخليفة المنشغل بشؤون الخلافة لا يخلي مجلسه من أهل الأدب الداخلين عليه بين شعراء ورواة، بل فوق ذلك إنه لفي صلب الاشتغال به حتى ليقول للزائر الذي يراه لأول مرة (أشاعر أم راوية؟) فالشاعر سيسمعه أشعارا لنفسه، والراوية سيروي له من أشعار السابقين وآدابهم.

وما كان اشتغال الملوك والخلفاء بدعا في العصر العباسي، فندماء المناذرة اللخميين بالعراق والغساسنة بالشام كانوا الشعراء، وما خبر النابغة الذبياني مع المناذرة واللخميين عنا ببعيد، لقد خول للنابغة شعره العالي أن يكون كالسفير والحكيم الكبير بين قومه وبين المناذرة والغساسنة، وذلك حين كانت العرب تدرك معنى أن تصنع فيها قصيدة تخلد على الدهر! لقد كان النابغة الذبياني يعلم تماما قدر قصيدته البائية التي قالها في الغساسنة حين قال آخر بيت فيها:

حبوت بها غسان إذ كنت لاحقا

بقومي وإذ أعيت علي مذاهبي

كان يعلم تماما أنه (حباهم) أي خصهم وفضلهم، لأنه يعلم قدر قصيدته، ويعلم أنه قد ترك في الغساسنة قيمة عظيمة يحتفون بها، ويؤدون لأجلها سفارته!

وهل كنت حاضرا في مجلس عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين قال لابنة الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى[٢]:

ما فعلت حلل هرم بن سنان التي كساها أباك؟

قالت: أبلاها الدهر!

قال: لكن ما كساه أبوك هرما لم يبله الدهر!

وهل كنت حاضرا حين عمر أيضا قال لبعض ولد هرم بن سنان[٣]: أنشدني ما قال فيكم زهير، فأنشده، فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن.

قال: يا أمير المؤمنين، إنا كنا نعطيه فنجزل[٤]!

قال عمر: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم!

وهل كنت شاهدا وهو يسأل الوفود إليه عن الشعراء وعن قائلي بعض الأبيات كما جاءت بذلك الروايات في طبقات ابن سلام وغيره؟

سواء كنت حاضرا في هذه المشاهد أو لم تكن، فإنك تعلم أن ذلك لم يكن اشتغالا بالشيء التافه الذي لا يشتغل بمثله! ولم يكن علمه به علما بالشيء التافه الذي لا ينفع حين قال ابن رشيق[٥] (وكان -أي عمر ابن الخطاب- من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة) وعمر نفسه الذي قال[٦]: (كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه!).

ومثل هذه الوقائع في تاريخنا لا يكاد يحصى أو يحصر! أترى بعد ذلك يليق بنا أن نقول (أهمية اللغة العربية)؟! ما أسخفها من عبارة! إن البيان باللغة عند أمة العرب ليس فقط (شيئا مهما) في حياة العرب! ربما كان هذا التعبير صالحا في الأمم الأخرى التي تكون لغاتها جزءا من مظاهر انتمائها؛ أما في أمة العرب فإن اللغة هي ركن في تكوين الشخصية العربية، يحصل به النقص أو التمام الخلقي! ألا تراهم وهم يريدون نعت الإنسان بالكمال فيقرنون الشاعرية بالفروسية فيقولون (فارس شاعر!) :

(وحصين بن الحمام المري بن ربيعة ابن مساب بن حرام بن وائلة بن سهم بن مرة وهو فارس شاعر شريف)[٧].

(وأبو محجن رجل شاعر شريف)[٨].

(وسحيم بن وثيل الرياحي، شريف مشهور الأمر في الجاهلية والإسلام، جيد الموضع في قومه، شاعر خنذيذ)[٩].

(فنهشل بن حري شاعر شريف مشهور، وأبوه حري شاعر مذكور، وجده ضمرة بن ضمرة شريف فارس شاعر بعيد الذكر كبير الأمر)[١٠].

فإن نعت الإنسان بهذا إنما يريدون به تحصيله أركان الكمال؛ لأن النعت بالفارس لا يقصد به إحسان ركوب الخيل، وإنما تقصد به حزمة من الشمائل توصف بأنها أخلاق الفرسان، وعلى رأسها النجدة بكل

صورها، والإيثار والبذل وتحمل الناس في النوازل والجدب، أما النعت بالشاعر فلأن البيان بالشعر عن مكنون المعاني في النفس هو كشف عن مدى بلوغ هذه النفس إلى مساحات من الشعور ودقيق المعاني، ولهذا عرفوا الشاعر بأنه (الذي يشعر بما لا تشعر به الناس) والشعر في أصل معناه هو (العلم) ولكنه علم خاص وليس ما تنصرف إليه الأذهان من المعارف والعلوم، فالشاعر إنسان مبين قد تميز بذكاء وعبقرية من نوع خاص؛ عبقرية تتعلق بالشعور واللغة، وليست عبقرية الرياضيات والعلوم والفلسفة.

ولأجل هذا الكمال النفسي والفطري بالبيان كانوا (يتعاكظون)[11] به في (سوق عكاظ) فكما كانوا يتنافسون ويتعالون بالأحساب والأنساب، كانوا يتنافسون ويتعالون بالبيان والقصائد؛ وما مجلس النابغة الذبياني تحت الفسطاط الجلدي الأحمر وهو يحكم في الشعراء عنا ببعيد!

وإنما كان الأمر في العرب كذلك لأن أمة العرب قد اختصت في غريزتها وطبيعتها بفضيلة البيان باللغة، حتى صار هذا البيان اللغوي من (ماهية) الشخصية العربية، كما كانت أخلاق الفروسية من ماهية هذه الشخصية، وقد انتبه جمع من العلماء إلى هذا، منهم ابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ) إذ يقول[12]: (ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة، والبيان، واتساع المجال ما أوتيته العرب خصيصى من الله).

ويقول أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ)[13]: (ذلك اللسان -أي غير العربي- لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهي إلى حد الإعجاز، ولكنه يتقارب، وقد رأيت أصحابنا يذكرون هذا في سائر الألسنة، ويقولون: ليس يقع فيها من التفاوت ما يتضمن التقديم العجيب.

ويشهد لذلك من القرآن أن الله تعالى وصفه بأنه (بلسان عربي مبين) وكرر ذلك في مواضع كثيرة، وبين أنه رفعه عن أن يجعله أعجميا، فلو كان يمكن في لسان العجم إيراد مثل فصاحته لم يكن ليرفعه عن هذه المنزلة!

ويبين ذلك أن كثيرا من المسلمين قد عرفوا تلك الألسنة -أي غير العربية- وهم من أهل البراعة فيها وفي العربية؛ فقد وقفوا على أنه ليس فيها من التفاضل

والفصاحة ما يقع في العربية).

نعم، هذه هي حال العرب؛ أمة مختصة بالبيان، قد صار البيان سنخا[١٤] لها، وركنا في بنائها، وبلغت العرب الذروة في هذا حتى جاءت رسالة الإسلام بالكتاب العربي البليغ المعجز (القرآن العظيم) فكانت المعجزة التي قام بها التحدي حاصلة في أخص خصائص العرب، وفي شيء هو في أصل تركيبها، ولما كانت هذه المزية معروفة في أمة العرب، وتواتر هذا عنهم في الأمم غير العربية كالفرس والروم المتاخمين للعرب في شرق الشمال وغربه، وكانت الأمم يتواتر فيها أن هذه الأمة العربية هي أمة مختصة بالبيان، وأنه أبرز سماتها، وأنه شيء في خلقتها وفطرتها، شملتها الحجة القرآنية في التحدي بالبلاغة! نعم؛ فكثيرا ما يستشكل البعض بأن الحجة بالتحدي البياني القرآني إنما تتصور في حق العرب الذين يعلمون هذه اللغة، ولا يمكن تصورها في حق غير العرب، وهو استشكال قديم تناوله بعض العلماء بالبيان كالقاضي الباقلاني، وذلك حين بين أن العلم منه ما يحصل بـ(الضرورة) وهو العلم الواقع بالحواس، دونما اختيار، ومنه ما يحصل بـ(الاكتساب) وهو العلم الواقع بالاستدلال، الحاصل بالاختيار، أما العرب المتناهون في الفصاحة فهم يعلمون الإعجاز البياني للقرآن بالعلم الضروري.. بمجرد سماعه، كما يرون القمر منشقا، والحجر متكلما، وأما من كان دون المتناهي في الفصاحة من العرب، والأولى منهم غير العرب، فإنهم يدركون الإعجاز البياني للقرآن بالاستدلال، وهو العلم الاكتسابي. وهذا -تماما- مثل العلم الضروري في حق السحرة بصدق نبي الله موسى عليه السلام، ووقوع العلم الاكتسابي الاستدلالي بهذا الصدق في حق العامة وفرعون، فقامت الحجة على الجميع في الأخير، ولهذه المسألة بيان وتفصيل لا يحتملهما المقام[١٥]، وإنما المقصود في هذا السياق هو أنه قد بلغ العلم بحال العرب من البيان باللغة ما كان به كافيا في انتقال الحجة عليهم وقد رأوا العرب وقد تحداهم القرآن إلى بلاغة كبلاغته فعجزوا عنه!

من هنا تعلم خطر قضية (اللسان والبيان) عندنا، نحن العرب.. إن العبث بلغتنا والتهوين من شأنها ومن شأن إقحام الروافد الأجنبية عليها، ليس مجرد إخلال بشيء يقال فيه (مهم!) بل إنه الهدم للبناء العربي كله، وإنه الإذهال والصرف عن قضية إعجاز القرآن كلها!! أتفتقر بعد هذا إلى شيء فوقه لأجل أن تنهض مدافعا عن عربيتك وقرآنك؟!.

الهوامش

١- العقد الفريد لابن عبد ربه، ج٦، ص١٦٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢- العمدة لابن رشيق، ج١، ص١٢٠-١٢١، ط الخانجي، تحقيق النبوي شعلان.

٣- الخبر في نفس موضع خبر ابنة زهير.

٤- أي نقطع ونجعل له العطاء الكثير.

٥- العمدة لابن رشيق، ج١، ص٣٢، ط الخانجي، تحقيق النبوي شعلان.

٦- طبقات فحول الشعراء لابن سلام ج١، ص٢٤، ت محمود شاكر.

٧- طبقات فحول الشعراء لابن سلام ج١، ص١٥٥، ت محمود شاكر.

٨- طبقات فحول الشعراء لابن سلام ج١، ص٢٦٨، ت محمود شاكر.

٩- طبقات فحول الشعراء لابن سلام ج٢، ص٥٧٦، ت محمود شاكر.

١٠- طبقات فحول الشعراء لابن سلام ج٢، ص٥٨٣، ت محمود شاكر.

١١- عكظ: عكظ دابته يعكظها عكظا: حبسها. وتعكظ القوم تعكظا إذا تحبسوا لينظروا في أمورهم، ومنه سميت عكاظ. وعكظ الشيء يعكظه: عركه. وعكظ خصمه باللدد والحجج يعكظه عكظا: عركه وقهره. وعكظه عن حاجته ونكظه إذا صرفه عنها. وتعاكظ القوم: تعاركوا وتفاخروا. وعكاظ: سوق للعرب كانوا يتعاكظون فيها؛ قال الليث: سميت عكاظا لأن العرب كانت تجتمع فيها فيعكظ بعضهم بعضا بالمفاخرة أي يدعك، وقد ورد ذكرها في الحديث؛ قال الأزهري: هي اسم سوق من أسواق العرب وموسم من مواسم الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع بها كل سنة ويتفاخرون بها ويحضرها الشعراء فيتناشدون ما أحدثوا من الشعر، ثم يتفرقون. (لسان العرب: عكظ).

١٢- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص١٢، ت السيد أحمد صقر.

١٣- إعجاز القرآن ص ٣١،٣٢ ط دار المعارف.

١٤- السنخ من كل شيء: أصله وقاعدته.

١٥- شرحت هذه المسالة على وجه التفصيل في المقالة السادسة من القسم الأول من كتابي (دفاع عن القرآن - كشف الجهالات وتفنيد المرقعات) فارجع إليه.

حسن عباس | محرر صحفي

الشعر بين رسالة الفن وقيم الإسلام

منذ فجر التاريخ، والإنسان يفتش عن وسيلة يسكب فيها ما يعتمل في صدره من شجون وآمال، فجاء الشعر ليكون وعاء الروح ولسان الوجدان، يجمع بين عذوبة اللفظ وعمق المعنى، ويستحيل أن يختصر في مجرد أبيات موزونة؛ لأنه في حقيقته تجربة إنسانية كاملة، تحمل بصمة الزمان والمكان، وتعكس ملامح الفكر والمشاعر معا.

وقد كان العرب قبل الإسلام أمة شعر بامتياز؛ يعلقون القصائد على أستار الكعبة، ويتباهون بفرسان الكلمة كما يتباهون بفرسان السيف. فلما أشرق نور الإسلام، لم يلغ هذا الفن الراسخ، ولم يقطع حبال الموروث الأدبي، بل أعاد للشعر رسالته، ونقاه من شوائب العبث واللهو، وأطلقه في فضاء أرحب، حيث غاية الكلمة أن تخدم الحق وتهذب الذوق وتبني الوعي.

الشعر في القرآن والسنة

لقد جاء القرآن الكريم بمنهج متوازن تجاه الشعر؛ فلم يرفضه رفضا كليا، ولم يقبله قبولا مطلقا، بل فرق بين من يجعل الكلمة مطية للباطل ومن يجعلها سلاحا للحق. قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ (الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧). فالآيات هنا تبين أن الكلمة قد تتحول إلى أداة إغواء وإضلال إذا سخرت في الباطل، لكنها في الوقت ذاته تكرم الكلمة الصادقة التي تنصر المظلوم وترفع راية الحق.

أما في السنة النبوية، فقد وجد الشعر موقعا كريما؛ فقد كان النبي ﷺ يستمع إلى شعر أصحابه ويقره إذا كان يحمل معاني الحق والخير. ويكفي أن نذكر موقفه من حسان بن ثابت رضي الله عنه، حين قال له: «اهجهم وروح القدس معك» (رواه البخاري)، فجعل شعره درعا في مواجهة أكاذيب المشركين، وردا بليغا على سهامهم المعنوية. وكذلك كان لعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهما أثر بارز في توظيف الكلمة الشعرية لخدمة الدعوة.

بين الهدم والبناء

الكلمة قوة لا يمكن تجاهل تأثيرها؛ فهي إما أن ترفع صاحبها والأمة من ورائه، أو تهوي بهما إلى مهاوي السقوط. ولذلك كان الشعر عبر العصور الإسلامية ساحة اختبار للموهبة والضمير معا: هل يخدم الشعر رسالة إنسانية سامية، أم ينحدر ليصبح مجرد لهو وزخرف؟

لقد خلد التاريخ أشعار الحكمة والزهد، مثل قصائد أبي العتاهية التي أذابت القلوب خشوعا، وأشعار المتنبي وأبي تمام التي جمعت بين عمق الفكرة وجمال التصوير. وخلد كذلك المدائح النبوية التي صدحت بصدق العاطفة مثل بردة البوصيري. هذه النماذج بقيت لأنها أضافت

إلى رصيد الوعي الإنساني والجمالي.

أما الأشعار التي انزلقت إلى مهاوي الفحش أو سخرت جمال الكلمة في إثارة الغرائز، فلم تجد مكانا في ضمير الأمة، بل طواها النسيان. وهنا تتضح قاعدة الإمام الشافعي حين قال: «الشعر كلام، حسنه حسن وقبيحه قبيح».

بناء الهوية الإسلامية

من أعظم أدوار الشعر في تاريخنا أنه كان حصنا للهوية الثقافية والحضارية. فالكلمة الموزونة لم تكن مجرد ترف أدبي، بل أداة لتثبيت اللغة العربية، وحماية مفرداتها وتراكيبها من الذوبان. وفي عصور الضعف السياسي أو الغزو الفكري ظل الشعر يحرس ذاكرة الأمة، ويذكرها بجذورها وقيمها.

وقد كان الشعراء في ميادين النهضة واليقظة الحديثة في طليعة المقاومين؛ فقصائد أحمد شوقي وحافظ إبراهيم لم تكن مجرد تغن بالعروبة، بل كانت دعوة إلى التحرر وبناء الوعي. هذا الامتداد من شعراء صدر الإسلام إلى شعراء عصرنا يؤكد أن الشعر حين يخلص لرسالته يصبح أحد أقوى أسلحة الأمة في معركتها مع التحديات.

خدمة القضايا الإنسانية

ليس الشعر الإسلامي محصورا في مدح أو هجاء أو وعظ، بل هو طاقة قادرة على ملامسة قضايا الإنسان الكبرى كالحرية والعدالة والكرامة والجمال. وقد أدرك المسلمون أن الكلمة الشعرية قد تفعل في النفوس ما لا يفعله السيف في ميادين القتال، فهي توقظ العزائم، وتبث الأمل، وتداوي الجراح.

إن الشعر الإسلامي حين يكتب بصدق وإيمان لا يخاطب المسلم وحده، بل يخاطب الإنسان في كل مكان؛ لأنه يستند إلى قيم إنسانية عامة مثل الحق والرحمة والخير. وهنا تظهر عالمية الكلمة الصادقة، التي تعبر حدود الجغرافيا والزمان، وتبقى حية في الضمائر مهما تقادم العهد.

خاتمة

الشعر في نظر الإسلام ليس عبثا يقال، ولا ترفا يتداول، بل هو مسؤولية وأمانة. وإذا كانت الكلمة الواحدة قد ترفع صاحبها إلى عليين أو تهوي به في أسفل سافلين، فإن الشعر أبلغ أثرا لأنه يجمع بين الكلمة الموحية والإيقاع المؤثر.

وإن حاجة الأمة اليوم إلى شعراء صادقين ملتزمين بقضاياها لا تقل عن حاجتها إلى العلماء والمفكرين؛ فالكلمة الشعرية قادرة على أن تلهم، وتربي، وتقاوم، وتفتح أمام الناس آفاق الأمل والعمل.

ولذلك، فإن كل شاعر يقف اليوم أمام مفترق طريقين: إما أن يجعل من شعره جسرا يعلي القيم ويرسخ الهوية ويبني الوعي، وإما أن يسخر موهبته في إهدار الجمال وإشاعة العبث. وما بين هذين الطريقين يظل الشعر رسالة سامية تبني الوعي وتغرس القيم في النفوس.

المراجع

١- «اهج المشركين، فإن روح القدس معك» صحيح الجامع، ص: ٢٥٢٢.

٢- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.

٣- محمد قطب، الفن في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة.

٤- د. عماد الدين خليل، الإسلام والفن، دار النفائس، عمان.

سعاد القحطاني | كاتبة

حين همس الفن للظل

كان الفن الإسلامي يهمس للظل، يتوق إلى الخروج نحو الأنوار. لم يكن يهتم بما ستؤول إليه الأمور، فقد أراد فقط أن يتحرر من قفص الظلال، ليكون رسالة تتجاوز الزمان والمكان، وتعلن عن حضور الروح في نسيج التراث.

فرسم طريقه في الخط العربي، لا كوسيلة للزينة فحسب، بل كفن يجمل كتاب الله.

ولم يرض أن يحصر في شكل واحد، بل أراد أن تكون له جذور متفرعة، كنسج السجاد، وتصميم النوافذ، وصناعة الفخار التي تزين البيوت، وحتى في المآذن، لم تكن المآذن مجرد أبراج للصوت، بل كانت علامات فنية تزين الأفق، وتبرز براعة المعمار الإسلامي في التعبير عن الانسجام بين الوظيفة والجمال.

تأثر الفن الإسلامي بالعناصر البيزنطية والساسانية، لكنه سرعان ما صاغ لنفسه هوية مستقلة. بدأ من عصر الخلفاء الراشدين، مع بناء المساجد الأولى كمسجد قباء والمسجد النبوي، ثم تطور في العهد الأموي، متأثرا بالبيزنطيين والرومان، لتظهر الزخارف الهندسية واستخدام الفسيفساء، كما تجلى ذلك في قبة الصخرة بالقدس والجامع الأموي في دمشق.

وفي العصر العباسي، انتقل مركز الفن إلى بغداد، حيث استخدم الآجر بدلا من الحجر، وظهرت الزخارف النباتية والهندسية، وتطور الخط العربي ليصبح أداة حضارية، كما في جامع أحمد بن طولون في القاهرة.

ثم جاء العهد الفاطمي والأيوبي والمملوكي، حيث رسمت الزخارف الدقيقة، واستخدم الفرجار، وتطور الخط العربي، وتجسدت هذه العناصر في جامع الأزهر، الذي أصبح مرآة للفن والروح.

وفي الأندلس والمغرب، امتزج الفن الإسلامي بالطبيعة والضوء، فكان شاعريا أكثر من كونه معماريا، كما في قصر الحمراء، الذي أعلن عن تحفة هذا العصر، تحفة من الضوء والماء والزخرفة، حيث صار الجمال روحا إسلامية.

وفي العصور الصفوية والعثمانية والمغولية، انتشر الفن من إسطنبول إلى دلهي، فظهرت فنون الخزف، وزخرفة المصاحف، والقباب البصلية، والمآذن الأسطوانية. وتجسدت الفنون الهندية الإسلامية في تاج محل، حيث صار الحب فنا.

وفي حاضرنا، رأينا الفن العربي المعاصر في المعارض العالمية، وتصميم المساجد الحديثة في الخليج، ونحت الخشب بالليزر، حيث يستمر الفن الإسلامي في التجدد دون أن يفقد جوهره.

ولم يكن الفن الإسلامي حكرا على المسلمين، ففي صقلية والأندلس، شارك الحرفيون المسيحيون واليهود في بناء وزخرفة القصور والمساجد الإسلامية، مستخدمين تقنيات إسلامية، كما أن فن الزجاج الإسلامي في العصور الوسطى كان ينتج غالبا على يد حرفيين يهود. وامتد التأثير الإسلامي إلى أوروبا، حيث استخدم الفنانون الغربيون الزخارف

الإسلامية في الكنائس والقصور، خصوصا في إيطاليا وإسبانيا. وكان بابلو بيكاسو من بين من تأثروا بالفن الإسلامي، خصوصا الزخرفة الهندسية والخط العربي، بعد اطلاعه على الفن الأندلسي. وقد ظهرت هذه التأثيرات في أعماله التكعيبية، التي تشترك في روحها مع مبادئ الأرابيسك الإسلامي.

وقد قال بيكاسو ذات مرة:
«Had I known there was such a thing as Islamic calligraphy, I would never have taken up painting.»
«لو كنت أعلم بوجود شيء يدعى الخط الإسلامي، لما احترفت الرسم»، وهو اعتراف ضمني بجمال هذا الفن.

ومن الخطاطين الذين تركوا بصمة خالدة:
- ابن البواب (توفي ١٠٢٢م) وكان من ضمن أحد أعظم الخطاطين في التاريخ الإسلامي، طور خط النسخ والثلث، ويقال إنه كتب أكثر من ٦٠ مصحفا بخط يده.
ياقوت المستعصمي (توفي ١٢٩٨م) وكان خطاطا عباسيا شهيرا، ينسب إليه تطوير الخطوط الستة، ويقال بأنه كان يكتب المصاحف واقفا احتراما لكلام الله.
- محمد زكريا (معاصر) وكان خطاطا أميركيا مسلما من أصل أوروبي، اعتنق الإسلام وتأثر بالفن الإسلامي، وكتب دعوات البيت الأبيض في مناسبات إسلامية، ويدرس الخط العربي عالميا.

وهكذا، لم يكن الفن الإسلامي مجرد زخرفة، بل كان همسا للظل خرج إلى النور، ليكون وسيلة لنشر الدين، ورمزا للحضارة، وجسرا بين الثقافات، ونداء للروح في عالم يتوق إلى المعنى.
لقد صاغ المسلمون الفن كوسيلة للتعبير عن التوحيد، حتى أصبح اسم «الله» يتجلى في المعمار والزخارف، وينساب في الخط العربي كأنه دعاء بصري. لم يكن الفن الإسلامي مجرد ترف جمالي، بل كان رسالة ووسيلة لنشر الدين، حين خاطب القلوب قبل العقول، وتسلل إلى الأرواح عبر الجمال.
وقد أحب غير المسلمين هذا الفن، فافتتنوا بالخط العربي وتأملوا روعة التصاميم التي ظهرت في العصور العباسية والأموية. فبعضهم حين تعمق في هذا الجمال، وجد فيه مدخلا إلى الإسلام، فأسلم.
ورغم أن البعض يرى الفن الإسلامي مجرد زخارف واهية، إلا أنه كان في زمنه وسيلة دعوية، حيث كان الفن حاضرا في كل مدينة، حتى أنه وصل إلى البندقية الإيطالية التي تأثرت بالفن الإسلامي.
فحين همس الفن الإسلامي للظل، نصت الجميع على توحيد يسكن الضمير، فارتقى الجمال في صمت عتيق وكأنه وعد من التاريخ القديم.

المصادر

- م.س. ديماند، (١٩٩٩)، الفنون الإسلامية، ترجمة: أحمد موسى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلد ١، ص:٤٥-٧٨.
- أرنست كونل، (٢٠٠٥)، الفن الإسلامي من العصر الأموي إلى العصر العثماني، بيروت، دار الكتاب العربي، مجلد ٢، ص:١١٢-١٣٩.
- كريستي أرنولد، (٢٠١٠)، الفنون الإسلامية وتأثيرها في الفنون الأوروبية، ترجمة: فاطمة الزهراء عبدالله، دمشق، دار الفكر، مجلد ١، ص:٦٧-٩١.
- زكي محمد حسن، (١٩٧٩)، العمائر الإسلامية وطرزها الفنية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، مجلد ٢، ص:١٤٥-١٦٨.
- نزار الصياد، (١٩٩٦)، مدن وخلفاء: عن نشأة وتطور العمران العربي الإسلامي، بيروت، المركز الثقافي العربي، مجلد ١، ص:٢٠١-٢٢٣.
- سعيد توفيق، (٢٠١٥)، تأويل الفن والدين، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مجلد ١، ص:٥٩-٨٤.
- حمد الجاسر، (١٩٨٠)، الخط العربي: تاريخه وتطوره، الرياض، دار اليمامة، مجلد ١، ص:٩٨-١٢٠.
- خير الدين الزركلي ، (٢٠٠٢)، الأعلام، ط ١٥، ج.٨، ص.١٣١، دار العلم للملايين، بيروت.

في المطيري | باحثة وكاتبة إعلامية

متحف دار المدينة

لوحة الفن الإسلامي في قلب طيبة

في رحاب المدينة المنورة، مهد الدعوة الإسلامية ومستقر الوحي، يتربع متحف دار المدينة كجوهرة فنية تعكس تألق الفن الإسلامي في أبهى صوره. هذا المتحف، الذي تأسس عام ٢٠١١م (١٤٣٢هـ) تحت إشراف الأستاذ عبدالعزيز كعكي، ليس مجرد فضاء لعرض الآثار، بل هو لوحة بصرية تجسد روح الإسلام في زخارفها الهندسية، نقوشها النباتية، وخطوطها العربية التي تتألق كجواهر تنير طريق الوحي. يهدف المتحف إلى حفظ تراث المدينة المنورة، مع التركيز على الفن الإسلامي كتعبير عن التوحيد والجمال الإلهي. يحتضن المتحف مقتنيات نادرة من العصور الإسلامية المبكرة، بما فيها آثار المسجد النبوي الشريف (وكالة الأنباء السعودية، ٢٠٢٣).

يقع المتحف في مدينة المعرفة الاقتصادية، على شارع الملك عبدالعزيز، مقابل محطة قطار الحرمين السريع، مما يجعله وجهة ميسرة للزوار من داخل المملكة وخارجها (سعوديبيديا، ٢٠٢٣). يستقبل عشاق الفن الإسلامي والباحثين عن التراث النبوي، حيث بلغ عدد زواره أكثر من ٣٠٠ ألف زائر من ٥٢ جنسية (وكالة الأنباء السعودية، ٢٠٢٣). يضم المتحف أكثر من ٢٠٠٠ قطعة أثرية، معروضة عبر ثلاث قاعات رئيسية، إلى جانب حديقة خارجية، تجمع بين العرض التقليدي والتفاعلي لتقديم تجربة غامرة تجسد عبقرية الفن الإسلامي (سعوديبيديا،

٢٠٢٣). كما أصدر المتحف أكثر من ٤٤ كتابا، بما في ذلك موسوعة «معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ»، التي توثق الفنون الإسلامية في سياقها التاريخي والمعماري (وكالة الأنباء السعودية، ٢٠٢٣).

في قاعة السيرة النبوية، التي تمتد على ٥٠٠ متر مربع، ينغمس الزائر في لوحة فنية حية تجسد مراحل الهجرة النبوية وأحداث المعارك الإسلامية مثل أحد والخندق. الجدران مزخرفة بنقوش هندسية مستوحاة من الفنون الأموية والعباسية، حيث تتشابك الأنماط النجمية والعقدية في تكرارية رمزية تعبر عن اللامتناهي في الخلق الإلهي، متجنبة التصوير التشخيصي لتتماشى مع السنة النبوية (الجزيرة نت، ٢٠١٩). تتألق المجسمات الحية لدور الصحابة بألوان ترابية مستمدة من بيئة المدينة القديمة، مزينة بزخارف نباتية كالأوراق والأزهار المتشابكة، التي تستحضر وصف الجنة في القرآن الكريم. هذه الزخارف ليست مجرد ديكور، بل هي تعبير عن الإيمان، حيث يصبح كل نمط بصري دعوة للتأمل في عظمة الخالق، مستلهمة من قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ (الذاريات:٢٠). العروض التفاعلية، باستخدام التقنيات الحديثة، تجعل الزائر يشعر وكأنه يعيش لحظات السيرة النبوية، محاطا بفن يحكي قصص الأنبياء بلغة الجمال (الجزيرة نت، ٢٠١٩).

قاعة التراث العمراني والحضاري هي قلب المتحف الإبداعي، حيث يبرز مجسم ضخم للمدينة المنورة يضم ٤٠٠٠ معلم، يعكس براعة الفن المعماري الإسلامي (الجزيرة نت، ٢٠١٩). النقوش النباتية على المجسمات، مثل أوراق العنب والزهور، ترمز إلى الجنة الموعودة، بينما الأنماط الهندسية المعقدة تعكس النظام الكوني الذي يمجد الخالق. يتألق الخط العربي في هذه القاعة كأحد أعظم إبداعات الفن الإسلامي، مع عرض مخطوطات قرآنية نادرة تعود إلى العصور الإسلامية المبكرة، مكتوبة بخطوط كوفية ونسخية تنبض بالروحانية، كأنها تجسد كلام الله في أشكال مرئية (وكالة الأنباء السعودية، ٢٠٢٣). كما تعرض القاعة فخاريات أموية مزخرفة بأنماط هندسية دقيقة، وعملات إسلامية تحمل شعارات التوحيد، وأجزاء من كسوة الكعبة الشريفة مزينة بتطريزات ذهبية تحمل آيات قرآنية، تعكس تطور الفن النسيجي الإسلامي (وكالة الأنباء السعودية، ٢٠٢٣). هذه المقتنيات، التي تشمل أيضا مجوهرات وأواني تراثية، تجسد كيف كان الفن الإسلامي وسيلة لتجميل الحياة اليومية مع الحفاظ على القيم الروحية، مستوحى من نهج النبي ﷺ في الاعتدال والجمال.

في الحديقة الخارجية، يتحول الفن الإسلامي إلى تجربة حسية مفتوحة، حيث تعرض مجسمات للبيوت الطينية والأسواق القديمة، مزخرفة بأنماط إسلامية تقليدية تجمع بين الهندسة والطبيعة. هذه العروض ليست مجرد معروضات، بل دروس حية في كيفية تطبيق الفن الإسلامي في العمارة الحديثة، كما توثقها بحوث المتحف التي تستلهم الزخارف التقليدية في التصاميم المعاصرة (الجزيرة نت، ٢٠١٩). يضم المتحف أيضا بازارا تراثيا ومكتبة تحتوي على أكثر من ١٣ ألف كتاب، مما يجعله مركزا للإبداع الفني والبحث العلمي (وكالة الأنباء السعودية، ٢٠٢٣).

يتماشى متحف دار المدينة مع منهجية «الوعي الإسلامي» في تعزيز الهوية الإسلامية عبر الفن كوسيلة للتقرب إلى الله، بعيدا عن الابتداع، ومتوافقا مع الأصول الشرعية. فالفن هنا عبادة بصرية، يذكر الزائر بجمال الخلق الإلهي ويدعوه للتأمل. من خلال هذه العروض، يعيش الزائر تجربة تجمع بين الروحانية والجمال، مستلهما كيف ساهم الفن الإسلامي في نشر الدعوة عبر العصور.

في الختام يقف متحف دار المدينة كشاهد حي على عظمة الفن الإسلامي الذي ينبض بروح الإيمان والهوية. على كل مسلم أن يعتز بهذا الإرث الحضاري، وأن يحرص على إحياء الفن الإسلامي كتعبير عن إيمانه وانتمائه، ففيه تجتمع الروحانية والجمال. فلنزرع هذا الفن في حياتنا، ولنكن سفراء لهويته، ننقل نوره للأجيال بفخر وعزة.

المراجع

١- وكالة الأنباء السعودية، ٢٠٢٣م، ثقافي، متحف دار المدينة بالمدينة المنورة، مقتنيات وأعمال فنية تختزل تاريخ المدينة، https://www.spa.gov.sa/N٢٣٥٤٢١١

٢- سعوديبيديا، ٢٠٢٣م، متحف دار المدينة المنورة، https://saudipedia.com/article/١٣١٧٤/

٣- الجزيرة نت، ٢٠١٩م، بالصور.. متحف بالمدينة المنورة يجسد السيرة النبوية، https://www.aljazeera.net/culture/٢٠١٩/٥/١٦/

٤- زوروا المدينة، ٢٠٢٥م، متحف دار المدينة، https://visitmadinah.sa/ar/destinations/متحف-دار-المدينة

مريم الكندري | آداب لغة عربية

كلمات ومشاعر

تلك الكلمات التي تحمل أجمل المعاني بين أثوابها، الصدى الذي يعكس مشاعرنا كالمرآة التي تظهره بأبهى الصور، منذ ظهور البشرية إلى عصرنا هذا، هو عالمنا النابض بالحياة يجمع بين جمال اللفظ والمعنى، فيدهش السامع ويأسر قلبه، هو ذلك العالم الجامع بين حضارتنا ودواويننا، هل تعلم ما هي تلك اللغة؟

لغة الشعر، ذلك التعبير الفطري المتحدث عن المشاعر بأسلوب مختلف عن الكلام العادي، وقد وجد منذ العصر الجاهلي (قبل الإسلام) ويعتبر ذروة ازدهاره، وقد سمي حينها بديوان العرب، وقد كان الشعر وسيلتهم لنقل الأحداث، والحكم، والمدح والهجاء، وأيضا التفاخر بأنسابهم وتاريخهم، وقد تجول بنا امرؤ القيس بأروع معلقاتهم، وقد كان هو الملك الضليل الذي نقل لنا كل الأحداث عبر معلقاته، ومن بعض كلماته:

وأنا الذي عرفت معد فضله
ونشدت عن حجر ابن أم قطام
وأنازل البطل الكريه نزاله
وإذا أناضل لا تطيش سهامي
خالي ابن كبشة قد علمت مكانه
وأبو يزيد ورهطه أعمامي
وإذا أذيت ببلدة ودعته
ولا أقيم بغير دار مقام

وفي رحاب كلمات الأعشى، صناجة العرب، نتجول بين موسيقاه الشعرية ومدحه وحروفه العابرة، وتلك التشبيهات المسهلة ومنها:

ودع هريرة إن الركب مرتحل
وهل تطيق وداعا أيها الرجل

غـــراء فـــرعـــاء مـصـقـول عـوارضـهـا
تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل
كـــأن مـشـيـتـهـا مـــن بـيـت جـارتـهـا
مـــر الـسـحـابـة لا ريـــث ولا عـجـل
تـسـمـع لـلـحـلـي وسـواسـا إذا انـصـرفـت
كـمـا اسـتـعـان بـريـح عـشـرق زجـل

وأيضا لدينا من أبرز الشعراء: زهير بن أبي سلمى، عنترة ابن شداد العبسي، طرفة بن العبد، لبيد بن ربيعة، الحارث ابن حلزة، هؤلاء نماذج ممن قالوا الشعر الجاهلي، الشعر الذي ترك للعرب مرجعا أيضا ويعتبر بداية الانطلاق لأبرز الشعراء في العصور التالية.

ثم جاء النور الذي هدى البشرية إلى طريق الصواب، وهو الإسلام ليضيف للشعر ثوبا جديدا، فقد اتجه إلى الفتوحات وخدمة الدعوة والدفاع عن العقيدة، حيث تميز بذلك حسان بن ثابت (شاعر الرسول ﷺ)، ومن أجمل ما قيل عن رسول الله ﷺ من كلماته:

وأحـســن مـنـك لـم تـر قـط عـيـنـي
وأجـمـل مـنـك لـم تـلـد الـنـسـاء
خـلـقـت مـبـرءا مـن كـل عـيـب
كـأنـك قـد خـلـقـت كـمـا تـشـاء

ومن ثم شعر النقائض الذي يعد أبرز أعلام العصر الأموي، الذي اشتهر بالصراعات السياسية، العصر الذي تميز بكلماته القوية وأسلوبه الجزل، وارتباط الشعر بالسياسة والقبيلة والدين والغزل، والمنافسات الشعرية بين الشعراء وأشهرها ما بين جرير والفرزدق والأخطل.

قال جرير مقللا من أصلهم:

تـركـتـم بـــوادي رحـــرحـــان نـسـاءكـم
ويم الـصـفـا لاقـيـتـم الـشـعـب أوعـرا
سـمـعـتـم بـنـي مـجـد دعـوا يـا لـعـامـر
فـكـنـتـم نـعـامـا عـنـد ذاك مـنـقـرا

من جانبه، يقول الفرزدق في أحد أهجى أبياته الشعرية عن قبيلة جرير:

أنـتـم قـــرارة كـل مـعـدن سـوأة
ولـكـل سـائـلـة تـسـيـل قـــرار

وفي قصيدة للأخطل يهجو فيها جريرا:

مـا زال فـيـنـا ربـــاط الـخـيـل معلمة
وفـي كـلـيـب ربـــاط الـــذل والـعـار
الـنـازلـيـن بـــدار الـــذل، إن نـزلـوا
وتـسـتـبـيـح كـلـيـب مـحـرم الجـار

ومن أبرز شعراء العصر الأموي عمر بن أبي ربيعة، قيس ابن الملوح، كثير عزة والقطامي، جميع هؤلاء وغيرهم ربطهم حب الشعر والكلمات، ولكنهم اختلفوا في أفكارهم وكلماتهم.

ومع هذه الرحلات الشعرية ننتقل إلى شعر الزهد والفلسفة والوصف الدقيق للطبيعة، شعر الخمريات والغزل المترف، شعر العصر العباسي، الذي جاء ليتميز عن باقي العصور ويبرز نفسه بكلماته ومشاعره وتعابيره الجديدة والمختلفة، وأبرزهم البحتري (الوليد بن عبيد) حيث قال:

قـد فـقـدنـا الـوفـاء فـقـد الحـمـيـم
وبـكـيـنـا الـعـلا بـكـاء الـرسـوم
لا أمـــل الـــزمـــان ذمـــا، وحـسـبـي
شـغـلا أن ذممـــت كـــل ذمـيـم
أتـظـن الـغـنـى ثـــواء لـــذي الـهـمـ
ـــــة مـــن وقـفـة بـبـاب لـئـيـم
وأرى عـنـد خـجـلـة الـــرد مـنـي
خـطـرا فـي الـســؤال، جـد عـظـيـم

ومن أبرزهم أيضا: أبو نواس (الحسن بن هانئ)، أبو تمام (حبيب بن أوس)، المتنبي (أبو الطيب)، ابن الرومي، أبو العتاهية، بشار بن برد، هؤلاء من استخدموا ألفاظا واضحة، واهتموا بالموسيقى والإيقاع، وتنوعوا بالأوزان الشعرية.

والشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير، فالشاعر يضع المعنى موضعه، ويصوره في أحسن صورة، فيحسن لفظه ويجود معناه، فيصير كالسحر.

وفي النهاية، قد تطورت الكلمات والحروف بسرعة واضحة، وظهر لنا الشعر الحديث الذي يقع بين أيدينا، وكلماته الجزلة والجميلة ليعبر عن المشاعر بطريقة سهلة وميسرة، ليصبح تاج العرب وكنزهم الخالد، فهو سجل الأمة حين تروي أمجادها وآلامها، هو جسر يصل بين الماضي والحاضر ليبقى خالدا.

مضاوي وليد الزايد | كاتبة وباحثة

بين صفحات الفن وبشار بن برد

يا سائلا عن الفن، وملتمسا سر البيان، وناشدا أخبار الشعر إذا ارتدى من البلاغة حلة، واتشح من الخيال بردة، فإنك واجد ضالتك عند شاعر ضرير، أبصر بحدس قلبه ما لم تدركه عيون المبصرين، وسلك بقدمه العرجاء طريقا تزل عنه الأقدام الصحيحة، ذاك هو بشار بن برد[1]: شاعر المجون والحكمة، الهجاء والغزل، الحرب واللهو، عاش في عصر تضاربت فيه السيوف، وتدافعت فيه العقول، فكان لسانا صادقا وإن لفه التهكم، وقلبا ناطقا وإن غشاه العمى.

كان الفن عنده صرخة على لسان العصور، يمزج بين أنين الفرد وصخب الجماعة، يصور الحرب فإذا هي ليل مدلهم، ويصور الغزل فإذا هو نار تلظي ولا تبقي، ويهجو فإذا هجاؤه سوط يلسع، ويرثي فإذا رثاؤه دمعة تفيض. فما الشعر عنده بترف للهو، ولا بزينة للمجالس، بل هو كما قال المعري عن الشعراء من بعده: «صناعة العقل إذا اهتز في محراب الفكر، ورن في معابد الروح»[2].

إن بشارا لم ير الشعر زخرفة لفظ، ولا تزيينا بغير معنى، بل جعله امتحانا للعقل، وميدانا للهوى، فاجتمع في بيانه صوتان: صوت يتغنى بالمتعة، وصوت ينادي بالتمرد. هو في غزله عاشق محموم، وفي هجائه ساخر ملجوم، وفي وصفه صوار بارع، لا يخطئ التشبيه ولا يعثر في الاستعارة.

فكأن الفن عنده سراجان، سراج يضيء طريق القلب باللذة، وسراج يشعل درب العقل بالثورة. وهو في ذلك سابق لعصره، متفرد بين أنداده، لا يقلدهم ولا يماثلهم، بل يخرج من بين صفوفهم كما يخرج الكوكب من دجى الليل؛ يتمايل ضوءه بين الإعجاب والإنكار، ويجمع في شخصه الرضا والسخط.

ومن رام مثالا يشهد لبراعته، فليصغ إلى بيته الشهير في وصف المعركة:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[3]

أية صورة تلك التي جعل فيها النقع المتصاعد غيما من ليل يظلل الوجوه، ثم جعل السيوف اللامعة كواكب تهوي من سماء مشتعلة؟ كأن المعركة عنده كون آخر! غبارها ليل، وحديدها نجوم، والموت فيها سماء سقطت على الأرض.

وشرح البيت في أبسط معانيه أنه صور ساحة القتال وقد ارتفع غبارها حتى غطى الرؤوس، فجعلها كأنها ليل، ثم جعل بريق السيوف المتطاير كالنجوم المتساقطة، فيوحي ذلك بشدة الحرب وعنفها، وبهيبة المنظر الذي يجمع الرعب والروعة.

ومن أعجب العجب أن صورة كهذه لم يخطها بصر

محدق، بل أخرجها عقل ضرير. فما أبصر بشار بلمع السيوف، ولا عرف النقع إلا بخبر ينقل، ثم صور للناس ما لو حضروه لم يروا أبدع مما أراه لهم. جعل احتكاك الحديد كواكب تتدك من أفق مضطرب، وجعل غبار الحرب ليلا يطغى على الرؤوس، فكأن الأرض كسيت سوادا والسماء انحدرت منها الشهب.

فأي حجة أبلغ من هذا على أن العيون تخدع، وأن البصيرة إذا استنارت أغنت عن البصر؟ لقد عوض العمى بيقظة الخيال، وأثبت أن الشاعر الحق لا يقف عند حدود المحسوس، بل يفتق من العدم وجودا، ويصوغ من الوغى كونا مدهشا، تتعاقد فيه الرهبة والروعة، كما تتعاقد الحياة والموت على صعيد واحد.

لم يكن بشار في شعره مطواعا للعرف، ولا خانعا لرضى السلطان. رماه بعضهم بالزندقة، لا لأنه جحد العقيدة، بل لأنه أبى التقليد، وجعل للشعر لسانا ينازع السلطان، ويناوش المجتمع. هجاؤه سوط، ورثاؤه عبرة، وكل ذلك يصب في معنى واحد، أن الفن عنده ثورة على الحدود، وتخط للمألوف، وجرأة لا تعترف بقيود.

وما ذاك إلا لأنه كان يؤمن أن الكلمة حياة، وأن الشعر عمر آخر يعيشه الإنسان بديلا عن عمره القصير. فمن هنا لم يرض أن يكون تابعا، بل أراد أن يكون مبدعا، فاستحق الذكر وإن جر عليه اللعنات.

فإذا قابلت بينه وبين أبي العلاء، وجدت الفرق بينا واللقاء قائما، بشار شاعر التمرد بالخيال والحس، والمعري شاعر التأمل بالعقل والفكر. الأول يصور الدم لوحة من نجوم وغبار، والثاني يحول الوجود إلى معادلة من ألم وأمل. الأول يمرح في أودية الحياة، والثاني يتأمل قبور الموتى. لكنهما يلتقيان في أن الشعر عندهما ليس غناء للهو، بل رسالة تلقى في مسامع الدهر؛ رسالة تمرد عند بشار، ورسالة فلسفة عند المعري.

كأن الفن بينهما جناحان، جناح يحلق به الهوى في أودية الخيال، وجناح يرفرف به العقل في فضاءات السؤال.

لقد فتح بشار بابا للتجديد، وشيد لبنة في صرح البيان العربي، فأرسى أسلوبا يزدان بالقوة والجرأة، ويتزين بالخيال والابتكار. ومن بعده جاء أبو تمام والبحتري، فبنوا على أساسه، وارتقوا إلى سمائه. وما زال الباحثون يرون في شعره مرآة لعصر مضطرب، ودرسا في تصوير المعركة والحب والسخرية بآن واحد.

فهو معلم في رسم الصورة، رائد في نحت التشبيه، جريء في كسر التقليد. وإذا ذكر اسمه ذكرت معه الثورة والحرية، وإذا قرئ شعره قرئت فيه صفحات من تاريخ العقل العربي وهو يتلمس طريقه بين القيود والآفاق.

هكذا يظل عنواننا شاهدا، بين صفحات الفن وبشار بن برد، فن هو زينة وصرخة، لوعة ومتعة، دمعة وضحكة، معركة وغزل. فيه يختلط الدم بالنجوم، كما اختلط في بيت وصفه، وتلتقي الحرية بالحكمة، كما التقت في حياته. فهو شاعر واصل إلى الخلود من طريق وعر، لكنه أثبت أن الكلمة أقوى من السيف، وأن الفن أبقى من العمر.

الهوامش

١- شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف - القاهرة ١٩٩٣م، ص ١١٩-١٣٥.

٢- أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تحقيق: عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف - القاهرة، ط٤، ١٩٨٠م، ج١، ص٣٧.

٣- بشار بن برد، ديوان بشار بن برد، تحقيق وشرح: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١، ص٢١٣.

منيرة الفرتاج | كاتبة وباحثة

بعد البعث عبث

يعد الشعر العربي مرآة لتاريخ الأمة وثقافتها، وقد مر بتحولات كثيرة بين التقليد والتجديد. ورغم تغير الأساليب وتبدل المدارس الشعرية، فإن جوهر الفن ظل قائما على التعبير عن الوجدان الإنساني، الشعر العربي هو كلام منظوم مقفى وموزون، يعبر عن المشاعر والتجارب الإنسانية بلغة مأخوذة من كلام العرب، ومن معجمهم وصرفهم وطرائق تعبيرهم وبلاغتهم. وقد عرفه ابن منظور بقوله:

«والشعر كلام منظوم يقصد به معنى، وليس كل كلام موزون يسمى شعرا، لأن الشعر ما كان مقصودا به ذلك على طريق القصد والعلم، ولهذا قيل: الشاعر هو العالم بالأشياء، لما فيه من دقة الفهم وصحة التخييل».[1]

ومن هنا يتضح أن الشعر عند العرب ليس مجرد نظم للألفاظ على وزن وقافية، بل هو تعبير فني واع يستمد لغته وصوره من وجدان الأمة وبيئتها.

والفن لا يتطور بالمعنى التقليدي للتطور؛ لأن الفن في جوهره ليس تراكم معارف أو انتقال من بدائية إلى نضج كما هو الحال في العلوم، بل هو قدرة أبدية على التعبير عن الشعور الإنساني، وجوهر الفن إذن يكمن في الكيفية لا في المحتوى، كما في الشعر حيث يكسو الشاعر مشاعره بوسائط جمالية تعبر عنها، وهي الكلمة، أما الموضوعات فهي متكررة منذ الأزل؛ المدح والفخر والهجاء والرثاء والغزل، لكن ما يتغير هو أسلوب التعبير عنها، أي تلك البصمة الجمالية التي تجعل النص عملا فنيا متفردا.

وعلى هذا الأساس، فإن الشعر العربي لم يكن بمنأى عن هذه القاعدة، فقد مر بمراحل ازدهار وانحطاط، لا في موضوعاته الكبرى، وإنما في طرائق التعبير عنها، فبينما تجلى في العصور الزاهية بأبهى صور البلاغة والابتكار، شهد ما يعرف بعصر الانحطاط انكماشا ملحوظا، حيث انعكست الأوضاع السياسية والفكرية على النتاج الأدبي، فغلب التقليد والركود، وضعفت ملكة الابتكار لدى الشعراء.

«وما مر به الفكر العربي بعد سقوط الخلافة العباسية جدير بالتأمل والبحث، لهول النكبات ومعركة الحياة أو الموت التي واجهتها الثقافة العربية التي كانت تسير بحكم غير عربي سواء من المماليك أم من العثمانيين، والسبب الأكثر أهمية الذي يدفعنا للنظر في تلك المرحلة هو قدرة الأدب العربي على العطاء بعد المحن والمصائب كلها».[2]

ومع ذلك، فإن هذا العصر يظل محطة مهمة لفهم مسار الشعر العربي، إذ يكشف كيف يمكن أن يؤثر الواقع المضطرب في الصياغة الفنية، وكيف يحافظ الأدب رغم ضعفه النسبي على دوره في صون اللغة والذاكرة الثقافية.

حركة الإحياء والبعث

برزت مدرسة الإحياء والبعث في القرن التاسع عشر بعد أن خبا بريق الشعر العربي في عصور الانحطاط، فجاءت لتبعث في القصيدة روحها المفقودة، وتعيد إلى اللغة فخامتها ورونقها، حيث كان روادها، وفي مقدمتهم محمود سامي البارودي، ثم أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، يرون أن الطريق إلى تجديد الأدب لا يكون بالقطيعة مع التراث، بل بالعودة إلى منابعه الأولى حيث صفاء اللغة وقوة التصوير وصدق العاطفة، وقد حاولت هذه المدرسة أن تحيي مجد الشعر الجاهلي في جزالته وأصالته، غير أن نتاجها الشعري جاء في كثير من الأحيان أقرب إلى محاكاة الشعر العباسي في صياغته وطرائق تعبيره، لما في ذلك العصر من رقي لغوي وتفنن بلاغي جذب شعراء الإحياء إلى تقليده، ومن أجمل الأمثلة على جمالية الشعر في هذه المدرسة ما جاء في رثاء البارودي لزوجته:

أيد المنون قدحت أي زناد
وأطرت أية شعلة بفؤادي
أوهنت عزمي وهو حملة فيلق
وحطمت عودي وهو رمح طراد
لم أدر هل خطب ألم بساحتي
فأناخ أم سهم أصاب سوادي
أقذى العيون فأسبلت بمدامع
تجري على الخدين كالفرصاد

تظهر هذه الأبيات الصدق الشعوري واللغة الجزلة والصور البيانية الرفيعة، مما يؤكد أن مدرسة الإحياء والبعث حافظت على جوهر الشعر العربي، وبينت أن الموروث الشعري يمكن أن يتجدد في مشاعر جديدة دون التفريط بصيغته الفنية، إذ حفظت له أركانه الأصيلة من وزن وقافية ولغة جزلة وصور فنية رفيعة، وحالت دون اندثاره في زمن الاضطراب والتغريب، فقد كان شعراؤها أوفياء للقصيدة العربية كما

عرفها العرب في جاهليتهم وإسلامهم وعباسيتهم، ينهلون من معجمها ويقتبسون من صورها، لكنهم أضافوا إليها روحا وطنية واجتماعية تعبر عن قضايا عصرهم، وما جاء بعد هذه المدرسة من تجارب تدعي التجديد لم يكن امتدادا طبيعيا لهذا الفن، بل كان في كثير منه عبثا بالقالب وتضييعا للجوهر، إذ تنكر لبعض مقومات الشعر العربي الراسخة التي حفظت له هويته على مر القرون.

ما بعد البعث عبث

وما جاء من بعد حركة الإحياء والبعث ما كان عبثا في صورة الأدب العربي وفن الشعر خاصة، جاء التجديد على أيدي أبناء اللغة المنبهرين بالحضارة الغربية، والفن المختلف، الرافضين لإرثهم وحضارتهم، المتعجبين بالغرب ظنا منهم بأنهم سيكونون غربيين، إلا أن من يستقل عن هويته ويضيع إرثه وحضارته لا ثقل له ولا قيمة.

في هذا السياق، ظهرت نازك الملائكة كإحدى أبرز الشخصيات التي ابتكرت ما سمي الشعر الحر أو شعر التفعيلة وقيل: «في العصر الحديث حدثت طفرة هائلة في مجال التجديد والتطوير في الشعر الحر، نهض بأكثر أعباء ذلك التطوير شعراء المهجر، فسارعوا في التخلص من القيود المتعلقة بالوزن والقافية، وقد سمي ذلك الشعر بالشعر المرسل، وسمي كذلك بالشعر الجديد، وشعر التفعيلة، إلى أن استقر الأدباء والنقاد على تسميته بالشعر الحر».[٣] فهذا النوع من أنواع الفنون التي صنفوه كنوع شعري جديد يزعم التجديد والتحرر من قيود الوزن والقافية، لكنه في جوهره تقليد للحضارة الغربية وأنماط الشعر الغربي، بعيد عن تقاليد الشعر العربي الأصيل. وقد تجسد هذا اللون الجديد في قصائدها مثل (الكوليرا)، حيث اعتمدت على لغة موسيقية كبيرة، لكنها استباحت قيود الشعر العربي الصحيح، ولم تلتزم بجوهره التقليدي، فكان هذا الشعر ابتعادا واضحا عن التراث واقترابا كبيرا من الشعر الغربي، شعرا لا تطويرا فيه.

وبعد حركة محمد حسن عواد ونازك الملائكة المتمردة على الفن العربي الصحيح، ظهرت لنا ألوانا جديدة من الأدب أسموه بالشعر الحر أي شعر التفعيلة وبعده من الأنواع التي ابتدعوها مثل قصيدة النثر وغيرها، وكل هذه الفنون الأدبية التي ظهرت من بعد حركة البعث ضاربة بقواعد الشعر والقصيدة العربية هي فنا غربيا ابتدعوه تقليدا لحضارة ليست حضارتهم، وبيئة ليست بيئتهم، وأناس ليسوا أهلهم، بلغة أكبر وأعمق من أن تحمل شعرا -كما يدعون- سطحيا ضعيفا.

وقال محمد رفيق الإسلام: «أحس العواد وزملاؤه بأن الشعر لم يكن ذلك الذي نظمه شيوخه في زمانهم، وإنما هو شيء آخر يستقى من شعر المهجريين والغربيين؛ لأن بلاغة العرب أعجز من أن تقوم به، وأن ما أثر عن العرب في القديم والحديث لا بلاغة فيه، وإنما البلاغة فيما كتب الغربيون ونصارى الشاميين من المهجرين! ثم دعا بحماس مفرط إلى تخليص الشعر مما سماه بالقيود المثقلة، كالوزن والقافية، كما دعا إلى الوحدة العضوية في القصيدة العربية».[٤]

وكان هذا رأي العواد ونظرته للشعر العربي القديم، فما كان هذا اللون من الأدب إلا لونا مختلفا، ليس شعرا بل نوعا أدبيا يختلف كل الاختلاف عن الشعر في تركيبته وكيفيته، فالشعر وإن تطور في موضوعاته، يبقى شعرا في صياغته وكيفيته، فقد جاء من جاء ليثبت أن التحرر من الوزن والقافية أي كيفية الشعر وقالبه هو شعرا متطورا، شعرا يواكب تطور العصر، شعرا ناهضا يليق بعصر النهضة.. وقبل هذا التوجه الجديد إقبالا واسعا وراحوا الناس يكسرون قواعد الشعر ليبتدعوا شعرا يستطيع أي عابر ابتداعه، رغم أن رواده ومنهم نازك الملائكة وأدونيس قد تنبؤا بأن الشعر العربي سيعود عموديا! أي يعود لقيوده وقالبه!

وهكذا يتجلى لنا أن مسيرة الشعر العربي لم تكن عبثا ولا انقطاعا، بل هي تاريخ حي للصراع بين الأصيل والدخيل، بين من أراد أن يحفظ جوهر الكلمة العربية، ومن ظن أن التجديد لا يكون إلا بالتحرر من قيودها، لقد أثبتت مدرسة البعث والإحياء أن الأصالة ليست جمودا، وأن الفن الحقيقي لا يفقد وهجه حين ينهل من تراثه، بل يزداد إشراقا كلما ازداد اتصالا بجذوره، أما ما تلاها من محاولات كسرت فيها الأوزان وضيعت القوافي، فقد بدا عبثا في فن الشعر وكأنه خروج عن روح الشعر لا تجديد في بنيانه، فالشعر الذي يفقد قالبه يفقد روحه، والشعر الذي يجرد من وزنه وقافيته يفقد سحره وعمقه.

فما بعد البعث إلا عبث؛ لم يكن نهضة، بل أضاع على القصيدة العربية توازنها بين الشكل والمعنى، ومع ذلك، سيبقى الشعر العربي ما بقيت العربية نفسها، فنا خالدا يجري في شرايين الأمة، يحمل تاريخها ووجدانها، ويذكرها دائما بأن الكلمة الصادقة لا تموت، وإن تبدلت الأزمنة وتغيرت الأشكال، أبناء اللغة سيصمدون في وجه التحديات ويحافظون على الشعر فنا وإرثا عظيما.

المراجع

١- ابن منظور، لسان العرب، مادة (شعر)، ج٤، ص٤٢٩، دار صادر، بيروت.

٢- رحمة، أ. ح. محمد، س. ا. (٢٠١٧م). عصر الانحطاط بين القبول والرفض (بحث جامعي، الجامعة الإسلامية الماليزية). مجلة التجديد، ص ٢٤٥.

٣- موسوعة اللغة العربية - الأدب العربي - الباب التاسع - الفصل الأول: https://dorar.net/arabia/٦٢٦٤.

٤- المرجع السابق.

مها ناصر العنزي | باحثة شرعية

حقيقة الحياة في رؤية أبي العتاهية

أبو العتاهية هو الشاعر إسماعيل بن القاسم بن سويد العنزي، ويعد واحدا من أبرز شعراء العصر العباسي في القرن الثاني الهجري، ولد في مدينة الكوفة حوالي سنه ١٣٠هـ، ونشأ في بيئة متواضعة، حيث عمل في مطلع شبابه بائعا للفخار قبل أن يعرف بشاعريته الفذة التي مكنته من دخول قصور الخلفاء العباسيين.

ظهر نبوغ أبي العتاهية سريعا حتى لفت أنظار الخلفاء مثل المهدي والهادي وهارون الرشيد، الذين قربوه وأكرموه لما وجدوا في شعره من صدق وعفوية وعمق فكري، غير أن ما ميزه عن غيره من شعراء عصره هو تحوله من شعر اللهو والمدح إلى الشعر الزهدي والحكمي، حيث كرس معظم شعره للتأمل في فناء الدنيا وحقيقة الموت وقيمة العمل الصالح في حياة الإنسان.

امتاز أسلوب أبي العتاهية بالبساطة والوضوح مبتعدا عن الزخرفة اللفظية والمبالغة البلاغية، مما جعل شعره يصل إلى قلوب العامة والخاصة على حد سواء، وقد وصف بأنه أول من قرب الشعر من لغة الناس اليومية حتى أصبح رمزا للزهد والحكمة في الأدب العربي.

توفي أبو العتاهية في بغداد سنه ٢١١هـ، بعد أن ترك تراثا شعريا زاخرا يعد من أهم المصادر التي تعكس الفكر الاختلافي والديني في العصر العباسي، ولا يزال تأثيره حاضرا في ثقافة الوعظ والتذكير بحقيقة الحياة والمصير الإنساني.

بعد تأمل طويل في أحوال الناس وتقلبات الزمان أطلق أبو العتاهية تأملاته العميقة في أبيات معدودة جمع فيها خلاصة نظرته إلى الحياة والموت والمصير الإنساني، فقد رأى أن الدنيا لا تستحق الغرور بها لأنها دار فناء لا بقاء، وأن الإنسان فيها يبدأ متساويا مع غيره وينتهي إلى نفس المصير، وفي ستة أبيات بليغة اختصر الشعر مسيرة الحياة منذ الميلاد حتى الرحيل، فصور المساواة عند البداية والتفاوت العابر أثناء العيش ثم العودة إلى التسوية الكبرى في القبر، وجعل من شعره موعظة خالدة تذكر الإنسان بحقيقة الدنيا، وأن قيمته الحقيقية لا تقاس بما يملك بل بما يعمل ويترك من أثر صالح.

وسأذكر أبيات أبي العتاهية حين اختصر الدنيا بستة أبيات:

نأتي إلى الدنيا ونحن سواسية
طفل الملوك هنا، كطفل الحاشية
ونغادر الدنيا ونحن كما ترى
متشابهون على قبور حافية
أعمالنا تعلي وتخفض شأننا
وحسابنا بالحق يوم الغاشية
حور وأنهار، قصور عالية
وجهنم تصلى، ونار حامية
فاختر لنفسك ما تحب وتبتغي
ما دام يومك والليالي باقية
وغدا مصيرك لا تراجع بعده
إما جنان الخلد وإما الهاوية[1]

وفي هذه الأبيات اختصر فيها فلسفة الحياة في كلمات قليلة ومعان عميقة، وفكرة المساواة التي تجمع البشر جميعا عند بداية حياتهم، فالولادة هي الباب الأول الذي يدخل منه الإنسان إلى الدنيا وفيها لا مكان للتفريق بين غني أو فقير، فالطفل المولود في قصور الملوك لا يختلف في ضعفه وبراءته وافتقاره إلى الرعاية عن الطفل المولود في بيوت العامة أو بين الفقراء، ثم يشير أبو العتاهية إلى نهاية الإنسان حيث يجمع الموت جميع البشر على قدم المساواة فلا فرق بين غني وفقير، فجميعهم متساوون في النهاية

يرحلون إلى نفس المصير مهما اختلفت منازلهم أو مناصبهم في الحياة.

كما وضح أبو العتاهية في الأبيات السابقة أن الفارق بين البشر بعد الموت ليس بالمال أو النسب بل بالأعمال الصالحة والسيئة التي يقوم بها الإنسان، والأعمال هي مقياس قيمة الإنسان ثم عرض الشاعر ثنائية الجزاء الإلهي موضحا أن مصير البشر بعد الموت يتحدد بأعمالهم في الدنيا فهناك النعيم الأبدي في الجنة للصالحين والراحة والسرور لمن عاش وفق أوامر الله ورسوله ﷺ مقابل العذاب الشديد في النار للظالمين والمذنبين الذين خالفوا ما أمر الله به، وبهذا التصوير يبرز أبو العتاهية العدل الإلهي المطلق حيث يجازي كل إنسان بما يستحقه دون تحيز، ويذكر القارئ بأن الحياة قصيرة وأن أفعال الإنسان هي التي تحدد مصيره الأبدي، ثم نوه الشاعر إلى أن الحياة فرصة للاختيار وأن الإنسان مسؤول عن جميع اختياراته قبل أن ينتهي الأجل.

ختم أبو العتاهية أبياته على حتمية المصير النهائي لكل إنسان فلا مجال للتراجع بعد الموت ويكون الجزاء بحسب الأعمال، كما ربط بين حرية الاختيار أثناء الحياة وبين العدل الإلهي بعد الموت، ويذكر بأن الفرص محدودة وأن الأعمال هي المحدد الحقيقي لمصير الإنسان.

وفي الختام استطاع أبو العتاهية هي هذه الأبيات الستة أن يختصر فلسفة الحياة والموت في كلمات معدودة جامعا بين العمق الزهدي والبساطة اللغوية ليذكرنا بأن المساواة في الميلاد والمصير والعمل الصالح والاختيار الصحيح هي القيم الحقيقية التي يجب أن يلتفت إليها الإنسان، فشعره ليس مجرد كلمات تتلى بل دعوة للتواضع والتفكر في معنى الحياة والآخرة ليعيش الإنسان يومه وآخره مدركا فناء الدنيا وأهمية أعماله.

الهوامش

١- ديوان أبي العتاهية، تحقيق: إبراهيم السامرائي.

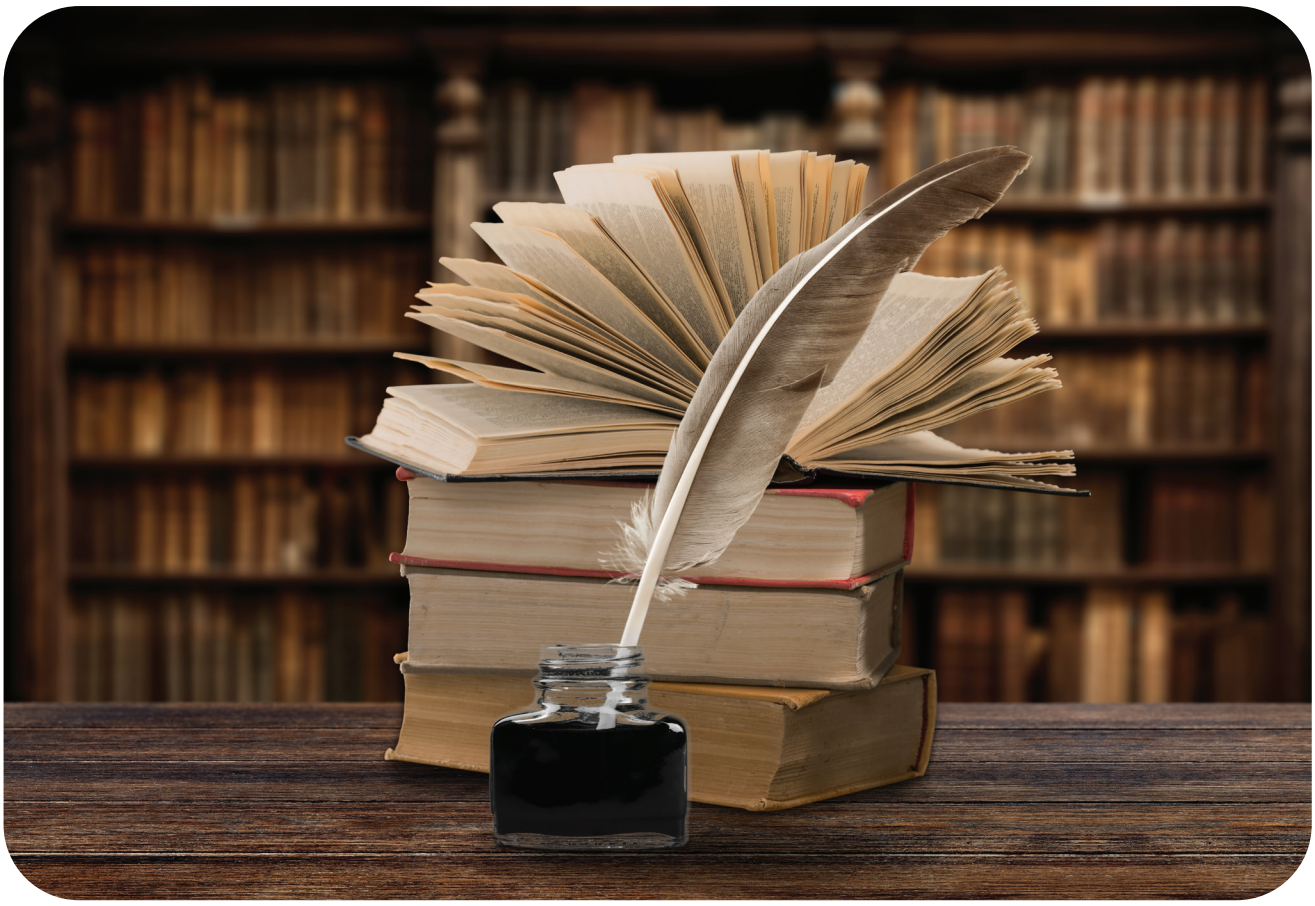

رحمة العنزي | باحثة شرعية

رحلة الإتقان والتفرد في خدمة السنة

حين يتوج الإنسان نفسه بالأخلاق العالية، فإنه يرتقي بها إلى الهمم النبيلة والقمم الشامخة، فتخلد اسمه ويسطع بين الأسماء المرموقة، وتسمو بأعماله لتصبح لوحة فنية بارزة بين سائر الأعمال. فالأخلاق الحميدة التي حث عليها الإسلام ليست مجرد ميزان عدل فحسب، بل هي مصدر نمو للفرد المتمسك بها، إذ ينعكس أثرها على سمعته وعمله، فيصبح خلقه عنوانا للرفعة والسمو.

وإمامنا الذي نتحدث عنه اليوم عرف بتواضعه الجم وإخلاصه البالغ في طلب العلم، فارتقى بعلمه وخلقه حتى علا قدره بين العلماء، واشتهر اسمه في آفاق الأمة. إنه الإمام الجليل أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، أحد كبار أئمة الحديث وحفاظه الذين كرسوا حياتهم لخدمة سنة النبي ﷺ ونقلها بأمانة ودقة.

هو إمام عربي أزدي النسب، ينتمي إلى قبيلة الأزد، وهي من أعرق القبائل العربية وأشهرها في مكارم الأخلاق والعلم. ولد في بلدة سجستان سنة ٢٠٢هـ، وهي ولاية تقع في جنوب خراسان، تمتد بين إقليم مكران جنوبا وخراسان شمالا، فنسب إليها فقيل له السجستاني.

نشأ الإمام أبو داود في أسرة محبة للعلم، غذي فيها بحب الحديث الشريف منذ صغره؛ فوالده الأشعث بن إسحاق كان من الرواة عن حماد بن زيد، كما أن أخاه الأكبر محمدا كان من طلاب الحديث، ممن رحلوا في طلبه وحفظه. ومن هذه البيئة العلمية الراقية نشأ أبو داود متعلق القلب بحديث أشرف الخلق ﷺ، فرحل في بحر هذا العلم الواسع، مستخدما بوصلة الحب والإخلاص في بحثه ليهدي للأمة إرثا خالدا وكتبا لا تنضب فوائدها، ولا يخفت نورها على مر الزمان.

رحلة أبي داود

بدأ الإمام أبو داود السجستاني رحلته في طلب العلم من المدن والقرى القريبة منه في خراسان، فأخذ عن علمائها أولا، وتجول بين هراة وبغلان والري ونيسابور وأصفهان، مستمعا إلى مشايخها وناهلا من علمهم الغزير. ثم تجاوز حدود سجستان وخراسان، متجها إلى حواضر العلم الكبرى، فكانت بغداد أولى محطاته خارج بلاده، حيث دخلها لأول مرة سنة ٢٢٠هـ، ومكث فيها شهرين وأياما، باحثا عن الرواية الموثوقة والحديث الصحيح.

ولم تكن هذه زيارته الأخيرة، فقد عاد إلى بغداد أكثر من مرة، كما ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه: «قدم أبو داود بغداد غير مرة، وروى كتابه المصنف في السنن بها، ونقله عن أهلها».

وتدل هذه الرحلات على ملازمته الطويلة للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهما، واستفادته من علمه، كما التقى بالعديد من الأئمة والمحدثين الذين أثروا في مسيرته العلمية وأغنوا معارفه الحديثية. ومن ثم اتجه الإمام إلى البصرة بعد بغداد لأول مرة عام ٢٢٠هـ، وغادرها أول مرة سنة ٢٢١هـ، لكنه تردد إليها كثيرا، واستوطنها في النهاية، وقد وافته المنية فيها بعد أن رسخ فيها علمه وفكره بين أهلها.

بعد ذلك، توجه إلى الكوفة سنة ٢٢١هـ، وغادرها في ذات السنة، لكنه كان يعود إليها مرارا نظرا

لكثرة شيوخه فيها واستفادته من مجالسهم العلمية. فقد كانت الكوفة مركزا حيويا للعلماء والرواة، وكان أبو داود يحرص على سماع كل حديث موثوق من رواته.

ثم انطلق إلى الحجاز، فتردد بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، مستفيدا من مجالس العلماء وملتقياتهم، وواصل رحلته إلى دمشق وحمص وحلب وحران، قبل أن ينتقل إلى الجزيرة والرملة وطرسوس، حيث مكث في طرسوس نحو عشرين سنة، يكتب فيها كتابه العظيم «السنن»، وجمع خلالها وأدرك أكثر من أربعة آلاف حديث، دونها بدقة وعناية فائقة.

ثم زار بيروت، ومن بعدها مصر عام ٢٤٠هـ، طلبا للعلم وناهلا من مشايخها، قبل أن يعود لاحقا إلى خراسان لاستكمال رحلته العلمية ومراجعة ما جمعه من الأحاديث. وأخيرا عاد إلى بغداد، حيث واصل طلب العلم ونشر كتبه المصنفة، مستفيدا من خبراته الرحلية الطويلة في جمع الحديث الشريف، ومثل بذلك نموذجا للرحالة العالم المخلص، الذي يربط بين السفر في طلب العلم والإخلاص في نقله ونشره بين الناس.

وهكذا جاب الإمام أبو داود أرجاء الأرض، لا يثنيه بعد المسافات ولا مشقة الأسفار، حتى سجل له التاريخ صفحات تشهد على سرعته في الرحلة وهمته العالية في طلب العلم، إذ لم يكن يسعى إلا لبلوغ حديث النبي ﷺ من منبعه الصافي.

مشايخه وتلاميذه

وما نتاج إخلاص الإمام أبي داود وبحثه الدؤوب إلا التفرد والتميز في مجال الحديث، فقد دون عن عدد كبير من المشايخ في بلدان شتى، فأتاح له انطلاقه المبكر في الرحلات العلمية التقدم على أقرانه وتحقيق علو الإسناد. وصل عدد شيوخه إلى ٤٢١ شيخا، من أبرزهم: مسدد بن مسرهد البصري، والإمام أحمد ابن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي ابن المديني، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أعلام الحديث الذين نهل منهم أبو داود علومه الغزيرة، فكان بحق منارة للعلم، جمع بين الدقة والثراء في الرواية والنقل.

ولم يقف دوره عند تلقي العلم، بل أصبح منارة للطلاب، فقد تتلمذ على يديه جمع من رواد

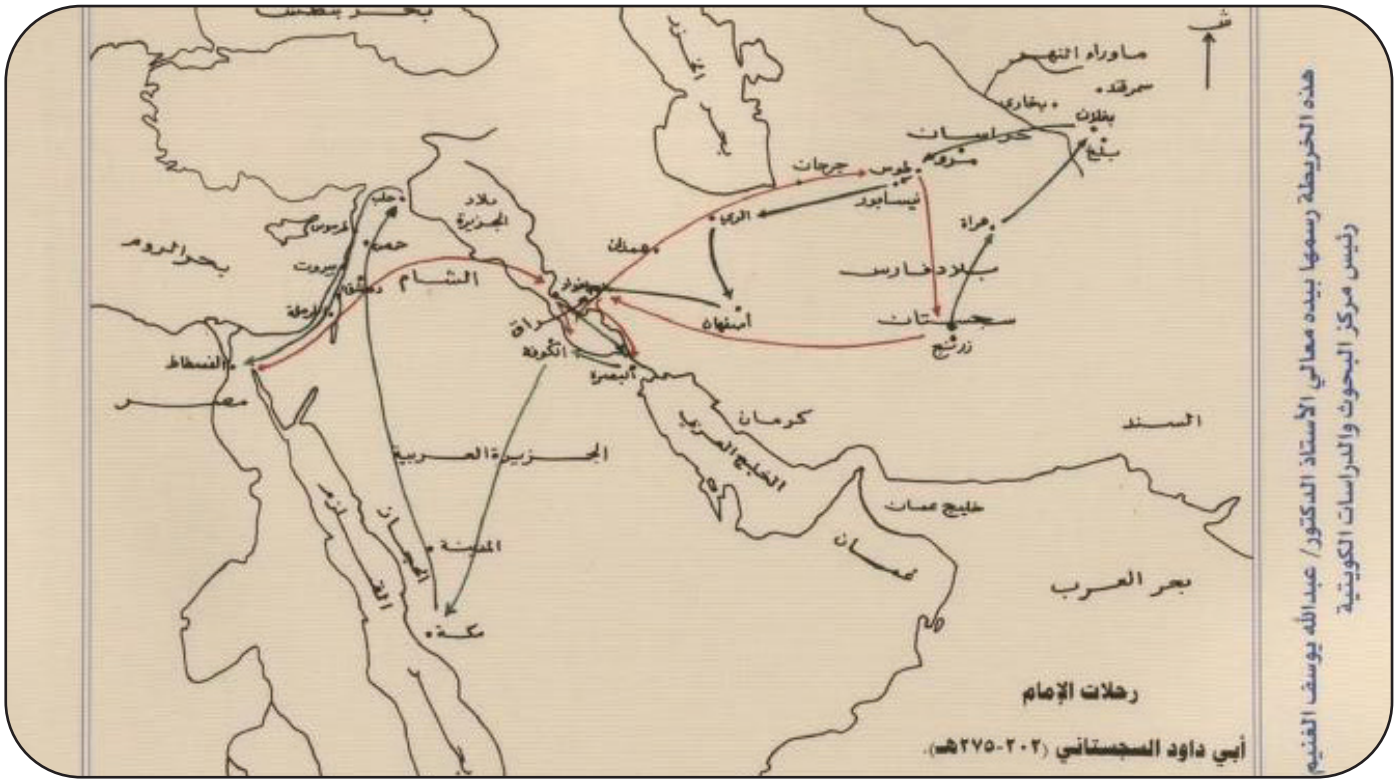

الحديث، ومن أبرزهم الإمامان الترمذي والنسائي، وكذلك ابنه الإمام أبو بكر عبدالله بن أبي داود، الذي سار على نهجه في طلب العلم ونقل الحديث. وقد انعكس أثره الكبير في حرص تلاميذه على الدقة والصدق في الرواية، وانتشار العلم الشريف بين الأجيال، فضلا عن عدد من العلماء الآخرين الذين تأثروا بعلمه وأخلاقه العالية.

ألف الإمام أبو داود مؤلفات كثيرة في علوم متعددة، شملت الحديث والفقه وعلم الرجال (وهو العلم الذي يختص بدراسة رواة الأحاديث النبوية، أي الذين نقلوا الحديث عن النبي ﷺ أو عن الصحابة والتابعين)، إضافة إلى العقيدة والتفسير. وقد وصل إلينا بعضها، بينما فقد البعض الآخر مع مرور الزمن.

مؤلفاته

ومن أبرز مؤلفاته وأشهرها كتاب «السنن»، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة في الحديث الشريف، صنفه الإمام بدقة وإخلاص حتى صار مرجعا رئيسا لطلاب العلم والعلماء. كما ألف كتاب «المراسيل»، وكتاب «مسائل الإمام أحمد» في الفقه، إلى جانب كتب أخرى لم تحصل مثل «الناسخ والمنسوخ» و«التفرد في الدين»، مما يدل على سعة علمه، وتنوع معارفه، وحرصه على خدمة سنة النبي ﷺ من مختلف الجوانب.

مكانته العلمية وصفاته

كان الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله من الأئمة الذين برزوا في ميادين العلم المتعددة، فكان إماما في الحديث رواية ودراية، كما كان إماما في الفقه والنقد والعلل، يجمع بين دقة المحدث وفطنة الفقيه. ولمكانته المرموقة بين العلماء، طلب منه الأمير الموفق أن ينتقل إلى البصرة لتعود عامرة بالعلم بعد أن خربت بسبب فتنة الزنج، لما علم من أثر وجوده فيها، وفي هذا الطلب تتجلى مكانته بين العلماء والأمراء.

إلا أن الموقف نفسه يكشف عن تواضعه وزهده وعدله، فقد روى الخطابي عن أبي بكر بن جابر خادم أبي داود، قال: كنت معه فصلينا المغرب، فطرق الباب، فإذا بخادم يقول: هذا الأمير أبو أحمد الموفق يستأذن. فأخبرت أبا داود، فأذن له، فلما دخل عليه قال أبو داود: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟

فقال الأمير: جئت لأمور ثلاثة.

قال: وما هي؟

قال: تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطنا، ليرحل إليك طلاب العلم من أقطار الأرض، فإنها قد خربت بعد محنة الزنج.

فقال أبو داود: هذه واحدة، هات الثانية.

قال: وترو لأولادي كتاب السنن.

قال: نعم، هات الثالثة.

قال: وتفرد لهم مجلسا خاصا للرواية، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة.

فقال أبو داود: أما هذه فلا سبيل إليها؛ لأن الناس شريفهم ووضيعهم في العلم سواء.

وهذا الموقف وحده يكشف عظمة الإمام وتواضعه وزهده وعدله، فقد أبى أن يميز بين أبناء الخلفاء وطلاب العلم الآخرين، وجعل العدل والعلم ميزان التفاضل الوحيد.

بهذه الأخلاق السامية والمبادئ الراسخة سمت مكانته وارتفع قدره، حتى غدا علمه وفكره منارة يهتدى بها، وخلد اسمه بعمله المخلص الذي تحول إلى فن راق وإبداع خالد؛ فالعلم عند أبي داود لم يكن حرفة، بل رسالة يتجلى فيها الجمال والإخلاص معا.

ختام المقال

وختاما، من الجدير بالذكر أن دولة الكويت، وفي إطار مشاريعها العلمية المستمرة، قد أولت عناية كبيرة بإحياء سنة الرواية والسماع، فأقامت «مشروع سماع وختم الكتب السبعة» في مسجد الدولة الكبير، وكان من بين تلك المشاريع قراءة وسماع وختم سنن الإمام أبي داود السجستاني رحمه الله تعالى.

انعقد المجلس في الفترة الممتدة من يوم الثلاثاء ٢٠٠٨/٢/٢٦م إلى يوم الثلاثاء ٢٠٠٨/٣/٤م، يوميا من بعد صلاة العصر إلى ما بعد صلاة العشاء، وتمت القراءة والسماع بالسند المتصل إلى الإمام أبي داود رحمه الله،

على يد نخبة من العلماء الأجلاء والمسندين النبلاء، وهم:

- العلامة الحافظ ثناء الله بن عيسى خان المدني (من باكستان).
- العلامة الشيخ عبدالوكيل بن عبدالحق الهاشمي (من مكة المكرمة).
- العلامة الشيخ محمد إسرائيل ابن محمد إبراهيم السلفي الندوي (من الهند).

وقد حضر المجلس جمع غفير من العلماء والشيوخ وطلاب العلم، رجالا ونساء، من مختلف بلدان العالم الإسلامي، تجاوز عددهم ستمئة شخص. وأجاز العلماء جميع الحاضرين برواية سنن أبي داود بالسند المتصل على الشرط المعتبر عند أهل الحديث والأثر.

وكانت البداية المباركة بمشروع سماع صحيح البخاري (من ٣/٣١ إلى ٢٠٠٧/٤/٩م)، تلاه سماع صحيح مسلم (من ٦ إلى ٢٠٠٧/٧/١٢م)، ثم جامع الترمذي (من ١١/٢٧ إلى ٢٠٠٧/١٢/٤م)، ثم المشروعان الرابع والخامس لسماع سنن أبي داود وموطأ الإمام مالك (من ٢/٢٦ إلى ٢٠٠٨/٣/٤م).

لقد كان ذلك اليوم مشهودا في تاريخ الكويت العلمي والثقافي، فبعد قرون عدة ما زال علمه ينهل منه، فكان يتدارس كأنه فن، ومئات الناس قدموا ليروا علمه ويلتفوا حول كتابه كلوحة فنية. إذ أحيى روح السماع والرواية في العصر الحديث، وجمع بين أصالة المنهج الحديثي وجمال التنظيم المعاصر، بجهود وزارة الشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

فالحمد لله أولا وآخرا، ظاهرا وباطنا، على ما من به من إحياء العلم الشريف في أرض لطالما كانت منارة للفكر والعطاء، وراعية لتراث الأمة الخالد.

المراجع

١- المدخل إلى سنن الإمام أبي داود لمحمد محمدي بن محمد جميل النورستاني.
٢- ثبت الكويت، لزياد التكلة.
٣- سير أعلام النبلاء، للذهبي.
٤- الأعلام للزركي.

سعاد القحطاني | كاتبة

(قصة التقاء بين ثقافتين)

مسجد الشيخ ناصر الصباح

في بداية الثمانينيات، كان المكان مزدحما، حيث يتجول الناس في الطرقات. منهم من يتوجه إلى عمله، ومنهم من يمارس هواية، وآخرون يتنزهون في البحر. كانت منطقة السالمية تنمو كمدينة ساحلية نابضة، تتداخل فيها رائحة البحر بصوت العمران، وتعج بضوضاء الحياة، ولكن وسط كل هذا، ارتفع بناء غريب يشبه الهرم.

كان هرما متدرجا يرتفع إلى السماء بهدوء. ظن الناس أنه سيتم بناء مشروع ما، كأن يكون مبنى شركة أو مركز تسوق، وبعدها تنقطع حبل أفكارهم ليواصلوا حياتهم. ولكن عند افتتاحه، تبين أنه مسجد، لم يكن يشبه أي مسجد آخر، بل كان مختلفا. لم تكن له قبة ضخمة ولا مئذنة شاهقة، بل كان هرما متدرجا. وحتى تصميمه الداخلي كان فريدا، حيث كان ما يميزه ليس حجمه، بل فلسفة تصميمه.

صحن الصلاة فيه خال تماما من الأعمدة، مما يسمح بصفوف متصلة لا يقطعها شيء. وكأن المعمار أراد أن يقول: «في حضرة الله، لا حواجز بين الناس».

وكان الزجاج البطل الصامت في هذه القصة، استخدم بكثافة في السقف والجدران، بحيث يسمح للضوء الطبيعي أن يتسلل في أوقات الصلاة، فيرسم على الأرض أشكالا من النور تتغير مع حركة الشمس، وفي الفجر، يبدو المسجد كأنه يتنفس ضوءا، وفي المغرب، يكتسي بلون البحر.

كان جماله يجمع بين الطابع البلجيكي والإسلامي، حيث تبين أن أحد المعماريين كان بلجيكي الأصل، اسمه هنري مونتوا، وعلى الرغم من عدم وجود معلومات كثيرة حول هذا المعماري، لكن يبدو أنه كان شغوفا بالعمارة الإسلامية، فكيف لشخص أن يبني هذا المسجد دون أن يكون شغوفا بجمال العمارة الإسلامية؟

هذا المسجد لا يروي فقط قصة بناء، بل قصة رؤية: أن الله خلق الإنسان ليحب الجمال، فاختار الإنسان أن

يربط الصلاة والعبادة بمكان جميل لا تشوبه شائبة، مكان يجعله ينغمس في عبادة ربه، مكان ينبعث منه الراحة والسكينة.

أراد الإنسان أن يعبر عن الجمال عبر بناء مسجد يملأ جوفه بذكر الله، وقد أعطى الله الإنسان العقل ليعمر الأرض ويستثمر فيها، وأن يكون عبدا شاكرا، كما جاء في كلام الله تعالى في الآية: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (النحل:٧٨).

وحتى في رمضان، حين تمتلئ ساحات المسجد بالمصلين، يتحول إلى بحر من السكينة، تصعد فيه الدعوات كما يصعد الضوء في هرمه الزجاجي.

كان هذا هو مسجد الشيخ ناصر صباح الأحمد، الذي بني عام ١٩٨١م على مساحة تقارب ٢٥٠ مترا مربعا. لم يعرف على وجه الدقة إن كان الشيخ ناصر هو من أمر ببنائه، لكن المسجد حمل اسمه، وخلد حضوره في قلب المدينة.

وقد سلط الاتحاد الأوروبي الضوء على مسجد الشيخ ناصر، معتبرا إياه مثالا على العمارة الإسلامية الحديثة التي تحمل بصمة أوروبية. هذا الاعتراف لم يكن مجرد تكريم لتصميمه، بل كان تأكيدا على قدرة العمارة على تجاوز الحدود الثقافية والجغرافية. يمثل المسجد جسرا بين الشرق والغرب، حيث لم تكن العمارة مجرد اتفاق مشترك بل كانت وسيلة لنشر الدين الإسلامي.

واليوم، بعد أكثر من أربعة عقود على إنشائه، لا يزال مسجد الشيخ ناصر يروي قصته الفريدة. إنه ليس مجرد مبنى، بل هو تجسيد لحوار ثقافي مستمر، يربط بين ضوء الإيمان وزجاج الشفافية، بين العبادة والفن. في عالم يسعى فيه الكثيرون إلى الفهم والتقارب، ويبقى هذا المسجد منارة تضيء الطريق نحو التفاهم والاحترام المتبادل بين الشعوب والثقافات، لتكون قصة التقاء بين ثقافتين.

المراجع

١- الجريدة الكويتية: مسجد ناصر الصباح:
https://www.aljarida.com/article/106337

٢- المجموعة الهندسية الكويتية:
https://www.kegkuwait.com/portfolio/sheikh-nasser-mosque-/kuwait

٣- المستودع الدعوي الرقمي:
https://dawa.center/islamic_centre/1311

محمود شاكر محمود | اختصاصي إعلامي

شخصيات كويتية

مريم عبدالملك الصالح
ورسالة التعليم

رغم صغر مساحة دولة الكويت إلا أنها كانت ولا تزال ولادة في إنجاب رواد العلم والمعرفة الذين يساهمون في نشر العلوم والمعارف بمختلف أنواعها في كل أقطار العالم العربي والإسلامي والعالم أجمع.

وعند ذكر الرواد لابد أن نذكر شخصية نسائية كويتية بارزة وهي السيدة مريم عبدالملك الصالح.

تعد السيدة مريم عبدالملك الصالح هي أول مدرسة كويتية وأول مديرة مدرسة كويتية ساهمت في تخريج الكثير من الأجيال من الطالبات اللاتي سلكن طريق العلم والمعرفة بمختلف المجالات.

ولدت السيدة مريم عبدالملك الصالح في عام ١٩٢٦م في الكويت، حيث بدأت من سن صغيرة بتعلم القرآن، وحفظته بعمر الـ ٤سنوات على يد المطوع آنذاك، ثم بدأ والدها يعلمها منهج المدرسة المباركية الذي يدرسه للأولاد فيها، واستمر والدها في تعليمها في المنزل لمدة قاربت سبع سنوات، وعندما رغبت دولة الكويت بإنشاء المدارس النظامية للبنات في عام ١٩٣٨م، كانت المربية مريم عبدالملك الصالح أول معلمة كويتية فيها، وذلك عند افتتاح المدرسة الوسطى في منطقة المرقاب. ورغم صغر سنها إلا أنها كانت حاصلة على أنواع من المعارف والعلوم أهلتها لتفوز في لجنة اختيار المعلمات لكفاءتها والعلوم التي تحصلت عليها، فقد تم اختيارها من بين المتقدمات لطلب وظيفة التعليم لتكون أول مدرسة لتعليم بنات الكويت في المدرسة الوسطى، واستمرت في التعليم فيها لمدة أربع سنوات، وعندما بدأت الكويت في إنشاء دبلوم التربية النسوية لفتيات الكويت لتأهيلهن للتعليم في المدارس النظامية وتخريج معلمات كويتيات يمارسن مهنة التعليم، حرصت مريم عبدالملك الصالح على الدخول في الدبلوم لتزداد معرفة وعلما، وليساعدها في أداء مهمتها على أكمل وجه لتكون أول فتاة كويتية حاصلة على شهادة الدبلوم النسوي، ثم تم تعيينها ناظرة لمدرسة الزهراء لتكون أيضا أول ناظرة كويتية.

استمرت في مركزها لعدة سنوات حتى تم تعيينها مراقبة في مكتب وكيل الوزارة، وبعدما اطمأنت على مستوى تعليم البنات في الكويت ودخول عدد كبير من بنات الكويت في سلك التعليم؛ تدريسا وإشرافا، تقاعدت عن العمل عام ١٩٨٤م، حيث مارست التعليم نحو أربعين عاما، لتكون نموذجا رائدا في التعليم النسائي في دولة الكويت، وقد حرصت على توثيق هذه التجربة الفريدة بتأليفها لكتاب «التطور التاريخي لتعليم الفتاة في الكويت» والذي صدر في ٢٠ أكتوبر عام ١٩٧٥م ليكون مرجعا وثائقيا مهما يوثق تاريخ وبدايات التعليم النسائي في دولة الكويت.

لم تثن الحياة السيدة مريم عبدالملك الصالح عن استكمال مسيرة التعليم والتعلم، فبعد أن تقاعدت عن العمل حنت للتعليم مرة أخرى، فافتتحت مدرسة خاصة عام ١٩٨٥م، وأطلقت

عليها مدرسة «جوهرة الصالح»، كما حرصت على المزيد من تعلم العلوم الشرعية بدخولها في المعهد الديني الذي أكملت فيه الثانوية العامة، وحرصت على دخول جامعة الكويت بكلية الشريعة بعد عام ١٩٩٠م.

واستمرت في عطائها ونقل تجربتها وتعليم أبنائها ليواصلوا مسيرة العطاء لدولة الكويت، وقد أحسنت دولة الكويت بتكريمها وتخصيص مدرسة من مدارس البنات في وزارة التربية بإطلاق اسمها عليها، لتخلد جهدها وعطاءها بمدرسة أطلق عليها اسم «مدرسة مريم عبدالملك الصالح».

كما كرمتها الدولة بتقديم جائزة الدولة التشجيعية لها، لتكون بذلك السيدة مثالا يحتذى به لكل الأجيال في حب العلم والتعليم ونقل العلوم ومشاركة الناس تلك المعارف الشاملة.

المصادر

https://fanarkwt.com/مريم-عبدالملك-الصالح/

https://www.alqabas.com/article٥

د. أحمد محمد القزعل | كاتب وأكاديمي

فن التغافل

من الطبيعي أن يواجه الإنسان في حياته مواقف صعبة وتحديات كبيرة قد تسبب له التوتر، لكن الحياة لا تستقيم ولا تهنأ بكثرة اللوم، وليس من الحكمة أن يسمح الإنسان لكل ما يمر به أن يقلقه أو يرهق مشاعره ويستنزف طاقته على أمور صغيرة لا قيمة لها؛ لذلك نبه العقلاء على ضرورة وجود مبدأ في التعامل بين الناس بعضهم مع بعض حتى تسير الحياة في راحة وهدوء ومحبة ألا وهو فن التغافل، ويجب الانتباه إلى أن التغافل ليس ضعفا في الشخصية أو وهنا في القوة، بل هو سمو في الذات وطموح في الآمال وعلو في السعي نحو الكمال وهو من سمات تمام الثقة بالنفس فالشخص المتغافل يترك الكثير ويتغاضى عن السفاسف في الأقوال والأفعال لكسب القلوب ورص الصفوف واجتماع الكلمة وهو من فنون الحياة، ومهارة اجتماعية ذكية قد لا يتقنها الجميع.

والتغافل لغة: يتغافل تغافلا فهو متغافل والمفعول متغافل عنه ويقال: تغافل فلان: تظاهر بالغفلة أو تعمدها[1]، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي للتغافل عن المعنى اللغوي، حيث إن التغافل اصطلاحا يعني أن تغض الطرف عن الهفوات، وألا تحصي السيئات، وأن تترفع عن الصغائر، ولقد قالت العرب قديما:

ليس الغبي بسيد في قومه

لكن سيد قومه المتغابي

ويمكننا تعريف فن التغافل في الوقت الحاضر بأنه: التعامل مع المواقف المزعجة أو التصرفات السلبية بتجاهل متعمد، مع وعي تام بها، بهدف تجنب ردود الفعل التي قد تزيد من تفاقم المشكلات أو تؤدي إلى توتر العلاقات، وهو سلوك يدل على النضج والحكمة ونوع من التسامح الذكي، ويتيح

للفرد الحفاظ على استقراره النفسي وعلاقاته الاجتماعية دون تضخيم الأمور الصغيرة.

الفرق بين التغافل والتجاهل

لا بد من التمييز ومعرفة الفرق بين التغافل والتجاهل، حيث إن التغافل ينتج عن وعي بالخطأ أو التصرف غير المناسب، لكن يتم تجاوز ذلك بحكمة لأسباب تتعلق بالحفاظ على العلاقة أو السلام النفسي فهو رسالة ود واحترام، أما التجاهل فهو عدم الاهتمام بشيء معين أو عدم ملاحظة أمر ما عن قصد أو غير قصد وغالبا ما يكون متعمدا دون إدراك للعواقب فهو دلالة إهمال وازدراء، وقد قيل: إن التغافل يكون من شخص لشخص محب أو ذي قرابة ونسب، كأن يرتكب من نحب خطأ فنتغافل عن ذلك وكأنه لم يفعله، أما التجاهل فيكون مع من نصادفهم في حياتنا العابرة، ممن أساء وأخطأ، فنتجاهله كأنه لا يعني لنا هذا الشخص شيئا.

فوائد فن التغافل

نتيجة الاحتكاك والمخالطة بين البشر تقع بينهم عثرات وزلات، تكون مقصودة أحيانا وأخرى من غير قصد، وتتفاوت مواقف الناس مع أخطاء الآخرين وإساءاتهم فمنهم من يضخم الإساءة وينفخ في نارها، فتتقطع العلاقات وتتفكك الروابط وينعدم التواصل المجتمعي، ومنهم من إذا تعرض لزلة أو إساءة عفا وسامح؛ لحسن خلقه وطيب نفسه وكرم ذاته، ومنهم من يتعمد ترك الزلات والإعراض عن الهفوات، ويتقصد غض الطرف عن الإساءات رغبة منه في استمرار الحياة والمحافظة على العلاقات، فالتغافل يساعد على تجنب الخلافات والحفاظ على علاقات ودية ويقلل من احتمالية نشوب الخلافات ويحقق الراحة النفسية ويقلل من التوتر والضغط النفسي ويزيد من قدرة الإنسان على التسامح مع الآخرين وتقبلهم، ويعمل على زيادة الإنتاجية في العمل بتجنب التركيز على الأمور السلبية أو المشاكل الصغيرة وتوجيه طاقة الفرد نحو الأمور الأكثر أهمية، ولكل شيء مقومات ودعائم تؤسس له، ومن أهم مقومات فن التغافل وجود الوعي الذاتي، فيجب أن يكون لدى الشخص وعي بقدراته العاطفية وقدرته على التحمل، كما أن الصبر والحلم من أهم المقومات لتجنب ردود الأفعال السريعة والتعامل بهدوء والقدرة على الفصل بين المهم وغير المهم والقدرة على التمييز بين الأمور الكبيرة التي تستدعي التدخل والصغيرة التي يمكن التغافل عنها، والقدرة على التمييز بين الهفوات التي يمكن التغاضي عنها والأمور التي تحتاج إلى حزم.

ولا بد من التغافل عن الأخطاء البسيطة في العلاقات الاجتماعية والحياة الزوجية فالأزواج غالبا ما يواجهون مواقف صغيرة قد تتسبب في الخلاف، لكن التغافل عن هذه المواقف الصغيرة يعزز التفاهم والمحبة بين الزوجين، ومن المهم التغافل عن التصرفات غير اللائقة في العمل مما يجنب وجود النزاعات في بيئة العمل ويزيد من التعاون بين أعضاء الفريق ويساهم في خلق جو من الثقة والاحترام، مع أهمية التغافل عن سلوكيات الأبناء التي لا تستدعي عقابا مباشرا، حيث يجب على الوالدين تعلم التغافل عن بعض التصرفات الطفولية أو الأخطاء التي قد يرتكبها الأطفال في سياق نموهم ذلك أن التغافل المتزن يساعد على تعزيز الثقة لدى الأبناء وتطوير شخصياتهم دون أن يشعروا بالتوبيخ المستمر. وأخيرا فإن التغافل عن الزلات العفوية بين الأصدقاء والأقارب يعزز من وحدة النسيج الاجتماعي والتفاعل المجتمعي.

أنواع التغافل

١- التغافل الشخصي: بأن نعتبر أن الشخص وكأنه غير موجود، حتى ينتبه ويعود لرشده ويعتذر

عما بدر منه، وقد قيل: إن القليل من التغافل والتجاهل لفعل شخص ما يعيد ذلك الشخص إلى حجمه الطبيعي.

٢- التغافل عن الذكريات والمواقف المؤلمة: حيث نجعلها وراء ظهورنا ولا نفكر فيها كثيرا ونبدأ صفحة جديدة في حياتنا وننطلق نحو الحياة الجديدة والأمل المشرق.

٣- التغافل السلوكي الهادف: ربما يكون السلوك غير لائق عندها يجب أن نتذكر ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام مع ذلك الأعرابي الذي شد ثوب النبي عليه الصلاة والسلام، فعن أنس قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، فضحك، ثم أمر له بعطاء»[٢].

لكن من الأهمية أن نشير هنا إلى أن ليس كل سلوك خاطئ يفضل تجاهله، فمواقف التعدي على الغير أو انتهاك حقوق الله تستلزم التدخل المباشر الحكيم، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[٣].

كيفية إتقان فن التغافل

التغافل فن اجتماعي مهم للحفاظ على العلاقات الإنسانية وحل الخلافات الصغيرة قبل أن تتفاقم سواء كانت في الأسرة أو العمل أو المجتمع، فمن خلال التغافل يمكن للإنسان تجنب الكثير من الخلافات والمشاحنات التي قد تؤدي إلى توتر العلاقات، كما يسهم التغافل في تعزيز التفاهم والانسجام ويساعد في الحفاظ على السلام الداخلي مما يجعله وسيلة لحياة أكثر سعادة وارتياحا. ويمكن تعلم وإتقان فن التغافل من خلال الخطوات الآتية:

١- التحكم في ردود الأفعال فالإنسان يتعلم كيفية ضبط النفس والتحكم في ردود الأفعال تجاه المواقف التي قد تثير الغضب أو الإحباط والتدريب على الصبر وضبط النفس، حيث إن إتقان فن التغافل يتطلب الصبر على تصرفات الآخرين وعدم التسرع في الرد أو الحكم.

٢- قبول الواقع المفروض على الفرد فالأشخاص في الحياة لا يتشابهون دائما في الأخلاق والوعي والمبادئ ولن تكون تصرفاتهم وردة فعلهم واحدة في معظم الأحيان، ويمكن للإنسان بعد معرفتهم وتجربتهم توقع تصرفاتهم وأفعالهم مما يساهم في التقليل من الصدمات وإنجاح العلاقات الاجتماعية.

٣- الوعي فكلما ازداد وعي الإنسان ازدادت قدرته على التغافل، وتتمثل هذه المهارة بترفعه عن المشكلات ويتسامى عن إرهاق نفسه وإهدار وقته ومشاعره على أمور لا تستحق، ولا يأخذ موقفا حازما إلا فيما يستحق الاهتمام.

٤- ضرورة عدم التدقيق على المواقف الحياتية غير المهمة وتفعيل مبدأ التسامح وتجاهل الأمور السلبية والتركيز على الأمور الإيجابية، فالتعامل مع أخطاء الناس يجب أن يكون عابرا، حيث لا يقف الإنسان في تعامله مع الآخر عند صغائر الأمور؛ لأن لدى الفرد ما يستحق أن يستثمر طاقته من أجله ولعل إدراك أن بعض الأمور ليست ذات أهمية كبيرة تستحق الانشغال بها والتسامح في بعض الأمور الصغيرة هو مفتاح للتغلب على الكثير من المشاكل.

٥- التفرقة بين الأمور الكبيرة والصغيرة، فلابد من التركيز على الأمور المهمة فقط وترك الأمور الثانوية التي قد لا تؤثر على المدى الطويل.

موقف الإسلام من التغافل

الإسلام يدعو إلى التسامح والعفو وهو أمر مرتبط بفن التغافل، فالتغافل يعتبر نوعا من الترفع عن الزلات الصغيرة وحسن الخلق، وقد كان النبي ﷺ قدوة في العفو والتسامح، وكان يحرص على التعامل بحلم مع الأخطاء، وبين عليه الصلاة والسلام أهمية التحكم في النفس والتغافل عن الأمور التي تثير الغضب فقال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٤].

ودعا القرآن الكريم إلى الإحسان في التعامل مع الآخرين والتغافل عن الأخطاء، فقال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران:١٣٤)، فالمسلم يتغافل عن هفوات المسلمين كلهم، فلا يتوقف عند كل صغيرة، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (القصص:٥٥)، والتغافل من علامات الحكمة وصفات عباد الرحمن، كما قال الله في وصفهم: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ (الفرقان:٦٣).

ولقد سمع النبي يوسف، عليه السلام، كلمة نابية قاسية يوما، ووصفوه بأنه يسرق فأعرض عن قولهم كأنه لم يسمعه ولم يعاتبهم أو يعاقبهم، وهذا من باب الحكمة والصبر والتغافل عن سفاسف الأقوال، ولا يزال التغافل عن الزلات من أرقى شيم الكرام، فالعاقل الفطن يتغافل عن بعض الأخطاء والزلات ويبذل جهده ويسعى في إصلاحها ومناصحة أصحابها، وكان هدي نبينا محمد عليه الصلاة والسلام التغافل في كثير من المواقف، ومنها ما جاء في الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (التحريم:٣)، فقد أخبر رسول الله ﷺ حفصة، رضي الله عنها، ببعض ما أخبرت به عائشة رضي الله عنها معاتبا لها، ولم يخبرها بجميع ما حصل منها حياء منه وتكرما.

حقيقة إن التغافل أدب إسلامي ومبدأ يأخذ به العقلاء في تعاملهم مع سائر أبناء المجتمع، وقد قيل للإمام أحمد رحمه الله: «العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في التغافل. فقال: العافية عشرة أجزاء، كلها في التغافل»[٥].

الهوامش

١- معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف: د. أحمد مختار عبدالحميد عمر، بيروت، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، الجزء:٢، الصفحة:١٦٣٠.

٢- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، كتاب: الزكاة، باب: إعطاء من يسأل بفحش وغلظة، حديث:(١٠٥٧)، الجزء:٢، الصفحة:٧٣٠.

٣- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، كتاب: الإيمان، باب: كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث:(٤٩)، الجزء:١، الصفحة:٦٩.

٤- صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دمشق، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب، حديث:(٥٧٦٣)، الجزء:٥، الصفحة:٢٢٦٧.

٥- كشاف القناع عن متن الإقناع، تأليف: منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي، الرياض، دار مكتبة النصر، د.ت، الجزء:٥، الصفحة:٢١٠.

د. إيمان يوسف المزوق
أستاذ الفقه وأصوله ومدير شركة السراج المنير

«استوصوا بالنساء خيرا» (٣-٣)

المرأة أعظم أسباب القوة في المجتمع الإسلامي وهي سلاح ذو حدين قال النبي ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» (رواه مسلم).

فالمرأة هي محور نهضة الأمة إن ثبتت على دينها وهويتها الإسلامية واعتزت بتكريم الإسلام لها، ولذلك اجتمع الشرق والغرب أعداء الإسلام عليها قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٢٧)، وذلك بأن تكون هي أسرع أداة لتحقيق مشاريع طمس الهوية الإسلامية للمرأة المسلمة وتخريب أفكارها وتشكيكها بدينها الإسلامي وتشريعاته التي تحفظها وتعزز دورها في نهضة الأمة الإسلامية. ولذلك جاءت تلك الرسائل التوعوية في إظهار تكريم الإسلام للمرأة وستكون هذه الرسالة الثالثة في:

- صور التكريم للمرأة في الإسلام في الزواج بما لها من حقوق وما عليها من واجبات:

لقد غير الإسلام معنى الزواج الذي كان سائدا في الحضارات والأديان والذي كان متمثلا عندهم في أن المرأة مجرد كائن ذليل أدنى من الرجل وأنها خلقت للخدمة فقط، فليس لها أي حقوق على زوجها ولا أبنائها وكان أشبه بعملية البيع والشراء، وقد أزال الإسلام هذا التصور القبيح عن الزواج وقدم صورة جميلة تجعل من الزواج عالما بهيجا، فقال عز وجل عن الزواج: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١).

وقال عز وجل أيضا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ..﴾ (الأعراف:١٨٩).

فأخبر الرجل أن المرأة مخلوقة من نفسه فليست هي أدنى منه بشرية ولا تكريما فلا ينظر إليها نظرة دونية كما كان في السابق وأخبره أن راحته وسكينته تكونان مع زوجته فهو بدونها لا يرتاح ولا يسكن فقد جعل الله المودة والألفة والحب والرحمة بينهما لتكون حياتهما سعيدة يملؤها الحب والحرص على سعادة وراحة الآخر.

- كان الزواج المألوف والمتعارف عليه عند السواد الأعظم من العرب ما قبل الإسلام من أهل الحواضر والبادية، هو «زواج الصداق»، وهو الزواج القائم على الخطبة والمهر والإيجاب والقبول، أي أن يخطب الرجل إلى الرجل ابنته أو وليته ويعين لها صداقها ثم يعقد عليها، وكانت قريش ومجمل قبائل العرب على هذا المذهب من الزواج، لشدة اهتمامهم بالأنساب وحفظهم لها، وهو الزواج الذي أقره الإسلام. وكان العرب في الجاهلية لا يقرون زواجا ولا يعترفون بشرعيته إذا لم يدفع فيه مهرا -صداقا- وكل زواج خالف ذلك عد بغيا وسفاحا وزنى عندهم، ذلك أن المهر كان عندهم علامة شرف المرأة

وأنها حرة محصنة ولها كامل الحقوق، وكانوا يرون في هذا الزواج كرما خلقيا، ويرون فيما يخالفه لؤما ومدعاة للعار.

- وهناك أنواع من الزيجات في الجاهلية أبطلها الإسلام:

١- زواج المقت: هو أن يخلف الرجل امرأة أبيه إذا طلقها الأخير أو مات عنها، وكان ممقوتا عند العرب.

٢- زواج الشغار: هو زواج بلا صداق، يزوج فيه الرجل ابنته أو وليته على أن يزوجه الآخر ابنته ووليته بلا صداق.

٣- نكاح الظعينة: هو نكاح (زواج) بلا صداق، يقع للمرأة إذا وقعت في الأسر وأصبحت سبية، لسابيها الزواج بها دون خطبة أو صداق ولم يكن لها الحق أن ترفض ذلك، لما تعارف عند الأمم قديما من استباحة حقوق الإنسان عند استرقاقه، وغيرها من الأنواع التي كانت معروفة لديهم، وأبطلها الإسلام كلها وغيرها لأنها تجعل المرأة سلعة تباع وتشترى ويعتدى على شرفها وعرضها وكرامتها الإنسانية.

فجاء الإسلام وحرر المرأة من ذلك كله وأكرمها بتشريعات تحفظ مكانتها وكرامتها وأعطاها حق اختيار زوجها واستئذانها على خلاف بين الفقهاء وذلك، جعل لها:

حقوقا مالية

أ- المهر: هو المال الذي تستحقه الزوجة على زوجها بالعقد عليها أو بالدخول بها، وهو حق واجب للمرأة على الرجل، قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (النساء:٤)، وفي تشريع المهر إظهار لمكانة هذا العقد، وإعزاز للمرأة وتكريم لها.

ب - النفقة: وقد أجمع علماء الإسلام على وجوب نفقة الأزواج على زوجاتهم بشرط تمكين المرأة نفسها لزوجها، فإن امتنعت منه أو نشزت لم تستحق النفقة.

- المقصود بالنفقة: توفير ما تحتاج إليه الزوجة من طعام، ومسكن، فتجب لها هذه الأشياء وإن كانت غنية، لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة:٢٣٣)، وقال عز وجل: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ (الطلاق:٧).

قال النبي ﷺ لهند بنت عتبة (زوج أبي سفيان) وقد اشتكت عدم نفقته عليها: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» (أخرجه البخاري).

- عن عائشة قالت: دخلت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني إلا ما أخذت من ماله بغير علمه فهل علي في ذلك من جناح؟ فقال رسول الله ﷺ: خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك (رواه البخاري: ٥٠٤٩، ومسلم: ١٧١٤).

ج- السكنى: وهو من حقوق الزوجة، وهو أن يهيئ لها زوجها مسكنا على قدر سعته وقدرته، قال الله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ (الطلاق:٦).

.. وحقوقا غير مالية

أ- العدل بين الزوجات: من حق الزوجة على زوجها العدل بالتسوية بينها وبين غيرها من زوجاته، إن كان له زوجات، في المبيت والنفقة والكسوة.

ب- حسن العشرة: ويجب على الزوج تحسين خلقه مع زوجته والرفق بها، وتقديم ما يمكن تقديمه إليها مما يؤلف قلبها، لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (النساء:١٩)، وقوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة:٢٢٨). وفي السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء» (رواه البخاري: ٣١٥٣، ومسلم: ١٤٦٨).

عدم الإضرار بالزوجة: وهذا من أصول المعاملة، وإذا كان إيقاع الضرر محرما على الأجانب فأن يكون محرما إيقاعه على الزوجة أولى وأحرى.

عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قضى «أن لا ضرر ولا ضرار» (رواه ابن ماجه: ٢٣٤٠). والحديث: صححه الإمام أحمد والحاكم وابن الصلاح وغيرهما.

فإما معاشرة بالمعروف أو تسريح بإحسان ولا يضرها بأبنائها لتطلب الطلاق أو الخلع ولذلك جعل لها حق الحضانة للصغار.

- ألزم أولياء الأمر ألا يزوجوها إلا إلى الكفء على خلاف بين الفقهاء في مفهوم الكفاءة ولكنهم اتفقوا على صلاحه وبعده عن الفسق.

- وأن يكون الزوج سليما بدنيا من العيوب التي يصعب الحياة معها ويفسخ بها العقد.

- وحث الأولياء على اختيار الزوج الذي لديه قدرة مالية لينفق عليها لتعيش حياة مستقرة هانئة.

- وبذلك ندرك أوجه الفرق بين تكريم الإسلام للمرأة في الزواج وبين همجية الجاهلية عليها لدحض شبهات المغرضين على الإسلام.

المراجع

١-الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي.
٢- مجموعة من المؤلفين، مجمع الفقه الإسلامي، جدة: منظمة المؤتمر الإسلامي، صفحة ٢٥٨١، جزء ٥ بتصرف.
٣- صحيح البخاري.
٤- صحيح مسلم.
٥- المستدرك على الصحيحين.
٦- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي.
٧- مجلة جداريات، تكريم المرأة في زواجها في الإسلام.

د. حمدي إبراهيم عامر | مدرس بجامعة الأزهر

استقامة الحياة الزوجية بالمودة والتفاهم والتراحم

تشكل الأسرة النواة الأولى لبناء المجتمع، وهي الأساس في صلاحه أو فساده، ولذا أولاها الإسلام عناية كبيرة، وأرسى دعائم العلاقة الزوجية على أسس راسخة من المودة والرحمة، وجعل التراحم بين الزوجين ركيزة أساسية لتحقيق الاستقرار الأسري، وسوف نعرض في هذا المقال صور التراحم بين الزوجين وآثارها، فمن صور التراحم بين الزوجين ما يأتي:

المحبة والاحترام

يعد التفاهم والتراحم بين الزوجين من أهم أسس البناء الأسري المتين، وهو لا يقتصر على كونه مشاعر عاطفية أو سلوكيات عابرة، بل هو ميثاق إنساني وروحي عميق، يقوم على دعائم المحبة، والاحترام، والمسامحة. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه العلاقة السامية بقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١)، فالسكينة والمودة والرحمة تمثل الأركان الجوهرية لهذه العلاقة. والتراحم بين الزوجين ليس مجرد مشاعر لحظية أو سلوكيات مؤقتة، بل هو ميثاق إنساني روحي قائم على أساس متين من المحبة والاحترام والمسامحة. فمحبة الزوجين رزق وهبة من الخالق سبحانه وتعالى،

فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: ما غرت على نساء النبي -إلا على خديجة وإني لم أدركها. قالت: وكان رسول الله إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة». قالت: فأغضبته يوما فقلت: خديجة، فقال رسول الله: «إني قد رزقت حبها»[1].

إحياء سنة التغافل

التراحم والتفاهم بين الزوجين أن يشعر كل طرف بحال الآخر، ويقدر ظروفه، ويحتوي ضعفه، ويتجاوز عن أخطائه. هو أن يكون كل منهما ملجأ للآخر في الشدائد، وسندا في العثرات، وبلسما للجراح حين تعجز الكلمات، ويتغافل كل منهما عن كثير من الأمور حتى تستقر الحياة الزوجية ويسود التراحم. فعن سهل بن سعد، رضي الله عنهما، قال: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب وإن كان ليفرح به إذا دعي به جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة عليها السلام فلم يجد عليا في البيت فقال: «أين ابن عمك؟»، فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندي. فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «انظر أين هو؟»، فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه وهو يقول: «قم أبا تراب قم أبا تراب»[2].

فلم يسأل النبي ﷺ سيدنا عليا رضي الله عنه عن خلافه مع السيدة فاطمة، رضي الله عنها، متغافلا ما حدث، وأرشده إلى الذهاب إلى بيته.

وقد أعرض النبي عن بعض ما أعلنت به حفصة أم المؤمنين، رضي الله عنها، مما قد أسره النبي إليها تكرما، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (التحريم:٣).

قال القرطبي: «ومعنى ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ عرف حفصة رضي الله عنها بعض ما أوحي إليه من أنها أخبرت عائشة رضي الله عنها بما نهاها عن أن تخبرها، وأعرض عن بعض تكرما»[3].

التلطف في المعاملة

التراحم بين الزوجين أن يعامل الزوج زوجته بلين ورفق ولطف، ويتفهم تقلباتها النفسية والبدنية، ويتجاوز عن زلاتها، فلا يقف عند كل خطأ أو نقص، بل يحسن الظن بها، ويؤنس وحدتها، ويقيل عثرتها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء:١٩)، فيجب على الزوج أن يحسن معاملة زوجته، والصبر عليها واحتمال الأذى منها ولين الجانب لها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمرا فليتكلم بخير أو ليسكت واستوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه إن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج استوصوا بالنساء خيرا»[4].

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فكان يعامل نساءه خير معاملة فكان أحسن عشرة لهم وأقوم الناس خلقا. فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي وإذا مات صاحبكم فدعوه»[5].

التكليف على قدر الطاقة

فلا تثقل الزوجة كاهل زوجها بكثرة المطالب، ولا تكلفه فوق وسعه، وتغفر هفواته، وتحتويه حين تضعفه الحياة أو تشتد عليه الظروف. فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط»[6].

آثار التراحم بين الزوجين

للتراحم والتفاهم بين الزوجين آثار عظيمة تنعكس على الحياة الزوجية والأسرة والمجتمع بأسره. ومن تلك الآثار ما يأتي:

١- السكينة والطمأنينة:

عندما تسود الرحمة بين الزوجين، يتحقق شعور عميق بالسكينة النفسية؛ إذ يشعر كل طرف بالأمان والطمأنينة في العلاقة، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾، فالسكن هنا ليس ماديا فقط، بل هو سكن نفسي وروحي. وقد ضرب لنا بيت النبوة أروع الأمثلة في استقرار الحياة الزوجية حتى صار مثلا يحتذى به، ففي حديث أم زرع الطويل قالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله ﷺ: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع»[٧].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم النبي ﷺ خيبر، فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قتل زوجها، وكانت عروسا، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه فخرج بها، حتى بلغنا سد الروحاء حلت، فبنى بها، ثم صنع حيسا في نطع صغير، ثم قال رسول الله ﷺ «آذن من حولك». فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ على صفية، ثم خرجنا إلى المدينة، قال فرأيت رسول الله ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته، فتضع صفية رجلها على ركبته، حتى تركب[٨].

وفي حادثة الإفك تقول عائشة رضي الله عنها: ويريبني في وجعي أني لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض، إنما يدخل فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم؟»[٩].

وفي حجة الوداع رغبت عائشة رضي الله عنها أن تأتي بالعمرة بعد الحج فأرسلها ﷺ مع أخيها عبدالرحمن رضي الله عنه تلبية لرغبتها[١٠]. فعن جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما، أن عائشة، رضي الله عنها، في حجة النبي ﷺ أهلت بعمرة.... وكان رسول الله ﷺ رجلا سهلا إذا هويت الشيء تابعها عليه فأرسلها مع عبدالرحمن بن أبي بكر فأهلت بعمرة من التنعيم[١١].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال للناس: «تقدموا» فتقدموا، ثم قال لي: «تعالي حتى أسابقك» فسابقته فسبقته فسكت عني حتى إذا حملت اللحم، وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «تقدموا» فتقدموا ثم قال: «تعالي حتى أسابقك» فسابقته فسبقني فجعل يضحك، وهو يقول: «هذه بتلك»[١٢].

هذا وقد ظهرت صور التراحم جلية في تعامل النبي ﷺ مع زوجاته، ولو اقتدينا به لخفت المشكلات، وقلت نسب الطلاق، وسادت السكينة والمودة. فما أجمل أن نقتدي بالحبيب المصطفى ﷺ، كما كان في بيته، ومع أهله فقد كان خير قدوة في حسن العشرة، ورمزا في الرفق واللين، ما رئي في بيته إلا مبتسما، ولا عرف عنه يوما أنه تعالى على زوجاته، بل كان في خدمة أهله، طلق الوجه، لطيفا، رحيما، يمسح الدمعة، ويواسي المهموم، ويعلي الهمم، ويصبر على كل مضرة.

٢- الاستقرار الأسري:

يؤدي التراحم والتفاهم إلى تحقيق الاستقرار الأسري؛ إذ تبنى الأسرة في بيئة يسودها الحب والتفاهم، ما يسهم في تنشئة الأبناء تنشئة سليمة، ويقلل من حدة النزاعات والخلافات التي قد تؤدي إلى الطلاق أو التفكك الأسري. وقد مدح الله عباده الصالحين وأولياءه المؤمنين بالسؤال في الدعاء بأن يهب لهم أزواجا وذرية صالحة، تقر بها الأعين قال جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان:٧٤).

٣- استقرار المجتمع:

لا يقف أثر التراحم عند حدود الأسرة، بل يمتد إلى المجتمع بأكمله. فحين تنشأ الأسر على أسس من الرحمة والتفاهم، ينشأ جيل سوي نفسيا وأخلاقيا، مما ينعكس إيجابا على تماسك المجتمع واستقراره، ويقلل من مظاهر الانحراف والسلوكيات السلبية التي تنشأ غالبا عن التفكك الأسري والحرمان العاطفي. فالبيت الصالح أساس المجتمع، والسكينة فيه نعمة لا تثمن.

فما من علاقة تبنى على الرحمة إلا كتب الله لها الدوام. والتراحم بين الزوجين هو صمام الأمان لاحتواء الخلاف وتجاوز الزلات. وقد أرشد الإسلام إلى الرفق واللين في معالجة النزاعات، فقال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء

إلا زانـه، ولا ينـزع من شـيء إلا شانه»[١٣].

وفـي ظل الضغـوط الاقتصادية والمادية وانتشار النزعة الفردية، أصبـح الـتـراحـم حـاجـة ملحة يـواجـه الـزوجـان الـيـوم تحديات من نـوع جـديـد، مـثـل الضـغـوط النفسية، والعمل المرهق، والوسائل الـتـكـنـولـوجـيـة الـتـي قـلـلـت من الـتـواصـل الحـقـيـقـي. ولـذا، فإن استحضار مفهوم التراحم بوصفه عبادة وقيمة إسلامية يعد ضرورة لإنقاذ كثير من الأسر من الانهيار. والتراحم بين الزوجين ليس مجرد خلق إنساني فحسب، بل هو قيمة ربانية، وصفة من صفات المؤمنين، تـبـنـى عـلـيـهـا الأسـر المسـتـقـرة والمجتمعات الـراقـيـة. وقـد قدم الإسلام نموذجا راقيا للزواج يقوم على الرحمة قبل الحقوق، وعلى المغفرة قبل العتاب. ولـذا، فإن إحياء هذا المعنى في واقعنا اليوم يعد من أولويات الإصلاح الأسري والاجتماعي.

الهوامش

١- أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، ١٥/٥٧١، ح:٢٤٣٥، (٧٥).

٢- أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: الصلاة، باب: نوم الرجال في المسجد، ٢/٢٦٢، ح:٤٤١. وفي كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن، ٢/٤٧٠، ح:٣٧٠٣.

٣- الجامع لأحكام القرآن، ١٨/١٨٧.

٤- أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته، ٢/٣٤٢، ح:٣٣٣١.

٥- أخرجه الترمذي في السنن، كتاب: المناقب، باب: فضل أزواج النبي، ٥/٤٧٥، ح:٣٩٢١.

٦- أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: كفران العشير وكفر دون كفر، ١/٤٩، ح:٢٩.

٧- أخرجه البخاري في النكاح، باب: حسن المعاشرة مع الأهل، ٣/٣٦٩، ٣٧٠، ح:٥١٨٩.

٨- أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: البيوع، باب: هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها، ٢/٧٧٨، ح:٢١٢٠.

٩- أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: التفسير، سورة النور، باب: قوله ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ (النور:١٢-١٣)، ٣/٢٣٨: ٢٣٤، ح:٤٧٥٠.

١٠- أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: العمرة، باب: عمرة التنعيم، ٢/٦٣٢، ح:١٦٩٣. وأخرجه مسلم في الصحيح، كتاب: الحج، باب: بيان وجوه الإحرام، ٤/٢٧، ح:٢٩٦٨.

١١- أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب: الحج، باب: بيان وجوه الإحرام، ٤/٣٥، ح:٢٩٩٨.

١٢- أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب: النكاح، باب: حسن عشرة النساء، ١/٦٣٦، ح:١٩٧٩.

١٣- أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب: البر والصلة، باب: فضل الرفق، ٤/٢٠٠٤، ح:٢٥٩٤.

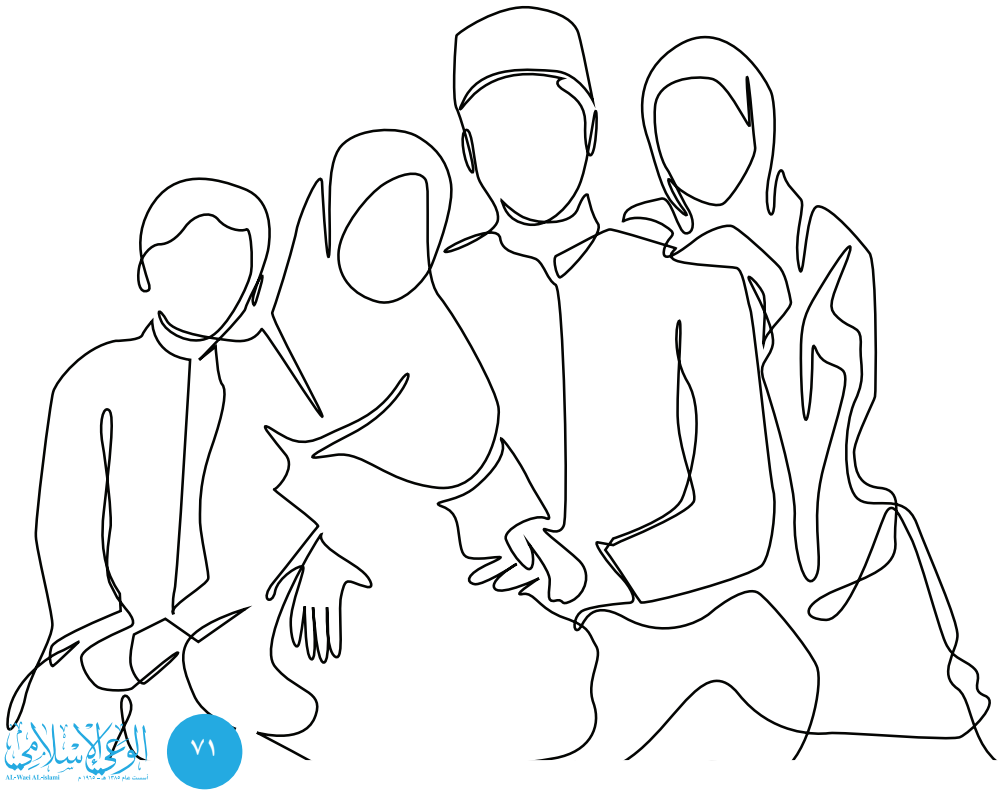

إعداد: د. خالد صلاح حنفي | أستاذ أصول التربية

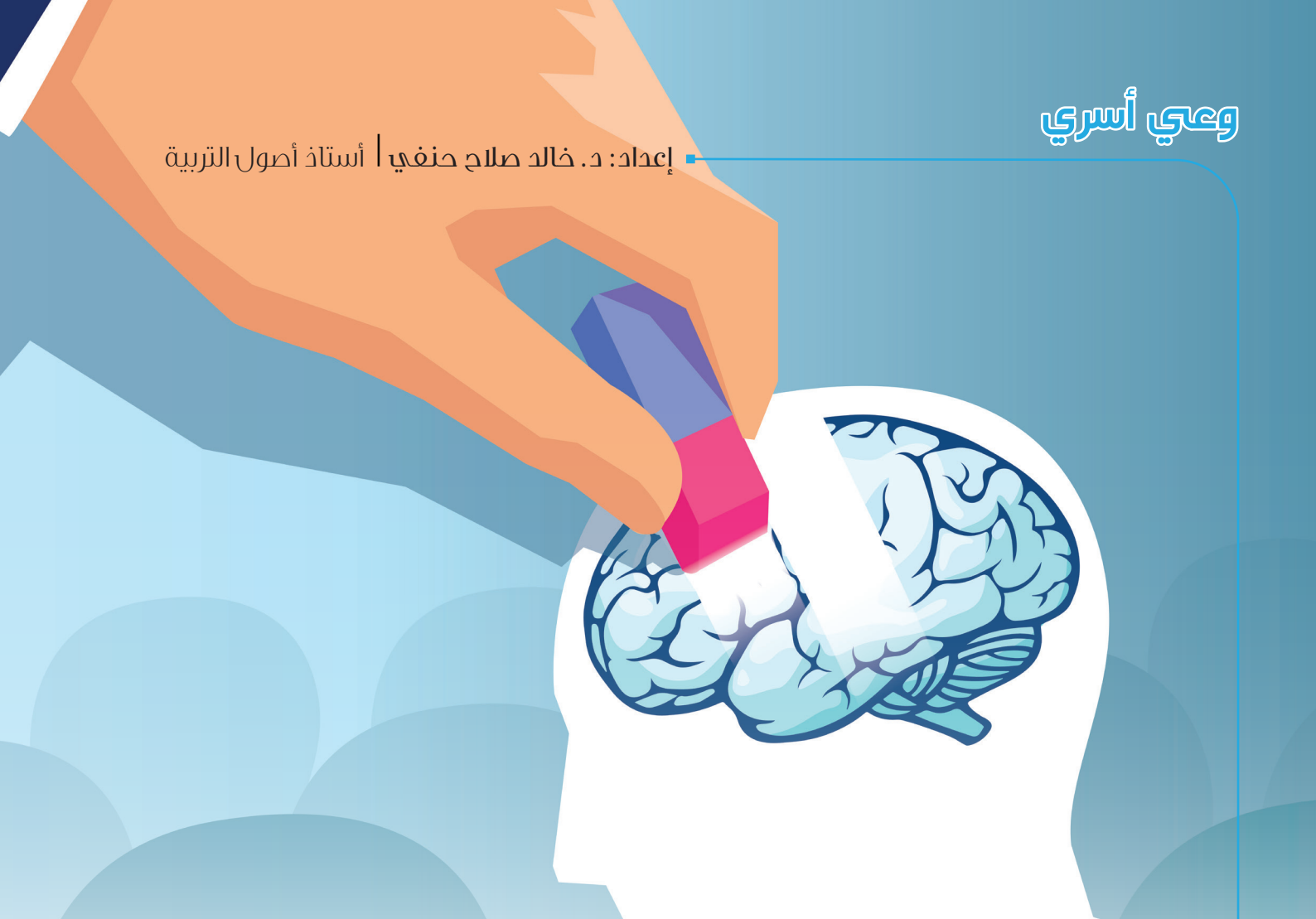

«الشيزوفرينيا»
الوباء الصامت

انفصام الشخصية اضطراب نفسي شديد يؤثر على ٢٤ مليون شخص تقريبا أو على شخص واحد من كل ٣٠٠ شخص في جميع أنحاء العالم، وذلك طبقا لإحصاءات منظمة الصحة العالمية في عام ٢٠٢٢م. وكثيرا ما يتسبب انفصام الشخصية في قدر كبير من الضيق والتعثر في المجالات الشخصية والأسرية والاجتماعية والتعليمية والمهنية، وغيرها من مجالات الحياة.

ويعد الفصام أحد الاضطرابات النفسية التي تصيب ١ في المئة من البشر، وينتشر في كل المجتمعات بمعدل حالتين إلى أربع حالات لكل ١٠ آلاف من السكان سنويا. ويصاب الذكور والإناث بالفصام، ولكنه قد يحدث عند الرجال مبكرا عن النساء. وعند الرجال يكون حدوثه بين سن ١٥ و٢٥ عاما، أما في النساء فهو بين ٢٥ و٣٥ عاما، ويمكن أن يحدث في أي عمر من الطفولة إلى الشيخوخة، ويحتل الفصام المرتبة الثالثة بين أكثر أسباب الإعاقة شيوعا بين الاضطرابات العقلية على مستوى العالم.

وقد شاعت معتقدات خاطئة حول هذا المرض؛ منها أن الأشخاص المصابين بالفصام لديهم شخصيات متعددة، وقد يكون ذلك بسبب أن الكلمة اليونانية «انفصام الشخصية» تعني «العقل المنقسم»، إلا أن المصابين بالفصام ليس لديهم شخصيات منقسمة، كما شاعت فكرة أن الأشخاص الذين يعانون انفصام الشخصية مخيفون أو عنيفون، وتلك الفكرة الخاطئة روجتها الأفلام والسينما.

وكثيرا ما يتعرض المصابون إلى التنمر وممارسات الوصم، كإقصائهم اجتماعيا، ما يؤثر على علاقاتهم مع الآخرين، بمن في ذلك الأسرة والأصدقاء، ويسهم في ممارسة التمييز ضدهم، الذي يمكن أن يحد بدوره من حصولهم على الرعاية الصحية العامة وفرص التعليم والسكن والعمل.

طبيعة الفصام وأعراضه

الفصام هو اضطراب مزمن في الصحة العقلية يتميز بتشوهات في التفكير والإدراك والعواطف واللغة والشعور بالذات والسلوك، وتشمل الأعراض الشائعة الهلوسة والأوهام والتفكير غير المنظم، مما يؤثر على قدرة الفرد على تمييز الواقع، مما يؤدي إلى تحديات عميقة في الحياة اليومية. وتصنف أعراض الفصام عادة إلى:

- الأعراض الإيجابية: أي تغيير في السلوك أو الأفكار مثل: الهلوسة أو الأوهام.
- الأعراض السلبية: حيث يبدو أن الناس ينسحبون من العالم المحيط بهم في ذلك الوقت، ولا يهتمون بالتفاعلات الاجتماعية اليومية، وغالبا ما يظهرون بلا عاطفة.

الأعراض الإيجابية

- الهلوسة: يرى المريض أو يسمع أو يشم أو يتذوق أو يشعر بأشياء غير موجودة خارج عقله؛ حيث إن سماع الأصوات هو الأكثر شيوعا.
- الأوهام: وهو اعتقاد يؤمن به المريض بقناعة تامة، حتى وإن كان مبنيا على وجهة نظر خاطئة أو غريبة أو غير واقعية (مثل التعرض للمضايقة أو الاضطهاد)، قد يؤثر على الطريقة التي يتصرف بها الشخص.
- أفكار مشوشة (اضطراب في الفكر): صعوبة في التركيز، والانتقال من فكرة إلى أخرى.
- التغييرات في السلوك والأفكار: قد يصبح سلوك الشخص أكثر تشوشا ولا يمكن التنبؤ به، ويصف بعض الناس أفكارهم بأنها خاضعة لسيطرة شخص آخر، أو أن أفكارهم ليست لهم، أو أن أفكارهم قد زرعها شخص آخر في أذهانهم.

الأعراض السلبية

تشمل الأعراض السلبية لمرض انفصام الشخصية:

- يصبح الشخص منسحبا اجتماعيا، ولا يهتم بشكل متزايد بمظهره ونظافته الشخصية.
- فقدان الاهتمام والحافز في الحياة والأنشطة.
- قلة التركيز وعدم الرغبة في مغادرة المنزل وتغيرات في أنماط النوم.
- الشعور بعدم الارتياح مع الناس أو الشعور بأنه لا يوجد ما يقال.

تاريخ مرض الفصام

- في العصور القديمة، لم تكن الأمراض العقلية مثل الفصام مفهومة جيدا، وغالبا ما كانت الحالات التي تشبه الفصام تعزى إلى أسباب خارقة للطبيعة مثل الأرواح الشريرة أو المس الشيطاني، أو العقاب على الخطيئة، أو ظواهر روحية مماثلة. وقد عولجت هذه الحالات بإجراء جراحي يتم فيه حفر ثقوب في الجمجمة، كوسيلة لإخراج تلك الأرواح الشريرة، وربما لأسباب أخرى غير معروفة. وعلى الرغم من توقف ممارسة ثقب الجمجمة في النهاية، إلا أن فكرة أن الأمراض العقلية والفصام ترجع لوجود مشكلة روحية وأخلاقية سادت لمئات، إن لم يكن لآلاف السنين. ومع دخول البشرية عصر النهضة والتنوير، حدث تحول تدريجي نحو التفسيرات الطبيعية للاضطرابات العقلية. إذ شهد هذا العصر بداية محاولات فهم الأمراض العقلية، بما في ذلك الأعراض الشبيهة بالفصام، من خلال استخدام الطرق العلمية بدلا من النظر إليها على أنها مظاهر لتأثيرات روحية أو شيطانية.

وكان أول وصف رسمي للفصام كمرض عقلي قد تم إجراؤه في عام ١٨٨٧ من قبل الدكتور إميل كريبيلين، واستخدم مصطلح «الخرف المبكر» لوصف الأعراض المعروفة الآن بالفصام. وتسميته بمتلازمة «الخرف المبكر» كان يقصد بها التمييز بينه وبين الخرف الذي يحدث في وقت لاحق من الحياة مثل مرض إلزهايمر (الشيخوخة). وقد أخطأ في الاعتقاد بأن هذا الاضطراب كان شكلا من أشكال الخرف، فمن المعروف الآن أن الفصام والخرف اضطرابان منفصلان.

وقد استخدم مصطلح «الفصام» لأول مرة في عام ١٩١١ من قبل طبيب نفسي سويسري اسمه يوجين بلويلر. وهو مشتق من الجذرين

اليونانيين schizo أي انقسام و phrene أي عقل. واستخدم بلويلر هذا الاسم للتأكيد على الارتباك العقلي والتفكير المجزأ الذي يميز الأشخاص المصابين بهذا المرض، وصار هذا الارتباك أسطورة شائعة فيما يتعلق بالفصام لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا.

وقد ابتكر كل من كريبيلين وبلويلر تصنيفا للأنواع الفرعية للفصام لا تزال مستخدمة حتى اليوم. وتشمل الفئات الحديثة للفصام طبقا للدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية (DSM)؛ الأنواع الفرعية البارانويدي، وغير المنظم، والجامد، والمتبقي، وغير المتمايز، ولكل منها مجموعة أعراض مميزة.

أسبابه

تطورت النظريات التي تفسر أسباب الفصام؛ ففي منتصف خمسينيات القرن العشرين، اقترح جريجوري باتيسون وزملاءه نظرية «العلاقة المزدوجة» التي ترى أن الفصام ناجم عن أشكال معينة من سوء التربية، خصوصا عندما يقول الآباء صراحة شيئا ما ثم يتناقضون معه برسائل ضمنية لا شعورية ذات محتوى معاكس. على سبيل المثال، قد يمدح الآباء أطفالهم، لكنهم يعاملونهم بشكل سيئ. وقد تم رفض هذه النظرية إلى حد كبير بسبب نقص الأدلة العلمية المقنعة. ومع ذلك، فإن فكرة أن الأحداث المجهدة في الحياة يمكن أن تلعب دورا في التسبب في الفصام لا تزال مهمة في الأبحاث النفسية الحديثة.

ويعتقد أن الفصام يحدث عندما تصبح منطقة من الدماغ تسمى «قشرة الفص الجبهي» نشطة بشكل غير طبيعي؛ لأن الخلايا العصبية الداخلية، التي تربط الدوائر العصبية أو مجموعات الخلايا العصبية، تصبح غير فعالة وتتوقف عن تنظيم نشاط الخلايا العصبية. ويرى البعض أن الناس لديهم استعدادات للإصابة بالفصام (الاستعدادات)، إذ يمتلك بعض الناس هذه الاستعدادات أكثر من غيرهم، لأسباب مختلفة تتعلق بالوراثة. ومع ذلك، فإن الاستعداد الوراثي للإصابة بالفصام وحده لا يكفي لإثارة الاضطراب. بل يجب أن تتفاعل الاستعدادات مع ضغوط الحياة لإثارة ظهور الأعراض الذهانية والمرض، وتشمل الضغوط النفسية والاجتماعية والبيولوجية (الصدمات والاكتئاب والفيروسات ومضاعفات الولادة والأمراض المماثلة). وقد يكون استخدام العقاقير مثل الماريجوانا أو العقاقير المخدرة قادرا على إطلاق الاستعداد الخفي للإصابة بالفصام.

علاج الفصام

يصنف الفصام تاريخيا على أنه من الأمراض المزمنة التي لا يمكن الشفاء منها، لكن يمكن التعامل والتعايش معه مثل أمراض السكري والضغط وغيرها. ومن أهم طرق علاج مرض الفصام هي الأدوية المضادة للذهان، إضافة إلى الدفء والإدماج الاجتماعي للمريض في محيطه، وتشجيعه على الانخراط فيه، والتربية النفسية، والتدخلات الأسرية، والعلاج المعرفي السلوكي، وإعادة التأهيل النفسي والاجتماعي (مثل التدريب على المهارات الحياتية). وتساعد مضادات الذهان الحالية في تقليل «الأعراض الإيجابية» مثل الهلوسة والأوهام لدى بعض المرضى، لكنها تفشل في علاج «الأعراض السلبية»، مثل الانسحاب الاجتماعي وقلة الحافز والعجز المعرفي المرتبط بالمرض. ولعل تيسير العيش بمساعدة الغير وتقديم الدعم في مجال السكن والعمل من خيارات الرعاية الأساسية التي ينبغي إتاحتها للمصابين بانفصام الشخصية.

المراجع

- سائدة السيد (٢٠٢٣)، مرض الفصام، https://www.ajnet.me
- منظمة الصحة العالمية (٢٠٢٢)، انفصام الشخصية (الفصام)، https://www.who.int
- وزارة الصحة السعودية (٢٠٢٤)، الفصام، https://www.moh.gov.sa
- Erin L. George. (٢٠٢٤). Historical and Contemporary Understandings of Schizophrenia. https://www-mentalhealth-com

خالد حسن مال الله التميمي | خبير تربوي

أخطاؤنا في التربية

من الأخطاء الجسيمة التي يرتكبها الآباء في التربية، والتي ربما لا يُلقي لها الكثير بالاً، ظنًّا منهم أنها أمر طبيعي، هو تكليف الأبناء بعمل بعض الأعمال المنافية للقيم والأعـراف، أو تَلفُّظ الآباء أمام أبنائهم بألفاظ غير لائقة، أو تصرفهم بتصرفات تنافي القيم والأخلاق.

فمن هـذه الأخـطـاء الـتـي يجب التنبه لها:

١- إرسال الأبناء لشراء علب السجائر؛ بحيث يعتاد الابن على شرائها، ومن ثم يكون الأمر عاديًا لديه إن أراد تجربتها ولو مرة واحدة.

٢- طلب الأب من الابن إحضار الشيشة أو تجهيزها له؛ وهذا الأمر يجعل الابن يعتادها، بل ويجربها ويجهزها كل مرة.

٣- جلوس الأب أمام الأبناء بالملابس الداخلية، أو الأم بملابس فاتنة؛ وهذا يستدعي انتباه الأبناء ويشد تفكيرهم، بل قد يُشجِّعهم على الجلوس أمام الوالدين أو الأخوات أو الخدم بالملابس الداخلية، بحجة أن الوالد يقوم بهذا الأمر العادي.

٤- مشاهدة الوالدين للفضائيات وما فيها من عُري أو رقص أو منكرات، والاستمتاع بهذه المناظر مع الأبناء، وهذا يشجعهم على رؤية ما هو أشد من ذلك.

٥- إظهار الإعجاب بممثلة أو مطربة أو ملبسها أو هيئتها، والتغزل بها أمام الأبناء؛ فهذا من أعظم الأخطاء، سواء أمام الزوجة أو أمام الأبناء، وهو مفسدة عظيمة.

٦- إرسال الأبناء المراهقين لشراء أدوية خاصة جدا أو حبوب مانعة للحمل من الصيدلية؛ فربما يشجعهم هذا على تجربتها أو معرفة استخدامها من باب الفضول.

٧- تجريح الوالدين للآخرين، وانتقاصهم والطعن فيهم أمام الأبناء، واعتياد هذا الأمر وكأنه أمر عادي.

٨- الاستهزاء والسخرية بالضعفاء والمساكين والفقراء أمام الأبناء يُولِّد لديهم هذا الفعل ويؤصِّله فيهم.

٩- عند الاتصال وطلب أحد الوالدين، يرد الوالد على الابن فيقول له: قل للمتصل: لسنا متواجدين (أو لسنا هنا) للتهرّب منه أو لغير ذلك؛ وهذا يُعلِّم الأبناء الكذب ويشجعهم عليه.

١٠- السماح للأبناء بوضع تلفاز خاص بهم في غرفهم مع قنوات فضائية أو إنترنت، وتركهم يجلسون بالساعات داخل غرفهم دون تنبيه أو توجيه أو وضع ضوابط لاستخدام التقنية.

هذه عشرة أخطاء يقع فيها الكثير من الوالدين دون تنبُّه لها، أردنا أن نُذكِّر بها الوالدين للحذر من الوقوع فيها، من أجل المحافظة على الأبناء وتربيتهم التربية الصالحة، وفق القيم والأخلاق الإسلامية الفاضلة، حتى ننشئ أبناء صالحين.

والله الموفق،،،

د. محمود حسن محمد | كاتب وباحث

تكامل الطاقات يثمر النهوض الحضاري

إن النهضة ليست شرارة يطلقها فرد، ولا معجزة يحققها نصف المجتمع، بل هي ثمرة تكامل الطاقات والقدرات البشرية، فكما لا ينهض الطائر بجناح واحد، لا تقوم أمة ولا تنهض حضارة بغير امتزاج الخبرة بالحماسة، والعلم بالعمل، والروح بالمادة؛ فالطاقات التي تهمل تعطل عجلة الحضارة، وكل طاقة تدمج تحرك الخطوات إلى الأمام، فطريق النهوض لا يبنى على المنافسة، بل على التكميل ودمج الطاقات الواسعة، حيث يضيف كل فرد ما أودع الله فيه من قدرات إلى الطاقات العاملة، فتنهض الامة، وتعلو، وترتقي.

كل نهضة في التاريخ لم تولد من فراغ، ولم تبن على جناح واحد، أو قدرات متناثرة هنا وهناك، والحضارات العظمى لم تصعد بجهد فردي، ولا بتيار منفصل، بل قامت حين تساندت الطاقات، وتضافرت القوى؛ الروح مع العقل، والعلم مع العمل، الفرد مع الأمة؛ فالأمة إذا تعطل أحد أعضائها اختلت وظيفتها كلها، وإذا تناغمت قواها بعثت الحياة فيها من جديد.

لا يمكن لأمة ما أن تنهض بلا روح مؤمنة بغايتها، إن الطاقة الروحية هي التي تحرك الإرادة، وتبقي شعلة الأمل متقدة في أحلك الظروف، فبإيمان الأمة برسالتها تتحول التضحيات إلى مكاسب، والآلام إلى بدايات جديدة، إن النهوض بلا إيمان كجسد بلا قلب، يتحرك آليا لكنه بلا حياة.

وعندما يأتي الحديث حول الطاقة العلمية والفكرية فسنرى أن العلم هو النور الذي يكشف الطريق، ويرسم المعالم، فأمة بلا علم تظل أسيرة التبعية، وأمة بلا فكر نقدي تعيش على فتات الآخرين، إن الطاقة العلمية ليست حفظا للتراث

وحده، بل قدرة على إنتاج المعرفة، وابتكار للحلول الملائمة للحاضر والمستقبل.

أما عن الطاقة الاقتصادية، فالاقتصاد عصب الحياة، وحين تستثمر الموارد بحكمة إلى جانب العمل والإبداع، تصبح الأمة قادرة على الاعتماد على نفسها، لا عالة على غيرها، والاقتصاد العادل المتوازن هو الذي يحرر القرار السياسي، ويفتح المجال للطاقات الأخرى أن تؤتي ثمارها.

وعندما نسلط الضوء على الطاقة الاجتماعية فسنرى أنها نسيج الوحدة والتلاحم؛ فالأسرة المتماسكة والمجتمع المتعاون هما البيئة التي تزهر فيها النهضة، فلا معنى لقوة الدولة إذا تفتت القاعدة الاجتماعية، والتعاون والتكافل من القيم الإسلامية الأصيلة، التي يبنى بها مجتمع قادر على مواجهة تحديات الحاضر والمستقبل، وهنا تبرز أهمية تمكين المرأة والشباب، فهم ليسوا أطرافا ثانوية، بل ركائز أساسية في البناء.

لا تكتمل الطاقات السابقة إلا بالطاقة السياسية، والإدارية، فالإدارة الرشيدة، والعدل في الحكم هما ضمان استمرار أي نهضة، لا قيمة لإنجاز اقتصادي أو علمي إذا لم يجد حماية سياسية، النهضة لا تنبت في تربة القلاقل السياسية، بل تحتاج إلى عدالة تنصف الضعيف من القوي، وشفافية تحمي المال العام، وإدارة تستثمر الطاقات بدل أن تهدرها.

أما بخصوص الثقافة والإعلام فهما صورة الأمة، ولسان حضارتها، فهما المرآة التي يرى بها العالم الأمة، وهما الأداة التي تصوغ وعي الأجيال، وذلك حين يبنى خطاب ثقافي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، فتتحرر الأمة من عقدة النقص، وتقدم نفسها للعالم شريكا حضاريا واعدا بالخير والسلام.

النهوض الحضاري ليس مشروعا اقتصاديا فقط، ولا يقظة دينية وحدها، ولا صحوة ثقافية منفصلة عنهما، إنها معزوفة تنموية جماعية، تتناغم فيها الطاقات الروحية، والعلمية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية، كل طاقة هي آلة في أوركسترا الحضارة، إذا عزفت منفردة ضاع اللحن، وإذا اجتمعت في تناغم اهتز لها العالم.

وحين نرجع إلى تاريخنا الإسلامي نجد أنه حين نزل الوحي اجتمع الإيمان الصادق بالطاقة الروحية، مع فقه الواقع ومع شجاعة القيادة النبوية، لم يكن المسلمون حينها أصحاب قوة مادية كبيرة، لكن تكامل الروح، والعقل، والإرادة جعل من جماعة صغيرة قوة حضارية قلبت موازين التاريخ.

لقد امتد نور هذه الحضارة في العالم، فاستفادت منها الأمم الأوروبية بمجاورة العرب والمسلمين في الأندلس فحدثت لها يقظة ذهنية، واكتسبت علوما ومعارف كثيرة، فظهرت فيها نهضة أدبية وعلمية واسعة النطاق، إن إضاءة حضارتنا للغرب والعالم أمر لا ينكره عاقل أو مثقف، ولا يزال لدى حضارتنا الإسلامية إسهامات كبرى في مجالات العلوم والفكر الإنساني، بما يشكل دورا محوريا في مسار التقدم، والعمران البشري.

د. مرزوق العنزي
أستاذ بالمعهد الديني بدولة الكويت

الأمن الفكري

الإعمار والتقدم والنمو نتائج حتمية للعمل الدؤوب والجد والاجتهاد لأبناء تلك المجتمعات التي تنعم باستقرار فكري وسياسي واقتصادي واجتماعي قائم على ارتفاع مستوى درجة الأمن والأمان في المجتمعات، ليعمل الرعيل الأول بما يمتلكون من تجارب علمية ونتائج إيجابية قاموا بتعزيزها ونتائج سلبية قاموا بمعالجتها، وبالتالي قد تشكلت لديهم خبرة مهنية كبيرة في مجال التخصص الذي يخدمون مجتمعاتهم من خلاله، بهدف إيصالها إلى الجيل الثاني من الأبناء الذي بدأ من حيث توقف الآخرون من أهل الخبرة، ليعمل الجميع على إيصال أفكارهم وتجاربهم وإنجازاتهم وعطاءاتهم إلى الأبناء والأحفاد، فينعم الأولون والآخرون بحياة طيبة آمنة مستقرة.

الأمن

يعد الأمن من أهم العوامل التي قامت عليها المجتمعات، والذي يشير إلى الاطمئنان، وعدم الخوف والإحساس بالثقة، إزاء إشباع احتياجات الإنسان الأساسية بما يتوافق مع الشرع والقانون والعرف، والأمن مطلب أو دافع أساسي من دوافع الكائن الحي بشكل عام، وتحديدا الإنسان بشكل خاص، كما أن دافع الخوف أو الرغبة في الأمن وراء كثير مما يقوم به الإنسان من سلوك، كالهروب بعيدا عن مصادر الخطر، أو مقاومة كائن يريد أن يسبب له ضررا، أو الجد والاجتهاد في التحصيل حتى ترتفع مكانة الإنسان، ويزداد دخله فيؤمن مستقبله ويضمن تحقيق حاجاته الأساسية[1].

أهمية الأمن

إن كان البعض يرى الأمن في حقيقته مفهوما أمنيا عسكريا، وفي ذلك الكثير من الصحة حيث بدأ الأمر كذلك وما زال مستمرا، إلا أن المقصود هنا بالأمن ما يتعلق بالأمن الفكري الذي يأتي في ضده التطرف

الفكري، حيث يكتسب المفهوم أهميته نتيجة لما يعيشه العالم من انفتاح بلا حدود، وكما يقولون فقد أصبح العالم قرية واحدة، ومن هنا اختلف الواقع الذي كانت تعيشه المجتمعات الإسلامية والعربية التي قامت في سابق عهدها بتربية الأبناء على أساليب التنشئة التقليدية المتمثلة في البيت والمسجد والمدرسة والإعلام، وتحديدا بدأ الاختلاف بالتزامن مع التقدم التكنولوجي إلى جانب سهولة الحصول على أجهزة الحاسوب وأجهزة الاتصال الحديثة في ظل توفر خدمة الإنترنت التي أصبح وجودها بأسعار في متناول الأيدي! بل أصبحت تقدم في أغلب الأماكن العامة بدون مقابل، حيث أصبح المربي الأول هو جهاز الهاتف وما يحمله من تطبيقات يعمل من خلفها جهات وشخصيات مجهولة في أغلب الأحيان، وهنا انتقلت الأسرة من دور المربي الأول إلى دور المدافع الخجول عن الشريعة والمبادئ والقيم العربية الأصيلة، وذلك في حال سمح لها الأبناء في ذلك! فانتقل الحال بالأسرة من الأمن الذي كانت تعيشه إلى حالة من الخوف والقلق نتيجة لتفشي الأفكار المنحرفة بين أوساط الأبناء.

الخوف

الخوف يأتي في مقابل الأمن! فالخوف يعد من الدوافع الفطرية الغريزية عند الحيوان والإنسان، بل إن التحليل النفسي ينظر إلى أعراض الأمراض النفسية على أنها محاولات رمزية لدرء الخطر أو الخوف الذي يخشاه المريض على نفسه أو على موضوع يحبه[٢].

الصراع بين الأمن والخوف

يعيش الإنسان في صراع دائم فيما بين الأمن والخوف، يسعد عندما يتحقق له الأمن في قلبه ومحيطه الذي يعيش به، وفي مجتمعه ووطنه بشكل عام، وفي المقابل فإنه يحزن في حال تغشاه الحزن بسبب إنسان يريد خرق السفينة التي تقلهم إلى بر الأمان ليهلك الجميع! نتيجة لفكرة مريضة تسللت ثم تسلطت عليه، فبلغت درجة التحكم بمشاعره وعقله وسلوكه، فبدأت بتوجيه الإنسان نحو تحقيقها من خلال بعض الوسائل المتاحة بكل قوة دون أي مراعاة لشعور الآخرين أو حتى أقل تقدير للمحيط الذي يعيشه! وإن كانت نواياه صالحة إلا أنه أضل الطريق! قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا»[٣].

الفكرة المتسلطة

تعد الفكرة المتسلطة عرضا مرضيا يتمثل في أن تثبت في ذهن المريض فكرة شاذة لا يستطيع استبعادها من ذهنه لا بالحجج ولا بالمنطق كالوسواس والحوار والهذاء[٤]. وتعد تلك الفكرة المتسلطة بداية انحراف الفكر والسلوك على حد سواء، وفي ظل التطور التكنولوجي المتسارع الذي يعيشه المجتمع بدأ يسيطر الانحراف الفكري المتمثل في التطرف الديني والسياسي والاجتماعي على الإنسان بشكل واضح للجميع! كما بدأت خطورته والخوف من انعكاس نتائجه السلبية على المجتمع بجميع مؤسساته وأفراده، حيث انحرف البعض عن جادة الصواب وتبنوا الأفكار والمعتقدات المنحرفة عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والأعراف المتوافقة مع الشرع الحنيف السائدة في المجتمع والمبادئ والقيم العربية الأصيلة.

الانحراف

يتناول مفهوم الانحراف بشكل عام الانحراف عما هو طبيعي أو متوقع، أو انحراف مؤقت في سلوك الفرد عما هو معتاد منه[٥]. وأحيانا يعود انحراف الفكر والسلوك على الإنسان فيؤذي نفسه، كما يطغى المنحرف أحيانا بالضرر على المحيطين به، ومن أخطر أنواع الانحرافات ما يعانيه أبناء المجتمع من تقديسهم لبعض الأشخاص وطاعتهم مهما كلف الأمر! لأنه ترك نفسه رهن تصرف الآخرين حتى وإن عارضوا بأفكارهم ما جاء في الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، والأدهى من ذلك والأمر إن كان هذا المنحرف فكريا يحتسب الأجر من الله في ذلك الفعل غير السوي الذي يخالف فيه الشريعة السمحة!

وقت الفراغ

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[٦]. فالصحة نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى، إلا أن البعض يستعملها

في معصية الله، كما أن الفراغ كذلك، فهو نعمة من نعم الله يستثمرها الإنسان في العبادة ومحاسبة النفس والتأمل، ولكن البعض يستعملها في معصية الله، ولعلهما سببان رئيسيان في انحراف الإنسان فكرا وسلوكا، فالشيطان يحرضه من حيث لا يشعر، كما أن الصحة والفراغ مطلب مهم لجميع الناس الأسوياء، فهم بحاجة إليهما لتحقيق أهدافهم، وللانحراف الفكري أسباب عديدة تتمثل في أساليب التنشئة الاجتماعية التي تلقاها الإنسان في مقتبل العمر من خلال الأسرة والمدرسة والمسجد والإعلام، كما أن له آثارا سلبية على الإنسان والأسرة والمجتمع، ومن هنا تأتي أهمية المعالجة.

معالجة الانحراف الفكري

كل ابن آدم خطاء، الا أن الانحراف هو الحياد عن جادة الصواب والخروج عن الفطرة السليمة، والجرأة على الله تعالى، واقتراف الذنوب، وإتيان الكبائر منها، التي تأبى النفس اقترافها لانحرافها عن الفطرة، وفعلها عند الله عظيم، وموجب لغضبه وسخطه، قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء:٣١)، فتكون النفس مضطربة متى ما اقترفت ذنبا عظيما، لا يهدأ لها بال، وليس لها لذة بشراب أو طعام، إلا برجوعها إلى الفطرة السليمة التي خلقها الله تعالى عليها، وأن يعود الفرد إلى السواء، باعترافه بذنبه وعصيان الله عز وجل، واستغفاره وتوبته منه، ومعاهدة الله تعالى بأنه لن يعود لذلك، ليكفر الله تعالى عنه ذنوبه، قال تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ

عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الزمر:٣٥).

ومن الممكن مواجهة الانحراف الفكري لدى مختلف فئات المجتمع من خلال ترسيخ العلم الشرعي المعتدل، ومعالجة بعض سلبيات التربية التقليدية من خلال تعزيز التفكير الناقد، الحوار المتكافئ فيما بين الأطراف، تعزيز الوعي، والمناصحة، وجميع ذلك من خلال العمل المؤسسي تحت إشراف مؤسسات الدولة متمثلة في: وزارة الشؤون الإسلامية، وزارة التربية، وزارة الإعلام، وزارة الشؤون، وجمعيات المجتمع المدني التي يعزز الفكر الوسطي المعتدل المنفتح على الآخرين نحو تحقيق استقرار فكري، نفسي، أمني، واجتماعي.

كما أن معالجة الانحراف الفكري تحتاج إلى قرار وتكاتف وأدوات ووقت، وتتطلب استراتيجيات طويلة الأمد تعالج الأسباب الجذرية لانحراف أفكار الشباب، وتوفر بيئة داعمة لهم، على أن تكون هذه الجهود مؤسسية وشاملة ومتكاملة، مع التركيز في خطين متوازيين على الوقاية والعلاج.

وعليه ستكون عملية معالجة الانحراف الفكري سهلة ومرنة جدا تبدأ بالمناصحة ثم الإقناع الذي يعد فعلا أو عملية حث شخص أو أشخاص آخرين على تغيير أفكارهم أو معتقداتهم أو اتجاهاتهم أو مشاعرهم حول موضوع معين أو بعض المعلومات[٧]. ومن أحدث وأنجع العلاجات النفسية، العلاج المعرفي السلوكي الذي يعمل على معالجة الأفكار غير السوية التي بطبيعة الحال تدفع الإنسان نحو سلوك غير سوي، فالعلاج المعرفي السلوكي يساعد الإنسان على إدراك أفكاره غير السوية ورؤيتها بوضوح والتفاعل معها بطريقة إيجابية.

ومضات سيكولوجية

- الفكر المنحرف لا يحد من انحرافه إلا فكر سوي، والتطرف بالأقوال والأفعال لا تحد منه إلا قوة القانون[٨].
- المشكلة تبدأ مع الإنسان بسبب تلك التنشئة الاجتماعية السلبية التي تلقاها في الطفولة، ولو تلقى الفرد المنحرف فكريا والمتطرف بالأقوال والأفعال رادعا له في طفولته، فستكون شخصيته عند الكبر قريبة من السواء، وهنا تأتي أهمية التنشئة الاجتماعية الإيجابية في تكوين شخصيته[٩].
- من يتستر على ابنه عندما تبدأ عليه علامات الانحراف في الفكر والتطرف في الأقوال والأفعال، فإنه حتما سيكون من ضحاياه عندما يكبر ويتمكن منه المرض[١٠].
- الصواب أن يعرض الإنسان فكرته على الكتاب والسنة، فإن وافقتهما فليصدح بها، وإن لم توافقهما، فلا يقيد نفسه الأبية بفكرة شقية[١١].
- النقاش الموضوعي فائدة لكلا الطرفين ولكن متى ما علمنا بأن الطرف الآخر بدأ بالانتصار لنفسه فعلينا التوقف عن جميع النقاشات حرصا على حفظ الود بيننا[١٢].
- استحضر الود الذي بينك وبين الآخر في حال اختلافك معه وابتعد عن تجريح أسرته أو قبيلته أو وطنه أو مذهبه وسلط الضوء بكل أدب على نقطة الخلاف لا غيرها من دون أي تحليل يمدك به الشيطان وأعوانه فذلك أدعى لتقريب وجهات النظر بينكما ومن ثم الوصول إلى أرض مشتركة وبالتالي إزالة الخلاف الوهمي[١٣].

الهوامش

١- فرج عبدالقادر طه (٢٠٠٩)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص:١٩٧.
٢- فرج عبدالقادر طه (٢٠٠٩)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص:١٩٧.
٣- صحيح البخاري.
٤- فرج عبدالقادر طه (٢٠٠٩)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص:٩٦٦-٩٦٧.
٥- دافيد ماتسوموتو، ترجمة: لؤي خزعل جبر (٢٠٢٤)، قاموس كامبردج لعلم النفس، بيروت: المركز الأكاديمي للأبحاث، ص:٢٧.
٦- صحيح البخاري.
٧- مرزوق العنزي (٢٠١٦)، الإيمانيات والإرشاد النفسي، الكويت: دار المسيلة، ص:٢٧.
٨- مرزوق العنزي (٢٠١٩)، ومضات سيكولوجية، الكويت: دار المسيلة للنشر والتوزيع، ص:٧١.
٩- مرزوق العنزي (٢٠١٩)، ومضات سيكولوجية، الكويت: دار المسيلة للنشر والتوزيع، ص:٧٢.
١٠- مرزوق العنزي (٢٠١٩)، ومضات سيكولوجية، الكويت: دار المسيلة للنشر والتوزيع، ص:٧٢.
١١- مرزوق العنزي (٢٠١٩)، ومضات سيكولوجية، الكويت: دار المسيلة للنشر والتوزيع، ص:٧٢.
١٢- مرزوق العنزي (٢٠١٩)، ومضات سيكولوجية، الكويت: دار المسيلة للنشر والتوزيع، ص:١١١.
١٣- مرزوق العنزي (٢٠١٩)، ومضات سيكولوجية، الكويت: دار المسيلة للنشر والتوزيع، ص:١١١.

د. محمود حلمي | كاتب وقاص

دور الأخلاق الإسلامية في مواجهة تحديات العصر

في عالم يزداد فيه إيقاع الحياة تسارعا، وتتلاطم فيه أمواج المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والتقنية، ويفتح فيه الباب على مصراعيه لسيل من المعلومات والمؤثرات التي تفوق قدرة الإنسان على الاستيعاب والتحكم، أصبح الحديث عن «التحديات النفسية» ليس مجرد ترف فكري أو قضية خاصة بالمتخصصين، بل هو واقع يومي يمس الكثيرين. القلق المستمر، التوتر المزمن، الشعور بالإحباط واليأس، الخوف من المستقبل المجهول، ضغط التنافس، العزلة النفسية رغم كثرة الاتصالات الافتراضية؛ كلها تجليات لواقع نفسي معقد يهدد استقرار الفرد وسعادته، ويلقي بظلاله على استقرار الأسرة والمجتمع.

ومع كل التقدم الهائل الذي شهده علم النفس الحديث، ومع كل النظريات والعلاجات التي تم تطويرها، يبقى البحث عن السكينة الحقيقية والطمأنينة الدائمة غاية ينشدها الإنسان، وكثيرا ما يجد نفسه في مواجهة جذرية مع وجوده وقلقه العميق الذي لا تعالجه المسكنات المؤقتة ولا النظريات المادية التي تجرد الإنسان من بعده الروحي المتعلق بخالقه ومصيره.

هنا، في هذا الميدان تحديدا، تتجلى عظمة الهدي الإلهي الذي جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. إن الإسلام ليس مجرد منظومة عبادات ومعاملات، بل هو منهج حياة متكامل، يخاطب روح الإنسان وعقله وجسده، ويقدم له من القيم والأخلاق ما يجعله قادرا على مواجهة تحديات الحياة، بما في ذلك التحديات النفسية العميقة، ليس بمجرد آليات تكيف سطحية، بل ببناء حصانة داخلية متينة تثمر سكينة ويقينا لا تهزه عواصف القلق والاضطراب.

إن الأخلاق الإسلامية ليست مجرد فضائل فردية، بل هي ركائز لبناء نفس سوية متوازنة. دعونا نغُص في أعماق بعض هذه الأخلاق العظيمة التي يمثل التمسك بها والتحقق بمعانيها صمام أمان وحصنا منيعا في مواجهة التحديات النفسية الحديثة.

أولا- الصبر.. قوة الثبات في وجه الابتلاء والشدائد

يعد الصبر من أجل مقامات الإيمان وأعظم الأخلاق التي دعا إليها القرآن الكريم، وقد ورد الأمر به ومشتقاته في نصوص كثيرة جدا، مما يدل على أهميته القصوى في بناء الشخصية المسلمة. والصبر في الإسلام ليس مجرد تحمل سلبي للشدائد أو استسلام للأمر الواقع، بل هو قوة داخلية تدفع النفس إلى الثبات على الحق، والتحمل الإيجابي للبلاء، والمضي قدما في طريق الخير والعمل الصالح رغم كل العقبات والتحديات.

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة:١٥٣). في هذه الآية الكريمة ربط بين الصبر والصلاة كعاملين أساسيين في الاستعانة بالله ومواجهة صعاب الحياة. فالصبر يعين الإنسان على تجاوز لحظات الضعف واليأس التي قد تسببها الضغوط النفسية.

أنواع الصبر في الإسلام متعددة وشاملة، وهي كلها مطلوبة لبناء نفس قوية:

١- الصبر على طاعة الله: وهو الثبات والمداومة على أداء العبادات والطاعات رغم ما قد يصاحبها من مشقة أو كسل من النفس.

٢- الصبر عن معصية الله: وهو كبح النفس عن ارتكاب ما حرم الله رغم وجود الدوافع والشهوات، وهذا النوع من الصبر جهاد عظيم للنفس.

٣- الصبر على أقدار الله المؤلمة:

وهو الرضا بقضاء الله وقدره عند وقوع المصائب والشدائد التي تصيب الإنسان في نفسه أو أهله أو ماله، وعدم التسخط أو الجزع. هذا النوع الأخير هو الأكثر ارتباطا بمواجهة التحديات النفسية كالهم والحزن والخوف.

من أمثلة الصبر في القرآن: قصة نبي الله أيوب عليه السلام. لقد ابتلاه الله في صحته وماله وأهله، فصبر صبرا عظيما، ولم يجزع ولم يسخط على قضاء ربه، بل ظل يذكر الله ويثني عليه، حتى كان مضرب المثل في الصبر. قال تعالى واصفا صبره: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (ص:٤٤). صبر أيوب لم يكن ضعفا، بل كان قوة نفسية هائلة، ويقينا مطلقا بأن ما عند الله خير وأبقى، وأن البلاء مقدر من حكيم عليم، وأن الفرج آت لا محالة بعد الصبر الجميل.

تطبيق الصبر في مواجهة التحديات النفسية

- عند الشعور بالتوتر والقلق من المستقبل (قلق الامتحانات، قلق العمل، قلق الأزمات)، استحضار أن هذا من أقدار الله التي تحتاج إلى صبر جميل مقرون بالعمل والأخذ بالأسباب. الصبر يعين على التفكير بهدوء ويقلل من الانفعال الزائد.
- عند مواجهة خيبة أمل أو إحباط (فشل في مشروع، فقدان عزيز)، تذكر أن هذه الحياة دار ابتلاء، وأن الجزع لا يرد فائتا ولا يغير واقعا، وأن الصبر هو مفتاح الفرج وأن بعد العسر يسرا.
- الصبر على صعوبات الالتزام بالعبادة (قيام الليل، قراءة القرآن، الصيام) يثمر سكينة وطمأنينة في القلب تقوي النفس على مواجهة الضغوط الخارجية.

ثانيا- التوكل على الله.. ركن الاستناد في عالم مضطرب

التوكل على الله هو صدق اعتماد القلب على الله تعالى في استجلاب المصالح ودفع المضار في أمور الدين والدنيا، مع الأخذ بالأسباب المشروعة التي أمر الله بها. التوكل ليس كسلا ولا قعودا عن العمل، بل هو قمة النشاط الإيماني والعقلي والعملي، يسبقه تخطيط وسعي وبذل للجهد، ويصاحبه تسليم القلب واطمئنانه إلى أن النتائج بيد الله وحده.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق:٣). هذه الآية الكريمة وعد صريح بأن من توكل على الله كفاه أمره وأتم

له ما يريد. هذا الشعور بأن الله كافيك وحسبك هو أعظم طارد للقلق والخوف من المستقبل وما يحمله من مفاجآت.

من أمثلة التوكل في القرآن: قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام عندما ألقاه قومه في النار. لحظة عصيبة، وموقف مهيب، لا يملك فيه الإنسان إلا التوكل على خالقه. فعندما سأله جبريل عليه السلام: «ألك حاجة؟»، قال إبراهيم: «أما إليك فلا، وأما إلى الله فحسبي الله ونعم الوكيل»[1]. هذا التوكل الصادق لم يكن قعودا، فقد فعل إبراهيم كل ما يستطيعه قبل ذلك في الدعوة والحوار، ولكنه عند غلبة الأسباب المادية، لجأ إلى خالق الأسباب. فكانت النتيجة: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ (الأنبياء:٦٩).

مثال آخر: توكل النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر في الغار. عندما كان المشركون على مقربة منهم، قال أبو بكر: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لرآنا. فقال النبي ﷺ بقلب مطمئن متوكل: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[2]. هذا التوكل لم يمنع الأخذ بالأسباب، لكنه منحهم سكينة في أشد لحظات الخطر.

تطبيق التوكل في مواجهة التحديات النفسية

عند الشعور بالضغط من كثرة المسؤوليات والأعباء، استحضار أن الله معك ما دمت تسعى وتعمل. خطط، ابذل جهدك، ثم توكل عليه. هذا يخفف من شعور العبء ويبدده على الله القوي القادر.

عند الخوف من الفشل في مشروع أو دراسة، قم بواجبك كاملا، استشر، تعلم، اعمل بجد، ثم سلم النتائج لله. التوكل يحررك من قلق النتيجة ويجعلك تركز على العمل نفسه بإتقان. التوكل يعين على مواجهة المخاوف المتعلقة بالرزق، الصحة، أو أي أمر مستقبلي. قم بما يجب عليك من أسباب، وادع الله، وكن على يقين بأن الله لن يضيعك ما دمت مستقيما على أمره.

ثالثا- الرضا بالقضاء والقدر.. تاج السكينة ومفتاح الطمأنينة

الرضا بالقضاء والقدر هو من أسمى

مقامات الإيمان، وهو أثر وثمرة للصبر والتوكل. هو حالة قلبية يعيشها المؤمن، يتقبل فيها ما قضاه الله وقدره عليه، سواء كان خيرا أو شرا، بسكينة نفسية واطمئنان قلبي، لأنه يوقن بأن الله لا يقضي للمؤمن إلا خيرا في عاقبة أمره، وأنه سبحانه حكيم عليم في كل أفعاله وأقداره. الرضا لا يعني عدم السعي لتغيير الحال نحو الأفضل بما أباح الشرع، بل هو الرضا بعد بذل الأسباب وعدم تحقق المطلوب أو وقوع ما لم يرغب فيه.

يقول النبي ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»[٣]. هذا الحديث يرتقي بالمؤمن إلى مرتبة يرى فيها الخير في كل ما يصيبه، لأنه يربط كل شيء بقضاء الله وقدره وحكمته ورحمته.

من أمثلة الرضا في القرآن والسنة: حال المؤمنين بعد المصائب التي تقع بهم. قال تعالى عن المؤمنين الذين أصابهم أذى في سبيل الله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ (آل عمران:١٧٣). وقوله في نفس السياق عن حال المؤمنين بعد غزوة أحد وما أصابهم فيها من جراح: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (آل عمران:١٥٤). هذه الآيات تعلم المؤمنين أن ما أصابهم هو بقضاء الله وقدره، وأن فيه حكمة «الابتلاء والتمحيص»، وأن معرفة ذلك تعين على الرضا وتقبل المصاب.

تطبيق الرضا في مواجهة التحديات النفسية

عند الشعور بالندم على قرارات ماضية أو القلق من نتائج لم تتحقق، استحضار أن ما قدره الله كان، وأن الرضا بالماضي يحررك من أسر الندم ويعينك على التركيز على الحاضر والمستقبل.

عند مواجهة تحديات لا يمكن تغييرها (مرض مزمن، ظروف خارجة عن السيطرة)، الرضا بقضاء الله يبدل الجزع سكينة، ويحول الألم إلى أجر وصبر، ويمكنك من التعايش مع الواقع بما يرضي الله.

الرضا يعين على محاربة الشعور بالنقص أو الحسد مقارنة بالآخرين، فالمؤمن الراضي بقضاء الله يعلم أن رزقه وقدره مقسوم بحكمة، فيركز على ما لديه من نعم ويشكر الله عليها.

في الختام.. تكامل القيم لبناء حصن نفسي منيع

إن الصبر، التوكل والرضا ليست قيما منعزلة، بل هي منظومة متكاملة مترابطة، يفضي بعضها إلى بعض، وتشكل معا حصنا نفسيا منيعا للإنسان المسلم في مواجهة التحديات النفسية الحديثة. فالصبر هو القدرة على التحمل والثبات في وجه الشدائد والضغط النفسي، والتوكل هو ركن الاستناد القوي الذي يحرر النفس من قلق النتائج وتدبير الأمور التي هي بيد الله، والرضا هو تاج السكينة الذي يتوج رحلة الصبر والتوكل، فيجعل المؤمن مطمئنا لماضيه وحاضره ومستقبله، عالما أن الأمر كله بيد الله وهو يدبره بحكمة وعلم.

لتطبيق هذه القيم في حياتنا اليومية، علينا أن نجعلها حاضرة في وعينا في كل موقف: نتذكر آيات الصبر والتوكل والرضا، نكثر من الدعاء وطلب المعونة من الله، نتأمل في سير الأنبياء والصالحين وكيف طبقوا هذه القيم، نمارس الامتنان للنعم الموجودة، ونعلم أبناءنا هذه القيم منذ الصغر بالقدوة والتعليم والحوار.

إن الحل الجذري للكثير من التحديات النفسية المعاصرة لا يكمن في العلاجات السطحية وحدها، بل في العودة إلى فطرة الإنسان التي خلقها الله، وربطها بخالقها، وتزويدها بالقيم الإيمانية العظيمة التي تقدمها الأخلاق القرآنية. حينئذ، يجد الإنسان السكينة التي يبحث عنها، ليس هروبا من الواقع، بل مواجهة له بقلب مطمئن ونفس قوية واثقة بالله، فينطبق عليه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨).

الهوامش

١- رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة آل عمران، حديث رقم ٤٥٦٣، (الحديث في سياق آخر، ولكن كلمة إبراهيم رويت عنه في مناسبة إلقائه في النار). القصة في سورة الأنبياء، الآيات ٦٨-٦٩. وقول إبراهيم: «حسبي الله ونعم الوكيل» رواه البخاري في صحيحه معلقا بصيغة الجزم في كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ (آل عمران:١٧٣)، حديث رقم ٤٥٦٣.

٢- صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ (التوبة:٤٠)، حديث رقم: ٣٦٥٣.

٣- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم ٢٩٩٩.

سعدية مفرح | كاتبة وباحثة

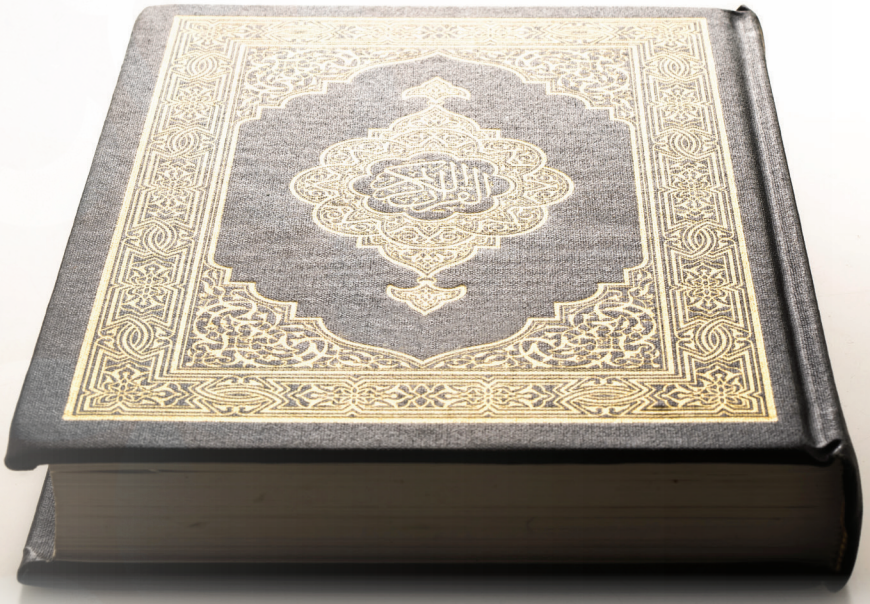

حكاية تجليد المصحف والكتاب في حضارة لم تكن تقرأ عبثا

تغليف بالجلد والحبر والحب

في الحضارة الإسلامية، لم يكن تجليد الكتب مسألة فنية بحتة. كان طقسا، ومقاما، وتجسيدا لمكانة الكلمة، الكلمة التي بدئ بها كل شيء. لم تبدأ الحكاية من مصاحف العباسيين ولا خزائن الفاطميين، بل من ذلك الارتجاف الأول حين أمسك المرء أول مرة بورقة من القرآن مكتوبة بخط اليد، محمولة في غلاف من جلد الغزال، مختوم بحنو الزمن على أطرافه.

كانت الكتب تجلد لأن الروح كانت تفترض أن الكلمة لا يجب أن تترك عارية. لم تكن المسألة حماية من التلف، بل حماية من الابتذال. الجلد، في عرف أهل المشرق، لا يعطى لأي شيء. يمنح لما يستحق أن يحمل فوق الجلد، كما يحمل الظهر أثقاله، بلا تذمر.

ولو جلت في خزائن بغداد أو مكتبات قرطبة، أو نظرت إلى بقايا مكتبة القيروان العتيقة، لوجدت آثار هذه الفلسفة، منحوتة على حواف الكتب لا في متونها. تجليد لا يعني تغليفا، بل هو إعادة اعتبار، كما لو أن الكتاب كائن يستحق ثوبه، قبل أن يعرض على أعين الناس.

كان الوراقون والنساخ والمجلدون، سلسلة من العارفين، لا مجرد صناع. لكل واحد منهم لمسته، ورائحته، وطقوسه، حتى ليقال إن بعض المصاحف عرف أصحابها من تجليدها قبل أن تفتح. ثمة جلد ينتمي إلى الشام، وآخر إلى بغداد، وزخرفة من خراسان، ومركبات صمغية من مصر، وذهب اندلق من فاس كما تنسكب القصائد.

لم يكن التذهيب مجرد زينة؛ كان دعاء يحفر بلون لا يبهت، على خطوط تشبه سواقي الماء في صيف قاحل، وكانت الزخارف قرائن روحية، لا زخرفة عشوائية.

الزخرفة عند المسلمين، بخلاف ما قد يبدو، لم تكن تكرارا للزينة بل هندسة للقداسة. حتى التكرار فيها كان كأنه ذكر، مدروس الإيقاع، مثل ترتيل قطار لا يعرف السرعة.

في المصاحف، تحديدا، كان التجليد

طقسا من طقوس التقديس. يروى أن الخلفاء كانوا يهدون مصاحف مجلدة على الطراز الدمشقي أو الموصلي إلى ملوك آخرين، كأنما لا يهدى الكتاب وحده، بل هيبة الحضارة التي أنجبته. وكان المجلدون يقصون من جلد الغزال، أو جلد الظبي، أو الجِمال أحيانا، ما يناسب قدسية النَص. وكان لبعضهم شروط في نظافة الحيوان وسنه ومكانه.

ومن غرائب ما يروى، أن أحد ملوك الأندلس أمر بأن يجلد له ديوان المتنبي في هيئة المصحف، مغلفا بخط أندلسي وزخارف ذهبية، وكأنه أراد أن يدلل على مكانة الشعر في الحضارة العربية.

ولئن تفردت الحضارة الإسلامية بإتقان نادر في صناعة الورق، فإنها في تجليد الكتب بلغت ذروة متقدمة حتى على الحضارة البيزنطية التي سبقتها، إذ لم تعطِ الأخيرة للكلمة القداسة التي أعطاها المسلمون لها. هنا، لم يكن التجليد حِرفة فقط، بل تجسيدا لفكرة أن المَعرفة مخلوق حي، لا بد أن يصان بثوب يليق به.

المدهش أن هذا الفن لم يكن حكرا على طبقة نخبوية من الوراقين في بغداد أو دمشق. لقد انتشر، وتعلمته النساء أحيانا في بيوت العلم، وامتهنه بعض العميان الذين يحفظون القياسات باللمس، ويشتمون رائحة الجلد ليعرفوا جودته. كان التجليد في بعض المدن الإسلامية مهنة تدرس في المدارس، كما تدرس الفقه والحديث. وفي فاس، وجدت دكاكين صغيرة لا تبيع شيئا سوى ألوان الزخرفة والخيوط الذهبية لتجليد المصاحف.

ولعل الأسئلة التي تمر مثل غيوم بين سطور هذه الحكاية:

لماذا كل هذا الاحتفاء بالغلاف؟

لماذا كان المجلد يعامل أحيانا كما يعامل الشاعر أو المفسر؟

الجواب، ببساطة لا تخلو من عمق؛ لأنهم، في زمن مضى، لم يفصلوا بين الجمال والمعنى.

كانوا يرون أن ما يقال، يجب أن يرى أيضا. أن النص لا يكتمل في الذهن، بل يكتمل حين تلمسه، وتدير صفحاته، وتشم رائحة الجلد والحبر معا.

لقد كان التجليد آخر لمسة حنان تقدم للكلمة، قبل أن تطلق إلى العالم. تماما كما تلف الأم وليدها بثوب حريري قبل أن تسلمه إلى مهد بارد. كانت تلك الحضارة، ببساطة، تعتبر الكلمة ابنة من بناتها، وتهبها ثوبا من جلد وعطرا من حبر.

وما بين لمسة الصانع الأخير، وخشوع القارئ الأول، يكمن سر التجليد بوصفه فعلا يتجاوز الحرفة إلى الإيحاء. ليس كل من صنع غلافا كان مجلدا، فبعض الأغلفة صنعت لحجب النص، لا لاحتضانه، وبعضها الآخر كان أقرب إلى قبور فاخرة لكتب مهجورة. أما المجلدون الحقيقيون، فقد عرفوا أن الغلاف يروي أحيانا قصة الكتاب دون أن يفتحه أحد.

في الهند الإسلامية، وخصوصا في عهد سلطنة مغول الهند، تطور التجليد ليصبح عملا تركيبيا معقدا، يمتزج فيه فن المنمنمات بالعمارة البصرية. كانت الأغلفة هناك ترسم عليها حدائق صغيرة، وأقواس إيرانية، ورسوم زهور دقيقة تشبه أزهار الدهشة. وغالبا ما كانت تستخدم أوراق الذهب، وألوان مستخرجة من الزعفران والعقيق واللازورد، حتى ليبدو الغلاف كأنه لوحة مصغرة لا كتاب. لقد جعلوا من كل مصحف قصيدة صامتة ترى ولا تقال.

وإن أردنا تتبع هذا الفن بأثره لا بتأريخه، فإننا لن نخرج من التأمل في فكرته الكبرى: أن المعرفة لا يجب أن تكون قبيحة.

هذا الانحدار ليس مجرد ذوقي، بل هو انعكاس لأزمة أعمق: حين يفقد المجتمع شعوره بحرمة الكلمة، يتنازل أيضا عن آداب تقديمها. فالتجليد، في جوهره، ليس صناعة تقنية، بل أخلاق جمالية. كيف تقدم كتابا؟ كيف تظهره؟ كيف تخبر القارئ أنه ثمين حتى قبل أن يفتحه؟

وربما، من بين أكثر ما يكشف هذه النظرة الفلسفية، ما نلاحظه في المصاحف القديمة، خصوصا تلك التي ظلت محفوظة في المساجد والمكتبات الكبرى، إذ تجد أن كل واحد منها كتب بخط مختلف، لكنه جلد بروح واحدة: خشية التفريط.

في متاحف تركيا اليوم، كمتحف طوب قابي، توجد مجموعات مذهلة من المصاحف المجلدة تعود إلى العصر العثماني، بعضها صمم ليفتح فقط في المناسبات الكبرى، وبعضها كان يحفظ في صناديق مرصعة، كأنه مِسك لا ينبغي أن يتعرض للهواء مباشرة. ولعل أندر ما فيها هو تلك المصاحف الصغيرة الحجم التي جلدت بدقة لا تصدق، بعضها يمكن أن يوضع في راحة الكف، ومع ذلك فإن زخرفته لا تختلف عن نظيره الكبير، والتناسب في الفن هنا لا يتبع الحجم بل المقام.

ولا يمكن الحديث عن تجليد المصاحف دون التوقف عند المغرب الإسلامي، حيث برع أهل فاس ومراكش في تشكيل هوية بصرية مستقلة لهذا الفن. كان الجلد يدبغ بمواد طبيعية، وتضاف له زيوت عطرية، فيصدر

عن الكتاب، حين يفتح، رائحة أقرب إلى الرائحة الأولى للمعرفة. كان الورق مغربيا ناعما، والغلاف مخيطا بخيوط ملونة تستخدم مرة واحدة فقط، ثم ترمى، لأن المجلد لا يكرر نفسه، تماما كما لا تكتب القصيدة ذاتها مرتين.

ومن التقاليد الغريبة الجميلة في بعض المناطق المغربية، أن المجلد حين ينهي عمله في المصحف، كان يغسل يديه بالماء المعطر ويقرأ دعاء خاصا، كأنه يودع صديقا لن يلقاه مجددا. التجليد، في هذا السياق، ليس فعل إغلاق للكتاب، بل فعل تحرير له. كأنك لا تغلِق الكتاب، بل تمنحه جناحين.

وما يجعل هذا الفن أكثر فرادة، هو أنه كان في بعض مراحله فنا خفيا لا يعرض للناس، بل يحفظ في الخزائن. ليس لندرته فقط، بل لأن بعض المصاحف المجلدة كانت تكتب خصيصا لشخص واحد، فلا تقرأ إلا في خلوته. إنها كتب لا تعار، ولا ترى، ولا تتداول. وهذا ما يضفي على التجليد بعدا شبه عرفاني: فالكتاب هنا شريك حياة، لا وسيلة اطلاع.

وفي حين توارثت الحضارات الأخرى فنون المخطوطات بطريقة وظيفية، كانت الحضارة الإسلامية تتعامل معها بوصفها جزءا من تراث الحضور الإلهي في العالم. حتى ألوان التجليد، لم تكن تختار بعشوائية، بل تخضع لرمزية دقيقة، الأزرق كان يدل على السكينة، والأحمر على المجد، والأسود على الهيبة، والأخضر على الجنة، والذهبي على الصفاء.

وكان اختيار اللون يحدد أحيانا حسب ما يكتب داخل الكتاب، فالمصاحف غالبا ما تجلد باللون الأسود المذهب أو الأخضر المخطط، أما كتب الفقه فقد تميل إلى ألوان ترابية أكثر وقارا.

لقد كان الغلاف هو أول ما تقع عليه العين، لكنه لم يكن زينة، بل مقدمة للخشوع. كما كان الباب في المساجد الكبرى ينحت بأيدي أفضل النحاتين، رغم أنه لا يحتوي شيئا من الصلاة، فكذلك الغلاف: هو بوابة النص، وصديق القارئ الأول.

واليوم، في ظل التحول الرقمي، حيث صار الناس يتصفحون القرآن عبر الشاشات، ويقرأون الكتب عبر الهواتف، تلاشت اليد التي كانت تقلب الورق، وتلاشى الغلاف الذي كان يضم الروح قبل أن يضم الصفحات.

غير أن الجمال الحقيقي لا يفنى، بل ينسحب بهدوء. وما تزال بعض دور النشر الإسلامية المعاصرة تحاول، بخجل نبيل، أن تعيد لهذا الفن شيئا من حضوره القديم، عبر إحياء التجليد اليدوي في طبعات فاخرة للمصاحف والكتب التراثية.

يبقى السؤال معلقا، لا يحتاج إلى إجابة، بل إلى تأمل:

هل يمكن أن نقرأ القرآن من شاشة باردة، ونشعر بنفس الطمأنينة التي كانت تأتي مع ورقة مجلدة بدقة، مضمخة برائحة الحبر، مطرزة بخيوط من ذهب، تنتمي في كيانها إلى جلد كائن عاش يوما على هذه الأرض؟

ربما لم يكن التجليد عن الكتاب فقط، بل عنا نحن، عن إحساسنا العميق بأن ما نحب، يجب أن يحاط بعناية، وأن ما نؤمن به، لا يقدم للعالم إلا بثوب يليق به.

لقد علمونا كيف نغلف المعنى، لا كيف نغلف الورق. وهذا وحده كاف لنفهم لماذا ظلت كتبهم، ومصاحفهم، حية حتى بعد أن جف المداد.

لعل ما ينقصنا اليوم ليس فقط فن التجليد، بل ذلك الحس الحضاري العميق الذي يرى في العناية بالشكل امتدادا لاحترام الجوهر. إن الكتب، والمصاحف على وجه الخصوص، لم تكن يوما مجرد أوعية للنصوص، بل كائنات حية تنمو في ظلال التقديس وتروى بأصابع الحب. ومن المخجل أن نراها اليوم تطبع في مطابع سريعة، مغلفة بغلاف لا روح فيه، خالية من تلك النفس التي تجعل من الكتاب لقاء لا مجرد مادة للقراءة.

فلنعد الاعتبار لهذا الفن، لا بوصفه حرفة منقرضة، بل باعتباره موقفا من العالم، إحساسا بأن المعنى لا يكتمل إلا إذا قدم بكرامة. فلنفتح مدارس لحماية هذا الفن، ولننشئ ورشا تستعيد مهاراته، ولندمج أبناءنا في ورشة الجمال التي ورثناها عن أجداد لم يكونوا يملكون ما نملك من أدوات، لكنهم امتلكوا ما نفتقده من احترام.

ربما آن أوان أن نعيد للكتاب ثوبه، لا ليبدو أجمل، بل ليكون أقرب إلى روحه. فالحضارات تقاس أحيانا بطريقة تقديمها لكلماتها، لا فقط بما تقول.

المراجع والهوامش

١- فن التجليد الإسلامي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.

٢- الفن الإسلامي: ملامح وأساليب، د. عفيف بهنسي.

٣- الزخرفة الإسلامية على أغلفة المخطوطات، مجلة دراسات في الفنون الإسلامي، العدد الرابع.

٤- المخطوطات الإسلامية في متحف طوب قابي، منشورات رئاسة الشؤون الدينية التركية.

٥- فن تجليد الكتب في المغرب والأندلس، مجلة التراث العربي، معهد المخطوطات العربية.

الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

ضوابط النشر

البريد الإلكتروني: alwaeiq8@gmail.com

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة:

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

محمد السيد | كاتب وباحث

في حب اللغة العربية وأهمية غرسها في نفوس الأطفال

لا ريب في أن اللغة العربية من أكثر اللغات تأثيرا في العالم، إذ تستخدم كلغة رسمية في أكثر من ٢٥ دولة، وتنتشر على نطاق واسع في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وتعتبر وسيلة التواصل الرئيسة بين الشعوب العربية، حيث تشكل الفصحى نقطة التقاء ثقافي بين دول تتنوع فيها اللهجات، لكنها تظل اللغة الأساسية في ميادين التعليم، والإعلام، والتشريعات، والقوانين.

ويسهم هذا التنوع في استخدام اللغة العربية في تعزيز التفاهم بين مختلف البلدان، ويشكل جسرا ثقافيا واجتماعيا بينها. كما أن تعلم اللغة العربية يفتح أمام الأفراد آفاقا للتفاعل مع مجموعة واسعة من الثقافات والتقاليد، ويعزز الروابط المشتركة بينها.

فاللغة العربية ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي هوية وتاريخ وحضارة تمتد جذورها في أعماق الزمان. هي لغة القرآن الكريم، ولسان البلاغة والفصاحة، ومرآة الفكر العربي الذي سطر أمجادا على صفحات التاريخ. ومن هنا، فإن حب اللغة العربية ليس خيارا، بل هو واجب قومي وديني وثقافي على كل عربي أصيل.

اللغة العربية.. هوية الأمة وروحها

اللغة هي الوعاء الذي يحمل فكر الإنسان وثقافته، ومن فقد لغته فقد جزءا من ذاته. والعربية، بما تحمله من ثراء في المفردات ودقة في التعبير، قادرة على احتواء أعمق المشاعر وأسمى المعاني. إنها لغة الشعر والبيان، التي تغنى بها المتنبي وأبدع فيها الجاحظ وابن خلدون. إن الاعتزاز بالعربية هو اعتزاز بالهوية والانتماء، وهو السبيل للحفاظ على وحدة الأمة وثقافتها أمام تيارات العولمة والتغريب.

تعليم اللغة العربية للأطفال.. مسؤولية تبدأ من البيت

إن بناء جيل يعتز بلغته يبدأ من البيت، حيث يسمع الطفل أولى كلماته، كما يجب أن يتحدث الآباء مع أبنائهم بالعربية الفصحى قدر الإمكان، وأن يربطوا اللغة بالمشاعر الجميلة والذكريات السعيدة، ليشعر الطفل بأن لغته مصدر فخر ومحبة، لا صعوبة أو تكلف. كما يجب أن ندخل العربية في اللعب والقصص والأناشيد، حتى تصبح جزءا من حياة الطفل اليومية، كما يعد إنشاء مكتبة صغيرة في المنزل خطوة مهمة ستشكرك عليها الأجيال القادمة، فإن غرس عادة القراءة منذ الصغر، كأن تصبح «قصة ما قبل النوم» جزءا من روتين الطفل اليومي، يساعده على تقبل اللغة وتعلمها دون عناء، ويستحسن اختيار كتب وقصص مصورة تناسب عمر الطفل واهتماماته، وتحتوي على نصوص قصيرة وسهلة الفهم. أما الكتابة، فهي وسيلة رائعة لتشجيع الطفل على التعبير عن مشاعره وأفكاره. يمكن للوالدين أن يقدما له كراسا وأقلاما، ويتركانه يدون ما يشعر به أو يتخيله، فذلك يسهم في تحسين مهاراته الكتابية، ويعزز من قدرته على التعبير والتواصل بشكل مستقل ومبدع.

دور المدرسة والمجتمع

تلعب المدرسة دورا محوريا في ترسيخ حب العربية، من خلال معلمين مخلصين يقدمون اللغة بروح محبة لا بأسلوب جامد، كما ينبغي أن تكون حصص اللغة العربية مليئة بالحيوية والإبداع، وأن يستخدم فيها المسرح، والقصص، والمسابقات الأدبية، لتتحول من مادة دراسية إلى تجربة ممتعة.

أما المجتمع، فعليه أن يعلي من شأن العربية في الإعلام، وفي الإعلانات، وفي المحادثات العامة، حتى يرى الطفل أن لغته حاضرة في كل مكان.

واستخدام اللغة العربية -بما تحمله من غنى وتنوع- يساعد في تحسين قدرة الطفل على الفهم، ويمنحه مرونة أكبر في تشكيل المفردات والتراكيب، ما يعزز من فرص تفوقه الأكاديمي والمهني عند التحاقه بالمدرسة.

إضافة إلى ذلك، تسهم اللغة العربية في تطوير المهارات الاجتماعية، من خلال تقوية أدوات التواصل للفرد وقدرته على التفاعل مع محيطه، ولذلك يعد تعلم اللغة العربية أداة جوهرية تمكن الطفل من فهم معاني القرآن بشكل دقيق، واستيعاب ما تحمله النصوص من دلالات ثقافية ولغوية. كما يسهم هذا الفهم في تفسير النصوص الدينية على نحو سليم، ويعزز العلاقة الروحية للطفل مع القرآن الكريم، ويرسخ لديه المبادئ والقيم الإسلامية بطريقة واعية ومبنية على الفهم الصحيح.

خاتمة: لغتنا العربية أمانة

إن الحفاظ على اللغة العربية ليس عملا فرديا، بل هو مسؤولية جماعية يشترك فيها الجميع: الأسرة، والمدرسة، والإعلام، والمجتمع. يجب أن نزرع في قلوب أطفالنا أن العربية، ليست كمجرد مادة دراسية، بل كونها نبض يعيش في الكلمة التي ينطقونها، وفي القصيدة التي يحفظونها، وفي الدعاء الذي يرفعونه إلى السماء.

فلنحب لغتنا، ولنعمل على أن تظل منارة تشع في قلوب الأجيال القادمة، فبها نحيا، وبها نخلد.

د. عبدالفتاح همام
باحث شرعي

حكم بطاقات التخفيض الصحية

تعريف النازلة وصورتها

استجدت وسائل وأدوات كثيرة من قبل التجار للترويج والدعاية لسلعهم وخدماتهم، وبناء أكبر قاعدة من العملاء، وابتكرت هذه المؤسسات التجارية طرقا متنوعة ومتعددة للدفع ترغيبا للناس وجذبا لهم، إغراء لهم بالتخفيض والخصومات.

ومن هذه الأدوات بطاقات التخفيض التي انتشرت انتشارا كبيرا، وكثر العمل بها، وأصبحت من النوازل المالية العامة التي وجب معرفة حكمها.

وهي بطاقة تخول صاحبها الحصول على تخفيض بنسبة محددة من أثمان السلع أو الخدمات التي يشتريها من متاجر محددة[١].

وصورة المسألة أن تقوم إحدى الشركات بإصدار بطاقة تتضمن تخفيضا على سلعة أو خدمات أخرى من محلات تجارية أو شركات أو غيرها، تكون مؤقتة، وإذا انتهت تنتهي صلاحيتها، سواء بمت الاستفادة منها أو لم يتم استخدمها البتة، وتكون النسب في الخصم تختلف من شركة إلى شركة أخرى. و تصرف هذه البطاقة للمستفيد مقابل مال يدفعه[٢].

مثل البطاقات الصحية التي تمنح حاملها خصما لدى المستشفيات، والمستوصفات، والعيادات الخارجية، والصيدليات، فعلى سبيل المثال يدفع المشترك مبلغ ١٣٠ دينارا كويتيا قيمة اشتراك في البطاقة لمدة سنة، ويعطى المشترك خصما على الكشوفات في المستشفى ٤٠ في المئة مثلا، وكذلك خصومات على الولادة الطبيعية، أو القيصرية وغيرها.

والبطاقة أنواع، قد تكون مجانية، أو بمبلغ، وقد تكون خاصة بمتجر أو مستشفى، وقد تكون عامة لعدة متاجر وتصدرها شركة تسويقية[٣].

وبطاقة التخفيض الصحية بطاقة خاصة بين طرفين: جهة التخفيض (المستشفى) والمشترك (المريض)، وكل طرف يعود عليه نفع، فجهة التخفيض تستفيد بالربح وزيادة العملاء وترغيبهم، والمشترك يستفيد بالخصم.

الحكم الفقهي لبطاقة التخفيض

اختلف المعاصرون في حكم بطاقات التخفيض التي يدفع المشترك رسوما، أو اشتراكا سنويا، على قولين:

القول الأول: التحريم

وذهب إلى التحريم جل المعاصرين، من العلماء: الشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ ابن جبرين، ود. خالد المصلح. ومجمع الفقه الإسلامي، واللجنة الدائمة للإفتاء[٤].

وأقوى ما يستدلون به أنها معاملة مبنية على الغرر والجهالة، والنبي ﷺ نهى عن الغرر[٥].

ويأتي الغرر من عدم معرفة حقيقة التخفيض ومقداره، وزمنه كذلك، فقد تزداد المشتريات، فيحصل على

تخفيض كبير، وقد تقل المشتريات فتقل نسبة التخفيض، وهذا ما جاء في قرار مجمع الفقه الإسلامي، «عدم جواز إصدار بطاقات التخفيض المذكورة أو شرائها، إذا كانت مقابل ثمن مقطوع أو اشتراك سنوي؛ لما فيها من الغرر؛ فإن مشتري البطاقة يدفع مالا ولا يعرف ما سيحصل عليه مقابل ذلك؛ فالغرم فيها متحقق يقابله غنم محتمل»[٦].

القول الثاني: الجواز

وذهب إليه مجموعة من الباحثين المعاصرين، الشيخ عبدالله بن منيع، د. خالد المشيقح، د. يوسف الشبيلي، ود. سامي سويلم، والشيخ دبيان محمد الدبيان وغيرهم[٧].

واستدلوا للجواز بالأصل الكلي في باب المعاملات هو الحل، لعموم قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ (النساء:٢٩)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة:٢٧٥)، فكل ما كان من باب التجارة عن تراض فهو مشروع ما لم يخالطه محرم مما هو من أكل المال بالباطل، وإذا كان الأصل الحل فلا يلزم البحث عن دليل للجواز، بل يكفي انتفاء دليل التحريم، فإذا تبين انتفاء الربا والغرر والغش من المعاملة فهذا كاف في الحكم بجوازها إذا كانت عن تراض[٨].

وقالوا -ردا على المانعين- إن الغرر الذي في المعاملة غير مؤثر، لأنه لا يسبب ضررا على أي منهما، أما البائع فإنه رابح على كل حال، سواء اشترى المشتري بالبطاقة أو دونها، لأن المحلات تضع هامشا ربحيا حتى في حال استخدام البطاقة، نعم يتصور الضرر لو كان البائع يبيع السلعة على صاحب البطاقة بأقل من رأس ماله فيها، لكن هذا غير واقع، وأما المشتري فالبطاقة بيده فمتى شاء استخدمها، وهذا كما لو استأجر سيارة فقد يستعملها طيلة مدة الإجارة، وقد لا يستخدمها إلا للحظات معدودة، ولا يعد ذلك غررا، وكذلك البيت قد يستأجره سنة، فلا يحتاج للسكنى فيه إلا أياما، وقد يسكنه طيلة السنة[٩].

الترجيح

يبدو أن من اتجه للتحريم كان في بداية ظهور النازلة ولم تكن مستقرة تنظيميا وقانونيا، ولكن بعد ذلك استقرت المعاملة وشرعت لها من التنظيم والترتيب ما جعلها محلا للقبول عند المجوزين للمعاملة.

والرأي الذي أذهب إليه -رغم قوة الرأي الثاني المجوز- أن من يرخص لهم هم أصحاب الأمراض المزمنة، أو الذين يحتاجون إلى مراجعات دائمة مثل الحوامل، وكذلك في حالة عدم توافر المستشفيات الحكومية، أو في حالة غلاء الأدوية، أو في حالة عدم توافر التأمين الصحي التكافلي. والله أعلم.

الهوامش

١- بطاقة التخفيض في ضوء قواعد المعاملات الشرعية، للدكتور سامي السويلم، من بحوث الدورة (١٨) من مجمع الفقه التابع للرابطة، ص:٣.

٢- انظر: الموسوعة الميسرة في فقه القضايا المعاصرة (فقه المعاملات المالية)، ٢١٤/١.

٣- انظر :بطاقة التخفيض، للدكتور محمد عبدالرحيم، من بحوث الدورة (١٨) من مجمع الفقه التابع للرابطة، ص:١١.

٤- انظر: المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، دبيان الدبيان، ٣٨٧/٤، المعايير الشرعية لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، دراسة فقهية تطبيقية، د. عبدالرحمن الطويل، ص:١٥٣.

٥- رواه مسلم، كتاب: العتق، باب: بطلان بيع الحصاة والبيع الذي فيه غرر.

٦- قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة، ص:٤٥٣.

٧- انظر: المراجع السابقة، بطاقة التخفيض في ضوء قواعد المعاملات الشرعية، للدكتور سامي السويلم.

٨- بطاقة التخفيض في ضوء قواعد المعاملات الشرعية، للدكتور سامي السويلم، ص:٣.

٩- الموسوعة الميسرة في فقه القضايا المعاصرة (فقه المعاملات المالية)، ٢١٤/١.

تراجم

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث

المتفق والمفترق
في الأسماء والأنساب والكنى

سلسلة الأعلام المتشابهة (١٠٥)

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «الثعلبي»

١- محمد الثعلبي (ت: في حدود ٢٥٠هـ):

هو محمد بن الحارث الثعلبي البغدادي.

من أبرز مصنفاته: «أخلاق الملوك»، و«الرسائل»، و«الروضة»[١].

٢- أبو محمد الثعلبي (ت:٤٢٢هـ):

هو أبو محمد عبدالوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي، فقيه، أديب.

ولد ببغداد سنة: (٣٦٢هـ) وأقام بها، وقدم دمشق وخرج إلى مصر.

من تصانيفه: «التلقين» في فروع الفقه المالكي، و«الأدلة في مسائل الخلاف»، و«المعونة في شرح الرسالة»، و«عيون المسائل»، و«شرح المدونة»، توفي بمصر[٢].

٣- أبو إسحاق الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ):

هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي، مفسر، مؤرخ، أديب.

من أبرز مصنفاته: «عرائس المجالس في قصص الأنبياء»، و«الكشف والبيان عن تفسير القرآن» يعرف بتفسير الثعلبي، و«ربيع المذكرين»، توفي في شهر المحرم[٣].

٤- أبو الحسن الثعلبي (ت: ٤٣٧هـ):

هو أبو الحسن محمد بن علي بن نصر الثعلبي، أخو القاضي عبدالوهاب، أديب، من أهل بغداد.

ولد ببغداد سنة: (٣٧٢هـ)، له كتاب «المفاوضة» صنفه للملك العزيز جلال الدولة البويهي، قال ابن خلكان: جمع فيه ما شاهده، وهو من الكتب الممتعة، وله: «رسائل»، ومات بواسط[٤].

٥- أبو القاسم الثعلبي (ت: ٤٦٢هـ):

هو أبو القاسم سعيد بن أحمد بن عبدالرحمن الثعلبي، مؤرخ من أدباء الأندلس، كان مقيما في قرطبة.

من أبرز مصنفاته: «التعريف بطبقات الأمم»[٥].

٦- شرف الدين الثعلبي (ت: ٦١٦هـ):

هو شرف الدين أبو عبدالله محمد بن منصور بن جميل النعماني الأسدي الثعلبي، أديب، لغوي، نزيل بغداد.

من أبرز مصنفاته: «إبريز الذهب في لغة العرب»، توفي ببغداد[٦].

٧- بدر الدين الثعلبي (ت: نحو ٦٧٠هـ):

هو بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن سيف الدولة بن زماخ الثعلبي الحمداني، أمير.

ولد سنة: (٦٠٢هـ)، من أبرز مصنفاته: «إزالة الالتباس في الفرق بين الاشتقاق والجناس»، وكتاب «الأنساب»[٧].

٨- موفق الدين الثعلبي (ت: ٦٩٧هـ):

هو موفق الدين محمد بن الحسين بن ثعلب الثعلبي الأدفوي، طبيب، له نظم ونثر وخطب.

ولد بأدفو من صعيد مصر، كان خطيبها، وكان يمشي إلى الضعفاء والرؤساء يطببهم من غير أجرة.

من أبرز مصنفاته: كتاب في التصوف والفلسفة، توفي بمصر[٨].

الهوامش

١- انظر: هدية العارفين (١٥/٢) ومعجم المؤلفين (١٦٨/٩).

٢- انظر: الأعلام للزركلي (١٨٤/٤) ومعجم المؤلفين (٢٢٦/٦).

٣- انظر: الأعلام للزركلي (٢١٢/١) ومعجم المؤلفين (٦٠/٢).

٤- انظر: هدية العارفين (٦٩/٢) والأعلام للزركلي (٢٧٥/٦)

٥- انظر: الأعلام للزركلي (٩١/٣) هدية العارفين (٢/ ١٥) ومعجم المؤلفين (١٦٨/٩).

٦- انظر: هدية العارفين (١١٠/٢) ومعجم المؤلفين (٥١/١٢).

٧- انظر: هدية العارفين (٥٥٥/٢) والأعلام للزركلي (٢٣٣/٨).

٨- انظر: الأعلام للزركلي (١٠٢/٦) ومعجم المؤلفين (٢٣٧/٩).

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون

يعد كتاب علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون من أبرز المؤلفات الحديثة التي أرخت للحركة العلمية والدعوية في دولة الكويت. صدر عن مكتبة المنار الإسلامية بالكويت سنة: (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ويقع في نحو (٧٨٦) صفحة من القطع الكبير.

وقد جمع فيه المؤلف بين دقة التوثيق وغزارة المادة التاريخية، فاستعرض تراجم العلماء والدعاة والمصلحين الذين كان لهم أثر واضح في نشر العلم الشرعي، والتعليم، والدعوة إلى الله في الكويت منذ نشأتها وحتى أواخر القرن الرابع عشر الهجري.

التعريف بمؤلف الكتاب

مؤلف الكتاب هو الأستاذ عدنان بن سالم بن محمد الرومي، أحد الباحثين الكويتيين البارزين في مجال التاريخ الإسلامي والتراجم. عرف بعنايته الفائقة بتوثيق الحركة الدينية والعلمية في الكويت، وإحياء سير العلماء والمصلحين فيها. وللرومي عدد من المؤلفات والدراسات التي تهتم بالسيرة والدعوة، كما تتميز كتاباته بأسلوب علمي يجمع بين التحقيق الدقيق والعرض الأدبي الهادئ، مع استناد واسع إلى الوثائق والمراجع المحلية والعربية.

المحتوى العام للكتاب

قسم المؤلف كتابه إلى فصول وسير مرتبة زمنيا، تناول فيها تراجم العلماء الكويتيين الذين عاشوا خلال ثلاثة قرون، بدءا من القرن الثاني عشر الهجري وحتى القرن الرابع عشر الهجري.

ويشمل الكتاب:

- تراجم علماء الكويت من الفقهاء والمحدثين والقضاة والأئمة والمدرسين.
- تراجم الدعاة والمربين الذين ساهموا في نهضة التعليم الديني في البلاد.
- تراجم العلماء الزائرين أو المقيمين ممن كان لهم أثر في الحركة العلمية بالكويت.
- إشارات إلى المدارس والمساجد والمكتبات التي احتضنت تلك الحركة المباركة.

وقد اعتمد المؤلف في عمله على مصادر أصيلة، منها الروايات الشفوية من كبار السن والعلماء، والمخطوطات المحلية، والوثائق الرسمية، والمراسلات الخاصة، مما أعطى الكتاب ثقلا توثيقيا وعلميا فريدا.

مكانة الكتاب وأهميته

يحتل هذا الكتاب مكانة متميزة في المكتبة الكويتية والعربية؛ إذ يعد أول عمل موسوعي شامل يتناول تراجم علماء الكويت بهذا الاتساع والعمق.

ومن أبرز وجوه أهميته:

١- توثيق الهوية الدينية والعلمية للكويت، وإبراز جذورها الراسخة في العلم الشرعي والدعوة.

٢- سد فراغ كبير في الدراسات التاريخية الخاصة بمنطقة الخليج العربي، التي قلما تناولت العلماء المحليين.

٣- مرجع لا غنى عنه للباحثين في التاريخ الكويتي، والدعاة، وطلبة العلم، والمؤرخين المهتمين بتطور الحياة العلمية في الخليج.

٤- كما يتميز الكتاب بروح الإنصاف والموضوعية، مع عرض متوازن يجمع بين السرد التاريخي والبعد الإنساني في تراجم العلماء.

ليس مجرد موسوعة تراجم، بل هو سجل تاريخي حي يوثق مسيرة الدعوة والعلم في الكويت، ويبرز فضل رجال نذروا حياتهم لخدمة الدين ونشر العلم.

وبذلك يستحق أن يكون في مقدمة المراجع التي تدرس ويعتنى بها في ميدان التاريخ الإسلامي المعاصر.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» بنسخة من هذه الموسوعة التاريخية المعاصرة، وهي في متناول قرائها الكرام المهتمين بتراجم العلماء.

المصادر

١- علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون.
٢- موقع الدعوة الإلكترونية، «تعريف بكتاب علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون» https://dawa.center/file/٥٦٥٩.
٣- عبدالعزيز الرشيد، من هنا بدأت الكويت.
٤- يوسف الحجي، معجم الشيوخ والعلماء في الكويت.
٥- موقع كاظمة الثقافي، «قراءة في كتاب علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون» https://www.kazima.org.

إعداد/ د. تركي محمد النصر
باحث ومحرر

لوم النفس المحمود

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «إن المؤمن إذا استبطأ الفرج، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة؛ يرجع إلى نفسه باللائمة، ويقول لها: إنما أتيت من قبلك، ولو كان فيك خير لأجبت، وهذا اللوم أحب إلى الله تعالى من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء، وأنه ليس بأهل لإجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله».

(انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب: ١/ ٢١٥)

اطلب الرزق من حيث كفل لك به

قال أعرابي لبعض جلسائه: اطلب الرزق من حيث كفل لك به، فإن المتكفل لك به لا يخيس بك، ولا تطلبه من طالب مثلك لا ضمان لك عليه، إن وعدك أخلف، وإن ضمن لك خاس بك.

(انظر: الفوائد والأخبار، لابن دريد الأزدي: ص/ ١٤)

الرضاء بقضاء الله تعالى والتسليم لحكمه

قال أبو منصور الثعالبي رحمه الله:

- ما الحيلة وقد حل القضاء، وفرض العزاء لقدر الله، ونزل البلاء الجسيم، وكتب الرضاء والتسليم.
- لا تسخط لقدر الله وهو عدل، ولا تكره لقضاء الله وهو فضل.
- ليعلم أن حكم الله عدل كيف تصرفت الأقدار، ووقعت من كراهة واختيار.
- القضاء غالب، والزمان معط وسالب، ولا خيار على القدر، ولا إيثار على الغير.
- والله العدل، وحكمه الفصل، ومن عنده الفضل.
- قضاء الله ماض، وهو عدل قاض؛ يولي، ويبتلي، ويسلب، ويعطي، ويعير، ويرتجع، ويمتع، وينتزع.
- له الخلق، وفعله الحق.
- أمر الله لا يقابل إلا بالرضا والصبر على ما قضى وأمضى.

(انظر: سحر البلاغة وسر البراعة، للثعالبي: ١/ ١١٤)

التشريع الإيجابي

يمتاز التشريع الإسلامي بأنه تشريع إيجابي، يتصدى لمعالجة الأوضاع الطارئة والحوادث المتجددة بعد أن أقام للحياة هيكلا كاملا من النظم العامة والمبادئ الشاملة والضوابط الأساسية والقابلة للتغير، فكفل بذلك تحقيق عناصر الخلود والبقاء للشريعة، لاسيما فيما جاءت به من قواعد ونصوص مرنة، تتسع لحاجات الناس مهما تبدلت الأحوال وطال الزمان، فالإسلام دين قائم على الإيجابية في كل شيء... في العقيدة والعبادة والمعاملة والتصرف والسلوك والأخلاق، وجميع نواحي الإصلاح والتقدم والحضارة.

(انظر: جهود العلامة وهبة الزحيلي في مجلة الوعي الإسلامي: ص/ ٥٠)

الرؤيا الحسنة

قال العلامة ابن رجب رحمه الله تعالى: «إن رأى رؤيا تسره فإنه يقصها على أصحابه وإخوانه والمحبين له، ولا سيما إن تضمنت رؤياه بشارة لهم، وتعليما لما ينفعهم، وقد كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر يقول لأصحابه: من رأى منكم الليلة رؤيا؟».

(انظر: شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، ١/٣٩)

حلاوة العبادة

قال الإمام أحمد بن حرب رحمه الله: «عبدت الله خمسين سنة، فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركت أشياء: تركت رضا الناس حتى قدرت أن أتكلم بالحق. وتركت صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين. وتركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة».

(انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١١/٣٤)

المال لله عز وجل

المال في الحقيقة لله سبحانه وتعالى؛ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ (المائدة:١٢٠)، وتملُّك الإنسان للمال مجاز، أي إنه مؤتمن على المال ومستخلف فيه ونائب عن الله فيه؛ ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد:٧)، ويترتب على هذا أن الإنسان ملزم بالتقيد بأوامر الله سبحانه في التملك بحسب ما يريد صاحب الملك الحقيقي، والناس على السواء لهم حق في تملك خيرات الأرض، والملكية الفردية حق ممنوح من الله تعالى، والمال ليس غاية مقصودة لذاتها، وإنما هو وسيلة للانتفاع بالمنافع وتأمين الحاجيات.

(انظر: جهود العلامة وهبة الزحيلي في مجلة الوعي الإسلامي، ص:٢٧)

داو بعض ما فيك ببعض

كتب عمر بن عبدالعزيز إلى محمد بن كعب القرظي: أما بعد، فإذا أتاك كتابي فعظني. فكتب إليه: إن ابن آدم مطبوع على أخلاق شتى: كيس وحمق، وجرأة وجبن، وحلم وجهل؛ فداو بعض ما فيك ببعض، وإذا صحبت فاصحب من كان ذا نية في الخير، يعينك على نفسك، ويكفيك مؤونة الناس، ولا تصحب من الأصحاب من خطره عندك على قدر حاجته إليك، فإذا انقطعت انقطعت أسباب مودتك من قلبه، وإذا غرست غرسا من المعروف فلا تضق ذرعك أن تربه.

(انظر: الفوائد والأخبار، لابن دريد الأزدي، ص:١٨)

ما أشبه اليوم بالأمس

إذا ما عدنا القهقرى نستنطق تاريخ الأمم والشعوب قبل أن تسطع شمس الإسلام لنتعرف أحوالها، ثم انتقلنا عبر الزمن إلى يوم الناس هذا، فإننا لا نملك إلا أن نردد ونقول: «ما أشبه اليوم بالأمس» أو «ما أشبه الليلة بالبارحة».

لقد اتسمت حياة تلك الأمم والشعوب بالأنانية المطلقة، بحيث تقدم كل جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم أو قبيلة من القبائل مصالحها الضيقة المحدودة في العشيرة والقومية من دون أن تعترف بوجود غيرها أو استحقاقه للحياة الكريمة على هذه الأرض.. فقل فريق من الناس إنما ينظر إلى الآخر من خلال مصالحه الضيقة مما أورث تنافرا بينيا رهيبا بين البشر، وأصبح من يمتلك القوة يرى لنفسه امتيازا على الآخرين فيستعلي بقوته ويستكبر ويطغى ويتجبر، وتأخذه العزة بالإثم.. وقاد هذا الوضع في العالم القديم إلى استعار حروب وحشية دائمة لا تبقي ولا تذر، ما إن تأتي على شيء إلا جعلته قاعا صفصفا، وأحالته إلى خراب وحطام، وبخاصة تلك الحروب بين الإمبراطوريات الدولية التي كانت تتحكم بالعالم إبان ظهور الإسلام، والتي امتدت لقرون من الزمن من عهد الإسكندر المقدوني إلى عهد هرقل وقت ظهور الرسول محمد عليه الصلاة والسلام بدعوته إلى الإسلام..

- مناديا، في قومه ابتداء، ثم في العالم أجمع.. بدعوة كتاب الله الكريم ضد تناحر الشعوب والأمم أن ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ (البقرة:٢٠٨).

- ومعلنا على العالم أجمع قول الله رب العالمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات:١٣).

- ومناديا بأعلى صوته بقوله عليه الصلاة والسلام: «الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله» (رواه أبو يعلى).

- وداعيا الجميع على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وأديانهم إلى التعاون من أجل خير الإنسان عملا: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (المائدة:٢).

- وضامنا في كل ذلك حرية العقيدة عملا بقوله سبحانه وتعالى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ (البقرة:٢٥٦).

فقضى بذلك، وفقا لعقيدة الإسلام، على كل تعصب واضطهاد فيما بين العقائد والأديان والشعوب والإثنيات.

لقد جاءت هذه الدعوة الإسلامية العالمية تهز أركان نظام العالم القديم في تعاليمه وشرائعه وتقاليده غير الإنسانية التي قضت على جميع معاني الإنسانية والنظر إلى الإنسان من حيث هو إنسان ليس إلا، لقد قضت تلك النظرة الفوقية التي سيطرت على كرامة الإنسان وعلى حقه في الحياة ما لم يكن من فئة معينة، ومن طبقة معينة.

في هذا الوقت سجلت الدعوة المحمدية الجديدة سبقا فعليا على جميع دعوات عالمنا الحديث في هذه المعاني؛ حيث دعت العالم قبل أربعة عشر قرنا إلى نظام مجتمع إنساني متقدم بكل ما في التقدمية من معنى من معاني السمو والرقي والحضارة، تلك المعاني التي نرى اليوم بأم أعيننا كيف تحاول الحضارة، التي تنعت بأنها «حديثة»، تحطيمها بوحشية لا نقول إنها تذكر بالوحشية التي عرف بها بربريو العالم القديم لأنها قد فاقتها بكل النواحي والمقاييس والمعايير، بحيث نستطيع القول إننا نعاني من ارتكاس خطير في معاني الآدمية يؤذن بكوارث لم يعرف التاريخ البشري لها مثيلا.. كل هذا يدعونا إلى الرجوع الحتمي لمبادئ الدعوة المحمدية التي لا خلاص للإنسانية إلا بها..

أ. د. بديع السيد اللحام
أستاذ بكلية الشريعة

الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

براعم الإيمان
قلم صغير وفكر منير

دعوة

الأعداد المطلوبة

8	7	5	4	3	12
22	21	16	15	14	13
36	53	32	27	26	23
57	56	55	47	41	37
79	77	71	69	65	63
146	129	109	86	83	

تدعو مجلة «الوعي الإسلامي» قراءها الأفاضل إلى مراسلتها على الفور في حال توافر لديهم الأعداد الموضحة بالشكل من مجلة «براعم الإيمان» الملحقة بها.

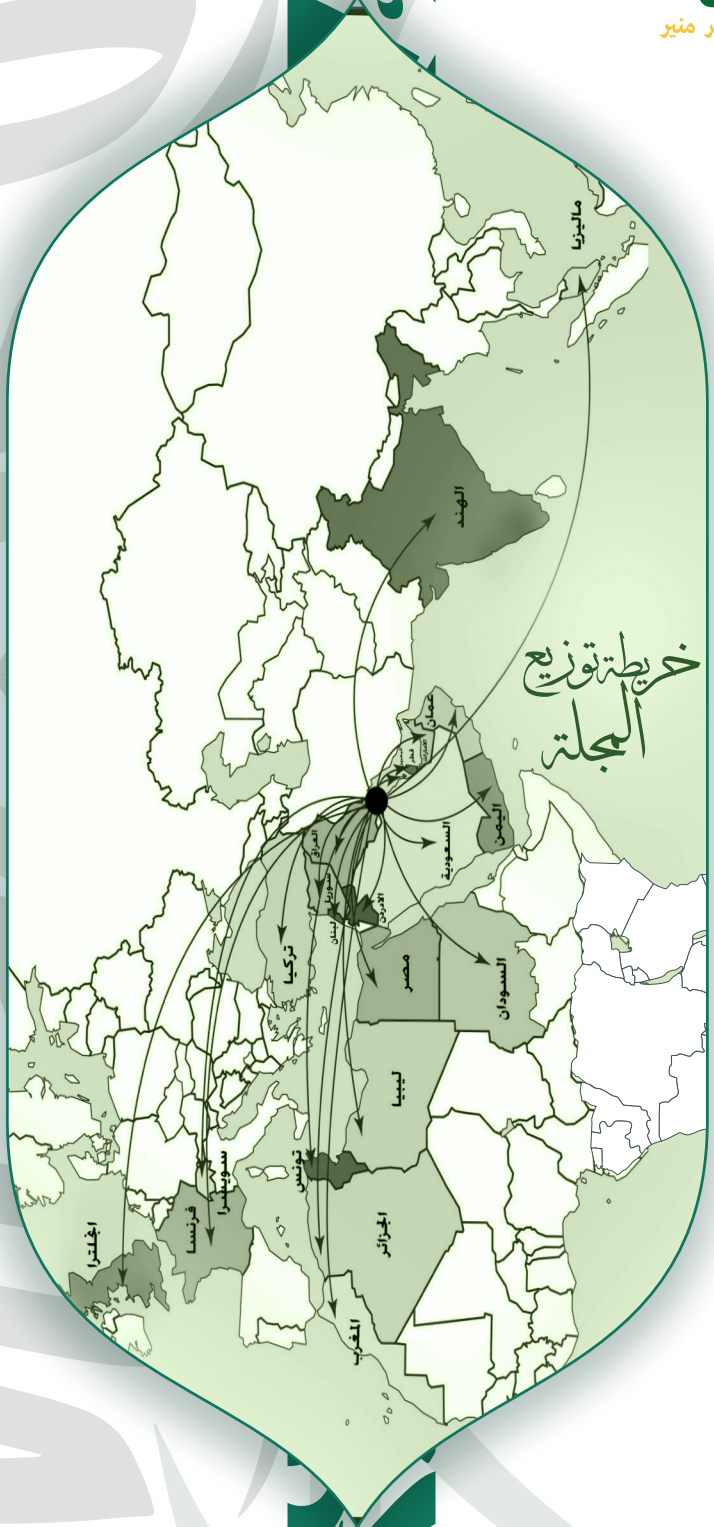

إعداد وإخراج
فاطمة الجندي

العدد (٧٢٣) جمادى الأولى ١٤٤٧هـ/ نوفمبر ٢٠٢٥م